ميامر
مار إسحق السرياني
الجزء الثانى

ونسكيات
القديس باسيليوس
الجزء الثانى

أعدَّه للنشر

القمص تادرس السرياني

ميامر
مار إسحق السرياني
أسقف نينوى
المتوحد ببرية شيهيت
المقدسة

الجزء الثاني

الميمـر الأول :

في تدبيـر الرهبنــة والابتـعــاد عــن العــالم

قال المُرتل: مخافة الله هى مبدأ الصلاح، ويُقال أنها تولد من الأمانة، وتزرع في القلب وتعطيه تسهيلاً ليتخلص من مجاذبات العالم، وأن يجمع خلجاته من الطياشة إلى الاهتمام بالعالم المزمع (الآتي).

الذي يريد أن يضع أساس الفضيلة، ليس شيئاً يتقدم بأنواع خاصيتها كمثلما أن ينقبض الإنسان إلى ذاته من اضطراب الأمور ويداوم كلام النور واستقامة السبل المقدسة.

بالكاد يوجد إنسان صبور، وعسى ألا يوجد من أجل سرعة قبولنا الغيارات والميالة، ولو كان الإنسان كالملائكة بالشبه.

مبدأ طريق الحياة استعمال العقل بكلام الله، والمسكنة والعزاء الذي يكون من تلك يعين إلى كمال هذه، أعني بزيادة الزهد والتجرد الذي من تلك يعطي مكان لهـذه، أي أن ما يتربى من كلام الله هو يقوي ويعين الذي يقتنى من المسكنة، والمعاضدة التي تكـون من كليهما تعين بالسرعة إلى تمام صعود بنيان برج كل الفضائل.

ليس يقدر إنسان أن يدنو من الله إلا بأن يبتعد من العالم، قولي الابتعاد ليس الابتعاد الجسدي لكن الابتعاد عن الأمور العالمية، فالفضيلة هى أن يكون الإنسان خالي الذهن من أمور العالم.

ما دامت الحواس تباشر الأشياء العالمية، ليس يقدر القلب أن يهدأ من تخايل تذكارهم ولا الآلام الجسدانية تبطل.

الأهواء البشرية والحسيات السوء لا تموت إلا في البرية والصحراء.

إلى أن تقتني النفس سكر الإيمان بالله بحسس قوته، فلن تستطيع أن تشفي الضعف الذي للحواس ولا بشجاعة تستطيع أن تطأ هيولي الأشياء المرئية التي هى حاجز لذاك الشيء الذي في الباطن، وهى لم تعلم.

النفس النطقية هى ولد الحرية وثمرة الاثنين – أعني سكر النفس بالإيمان بالله وشفاء الحواس من الضعف – هى الحرية، ومن دون الأولى لم توجد الثانية، وبعدم الثانية تتقيد الثالثة كما بلجام.

إذا كثرت النعمة في الإنسان حينئذ يحب البر والصدوقية وتهون عليه مخافة الموت، ويجد في نفسه أسباب كثيرة أنه ينبغي للإنسان أن يحتمل البلايا لأجل مخافة الله. وكل شيء يظن به أنه مؤذي للجسد وبالضرورة يعرضوا على الطبيعة ويؤلموه ويحزنوه على الدوام لا تعتبر شيئاً بالقياس بذلك النياح المزمع.

لأنه لا يستطاع بغير التجربة أن نعرف الحق لأننا نقتنع اقتناعاً حقيقياً من التجارب، وأن الله يعتني بالإنسان كثيراً وليس يتركه بالهمج أو كيفما اتفق، وبالأكثر الذين قد خرجوا في طلبه ويقاسون الشدائد من أجله.

وينظر هذا بالإشارة بوضوح ..

وإذا ما تكاثر عدم زيادة النعمة، يتوهم ما يضاد معرفة هذا جميعه، ويفكر أن الثقة بالله ليس تليق في كل وقت، وأن الله ليس له عناية بالإنسان كمثل ما يظن، وأن بالمعرفة يدبر الإنسان أموره أفضل من الإيمان، وشيئاً فشيئاً يطعن الإنسان بهؤلاء من الذين يكمنون له في ظلام النفس، ويلقون سهامهم برأس حياة الإنسان الحقانية: مخافة الله، وهذا الخوف مع الاهتمام بالأشياء ليس يبقى في النفس، ويتشتت العقل بخدمة الحواس عن التلذذ بالله، لأن الحركات الداخلية مربوطين بحبسهم مع الحواس خدامهم.

انشقاق القلب يدخل على النفس الجبن، وأما الأمانة تشجع العقل حتى وعلى احتمال

تقطيع الأعضاء.

وما دام حب الجسد غالباً عليك، ليس تقدر أن تكون لبيباً وغير جبان من أجل كثرة البلايا والمضادات الدائمة التي تأتي على الجسد الذي قد أحببته.

الذي يحب الكرامة لا يستطيع أن يعدم علل الأحزان. ليس إنسان مع تغيير الأمور لا يميل فكره نحو الثبات عند تبدل الأوضاع إن كان خيراً أو شراً.

إن كانت الشهوة هى ثانية الحواس تلك التي منها تتولد الشهوة كما يقال، فليصمت الآن الذين مع مباشرة الحواس الآن والمشابكة – بأمور العالم – يوعدون ويظنون أنهم يحفظون العقل العفيف.

العفيف هو هذا الذي ليس بسبب القتال تكف عنه حركات السماجة، بل الذي تحقيق قلبه يعفف نظر فكره لئلا يرمق بالأفكار الردية بوقاحة، ويشهد على عفة نيته نظر عينيه المحفوظ بالحياء، لأن الحياء كمثل حاجز ما قد وضع في بلاد الفكر الخفية بالعادة العفيفة التي تحفظ طهارتها بثقة المسيح.

ليس شيء يقدر أن يبعد العوائد السمجة هكذا من النفس، ويقمع التذكارات المحركة الالتهابات المضطرمة في الجسم، كمثل الشغف في محبة التعليم وغوص العقل في عمـق فهم ألفاظ الكتب المقدسة، حتى أن الحركات يغوصون بلذة تبع الحكمة المذخورة في الكلام بالقوة التي يرضع التمييز، من هنا يترك وراءه المسكونة وجميع ما فيها وينسى كل تذكار يقيم تجسم العالم، وينقطع من النفس، وكم من وقت يتعطل من الأفكار المحتاجة أن يدبرها الطبع وتبقى النفس داهشة في الأشياء الجديدة التي صادفتها من بحـر أسـرار الكتـب المقدسة.

ولو أن في المياه العالية يعوم الذهن والعقل، ولا يستطيع أن يغوص بحركاته في العمق، يقدر الهذيذ بمحبة الله أن يربط العقل بشجاعة بدهش فكر واحد ويعطل الأفكار من الشرور التي تخص طبيعة الجسد كقول واحد من لابسي الله: أن القلب المسترخي

لا يقدر أن يحتمل الشرور التي تلقاه من خارج والحروب المتحركة من الداخل، واعلم أن الفكر السوء الجسداني ثقيل هو جداً، إن لم يتفاوض العقل بالعلم ما يستطيع أن يصبر لهدس اضطراب ثورة الجسد.

كمثل رجحان كفتي الميزان مقابل اضطراب الرياح، هكذا هو الحياء والخوف لميالة الفكر، وبقياس العوز هناك هكذا أيضاً زيادة سُلطة الحرية بهذه، والحرية تبعد الخوف عن النفس، هكذا ميزان الفكر ترجح لكل ناحية بحدة، فظهر الآن أن الحركة هى ثانية الحرية وغيارات الأفكار هى ثانية الميالة.

تحكم أن تضع أساس لسيرك في طريق الله وفي أيام قليلة يقيمك في باب الملكوت من غير طواف ودوران في الطرق.

لا تنظر بترتيب سائر المعلمين بالكلام الذي من المعرفة، وضع لتربية تدبيرك أي تدهش لتعظم نفسك بإفهامهم، افرز قصد كل كلام، وكل خبر تصادف بالأسطر لتغوص نفسك في المعارف العظيمة التي قد وضعوها أُناس نيرين عارفين، الذين من تدابيرهم يرشدوا من النعمة ليتفهموا وينيروا على الدوام، هؤلاء يحسوا كشبه شعاع معقول يسير بين الألفاظ ويفرز قدام الفكر الكلام الساذج من الأخبار الذين قيلوا بضمير مرتفع.

الإنسان الذي يقرأ الكتب بسذاجة بغير تفهم وتمعن في الألفاظ العظيمة، فإن قلبه يقسوا ويبرد من القوة المقدسة التي تعطي القلب مذاقة لذيذة في الإفهام المدهشة.

كل شيء عادة ينجذب إلى جنسه، والنفس التي فيها جزء من الروح إذا سمعت كلمة مخفي فيها قوة روحانية تنجذب بحرارة لسيرتها.

ليس لكل أحد حافظ الدهش الكلام الذي قيل روحانياً وفيه قوة عظيمة، الكلام عن الفضيلة يتطلب قلباً قد تجرد من الأرضيات ومن جميع مفاوضتها، الإنسان المتعوب في فكره بهم الأمور الزائلة، الكلام الذي على الفضيلة ليس تنبه فكرته لمحبة طلب اقتنائها.

يتقدم الانحلال من الهيولي الارتباط بالله، وأن بتدبير النعمة في بعـض الأفـراد

يتقدم هذا لذاك لكي لا تنحجب المحبة – إن نظام تدبير الله يختلف عن نظام عامة الناس – أما أنت اضبط ترتيب عامة الناس، إن تقدمتك النعمة فهو لها، وإن كـان لا سـير فـي الطريق الموضوعة لكل أحد واطلع بصعود البرج الروحاني بالتدريج.

كل شيء يعمل بالثاؤريا، وتكمل الوصية التي لأجلها هو أيضاً غير منظور لأعين البشر، لأن كل شيء ينعمل بأفعال كله مركب في الوصية التي من أجلها محتـاج إلـى الأمرين، أعني على التورية والفعل من أجل المتجسم (المرئي) والغير المتجسم (الغير المرئي) الملحوم من الاثنين من هذا أو ذاك، الذي من أجله يتفهم العقل النير كمثلما سبق على يد موسى تلك البسيطة تُفهم وتلك المتضاعفة ليس تزيل أعمال النقاوة لإحساس الذكر بل تألم التذكار تزيل من القلب، لكي فاضلاً يكون الشيء الذي يجوز بالفكر بشره الـنفس باقتناء الفضيلة يغلب لشره أجزاء الجسد.

كل شيء يزين الاعتدال، الذي بدونه تتحول الأمور النافعة إلى أمور مؤذية.

إن كنت تشاء أن تشترك مع الله بعقلك بأخذك إحساس تلك اللذة التي لا تخضع للحواس .. تمسك بالرحمة، لكي بالشيء الذي له يشبه إذا وجده داخل منك يتصور فيه ذلك يجد شعاع اللاهوت تشرق للنفس.

الاتحاد الروحاني هو الذكر الغير مفترق الذي بالتهاب متعشقاً بلا افتراق يتحرك في القلب، ذلك الذي من مداومة حفظ الوصايا يأخذ قوة الارتباط بالإلهيات، لا من خارج ولا طبيعياً تجد هناك مادة النظر النفساني لتستند عليه بالأقنوم (بالذات) من أجل ذلك ترتبط بالدهش بالكف المتضاعف الحواس الجسدانية والنفسانية.

ليس طريق أخرى توصل للحب الروحاني الذي فيه تتصور الأيقونة الغير المرئية إلا إذا بدأ الإنسان بالرحمة حسب قول سيدنا أنها مثالاً لكمال الآب وأمر مطيعيه باقتنائها.

أخرى هى الكلمة التي من العمل، وآخر هو الكلام المتحسن الذي من دون تجربة الأمور .. لأن الحكمة العالمية تعرف أن تزين كلامها وتتكلم بالحق من غير أن تعرفه، وتظهر الفضيلة ولا منذ قط أخذت تجربة عملها، **فأما القول الذي يكون من العمل هو كنز**

الاتكال على الله والرجاء به، والحكمة البطالة هى كنز الخزي.

وكمثل المصور الذي يرسم الماء على الحائط، ولا يقـدر هـذا المـاء أن يبـرد عطشه، وكمثل الإنسان الذي ينظر الأحلام الجميلة ولا تستطيع ارواءه، هكذا الذي يتكلم من غير عمل.

والذي من تجربة أعماله يتكلم على الفضائل، كمثل الذي مـن بـضاعة تجارتـه يناول كلمة لسامعيه، ومن الشيء الذي قد اقتناه في قلبه ونفسه يزرع التعليم في آذان السامعين ويفتح فمه بدالة النية الروحانيين، كشبه يعقوب الشيخ الذي قال ليوسف العفيف: " وأنا قَدْ وَهَبْتُ لكَ سَهْمَاً واحداً فوق إخوتكَ، أخذْتهُ منْ يَد الأمُوريِّينَ بسيفي وقوسـي " (تك ٤٨ : ٢٢).

كل إنسان تدبيره رديء: حياة هذا العالم عنده شهية، وثاني هذا الذي هو قليل المعرفة، ونعم ما قيل أن مخافة الموت ترعب الرجل الناقص المعرفة، والذي له في نفسه شهادة صالحة هو الذي يشتهي الموت مثل الحياة.

لا يكون عندك حكيم حقاني، الذي من أجل حياة هذا الزمان الحاضر يستعبده فكره للأشياء الزائلة.

كل الخيرات والشرور التي تعرض للجسد تكون شبه الأحلام، لأنه ليس فقط بموت الجسد تنحل منهم إلا ومراراً كثيرة من قبل الموت يتركوك ويذهبون، فإن كان منهم شيء مشترك في نفسك لهؤلاء، احسب أن هذا ما تقتنيه في الأبدية، لأنهم يذهبون معك إلى العالم العتيد الآتي، فإن كانوا صالحات افرح واشكر الله في قلبك وإن كانوا رديات فاحزن وتنهد واطلب الابتعاد منهم ما دمت في هذا الجسد.

وأيضاً اعلم أن كل خير يصنع إليك معقولاً وفي الخفاء يكون مفهوماً عندك بالحقيقة أن المعمودية والإيمان كانوا لك واسطة فيه، هؤلاء الذين بهم دعيت ليسوع المسيح بالأعمال الصالحة (**أف ٢ : ١٠**).

فله المجد والإكرام والشكر والسجود،

إلى دهر الداهرين. آمين.

الميمر الثـانـي :

++++++++++++++++

عـن شـكر الـذي يأخـذ
يحـرك الـذي يعطـي المواهـب الـتي هـى أعظـم مـن الأوليـات

++

الذي لا يشكر على الصغار، فعلى الكبار إن قال أنه يشكر فهو كذاب وظالم.

المريض الذي يعترف بمرضه شفاؤه هين، والذي بأوجاعه يقر فهو قريب من البرء.

القلب القاسي تكثر أوجاعه، والمريض الذي يخالف الطبيب يزيد في عذابه.

ليس خطية بلا مغفرة إلا التي بلا توبة، وليس موهبة بلا زيادة إلا التي تكون ناقصة من الشكر.

نصيب الجاهل دائماً في عينيه صغير.

تكون تذكر دائماً الذين هم أرفع منك في الصلاح لكيما تحسب نفسك ناقص من قياسهم.

تكون تتفرس في كل وقت في البلايا الصعبة التي تصيب الناس، والذين هم في شدة وضنك، لكي تعطي الشكر لله على ما عندك من أمور بسيطة، وتستطيع حينئذ أن تصبر عليهم:

في الوقت الذي تكون مغلوباً ومقهوراً وفي ملل وكسل وقد قيدك عدوك بسماجة فعل الخطية .. أذكر الأوقات القديمة التي كنت فيها نشيطاً، وكيف كنت منتبهاً حتى بالأمور الحقيرة، وكنت تتحرك بالغيرة على الذين يعوقون سيرك، وتتنهد على شيء قليل من عمل الفضائل إذا فاتك، **وكيف كنت تأخذ إكليل الغلبة على الأعداء .. بمثل هذه التذكارات تتيقظ نفسك كمثل من نوم عميق،** وتلبس حرارة الغيرة، وكمثل من الموت

تقوم - النفس - من سقطتها وتصاب ذاتها **حتى تجيء إلى طفسها الأول بالجهاد الحار قبالة الشياطين والخطية.**

أذكر سقطة الأقوياء لكيما تتضع بصلاحك، أذكر عظم خطايا القدماء الذين سقطوا وتابوا والشرف والكرامة التي قبلوها من بعد ذلك لكيما تتعزى في توبتك.

كن أنت مضغوطاً لنفسك ومحزناً لها لكيما ينطرد العدو قبالك.

اصطلح أنت مع نفسك فتصطلح معك السماء والأرض.

احرص أن تدخل إلى الكنز الذي في داخلك لكيما تبصر الذي هو في السماء، لأنه واحد هو: هذا وذاك، وبمدخل واحد تنظر اثنينهما .. درج الملكوت هو مخفي داخل منك في نفسك، غوص أنت في ذاتك، اختف من الخطية وهناك تجد مصاعد تطلع بهم إلى أمور العالم الجديد.

أمور العالم الجديد لم تفسر لنا الكتب كيف هيئتهم وأما كيف نقبل حاسية تنعمهم خلا غياراً طبيعياً وانتقال مكاني، بإفصاح أظهروا لنا وبكنيات الأمور الشريفة، وأسامي الأشياء الممجدة وضعوا هيئتهم لكي يجذبونا، كمثل قوله: " **ما لم تنظره عين ولم تسمع به أُذن وما تبقى** " **(١كو ٢ : ٩).**

لأن التنعم الروحاني ليس هو استعمال الأمور الأقنومية التي خارج من ذات المتضمن توجد، بل في ذواتهم حسب قوله: **" لأن ها ملكوتُ اللَّه داخلكُم " (لو ١٧ : ٢١)** وأيضاً تأتي ملكوتك.

في داخل منا موجودة أشياء جيدة مادحة محسوسة عربون التنعم بهم بالـضرورة كمثلهم، أعطى لنا شبه وعربون ههنا جزئياً وأما بالتمام هناك حسب قول الرسول كمثـل بالمرآة وليس بذات أقنومها، على كل حال تدل على اقتناء الشبه كمثل الشهادة الـصادقة التي في معاني الكتب إنه فعل معقول من روح القدس ههنا جزئياً، وهناك كلياً، ومن غير انفعال روحاني بمحسوس معقول منه لهم، ليس يوجد محسوس مواسطة لتنعم القديـسين

من الغير محسوسين هناك، فإن كان أحضان حابسه كل محدود واندفاق نور لـيس هـذا معقول.

محب الفضيلة ليس هو الذي يفعل الحسنات بالحرص فقط، بل الذي يقبل البلايا التي تقفوا الفضيلة بفرح، هذا أمراً كبيراً أن يكون الإنسان من أجل الصلاح يصبر للبلايا والضيقات، ألا ومن خداع وساوس الدغدغات لا يتسجس فكره.

الذي ما تختار إرادته الحسنة، الندم الذي من بعد ارتفاع الحرية يكون الفرح، الذي منه يحصل لقانيه مجازاة.

غطِ على الخاطئ وقويه من غير أن تخسر منه، لكيما تحماك رحمة سيد الكل.

اسند الضعفاء وصغيري الأنفس بكلمة، وبما يصعد بيدك وتسندك اليمـين التـي تحمل الكل.

كن شريك الموجوعين القلوب: بالصلاة الحزينة وتعجـيج القلـب، لكيمـا ينفـتح لمسألتك ينبوع الرحمة.

اتعب ذاتك في كل وقت بالطلبة قدام الله بقلب حامل فكراً ذكياً مملوء وجع.

احفظ قلبك من الحسبات القذرة لئلا ترذل نفسك طريق الله.

الزم نظرك دائماً في القراءة بإفراز، لئلا بعلة البطالة يخرج نظرك ويتسخ بأمر غريب.

لا تجرب فكرك، أي لا تختبره بنظر الأفكار السمجة التي للتجربة وتظن أنك لن تنغلب، حكماء كثيرون اضطربوا بهذا وصاروا جهلاء.

لا ترعى لهيب النار في عبك كما قيل لئلا يعربسوك حركات الجسد الصعبة، أعني لا تجرب فكرك بنظر حسبات الفسق المجربة لك، لأنه عسر على الشاب إذا لم يتأدب بكثرة أتعاب الجسد أن يخضع تحت نير القداسة.

أول ظلمة العقل .. إذا ما رأيت هذه العلامة في نفسك .. أن تكسل في خدمة الصلاة.

ليس طريق أُخرى لطغيان النفس مثل هذه، حتى إذا ما عدمت من المعونة الإلهية التي مجراها يكون من الصلاة بسهولة تسقط بيد أعداءك ومصافيك (مضايقيك)،

وإذا انحليت من الاهتمام بأمور الفضيلة على كل حال تحصل فيما يضادها، لأن الانتقال من ناحية اليمين هو مبدأ ما يضادها أي الشمال.

فليكثر عمل الفضيلة على النفس، أعني الصلاة لتهتم بها.

أوري ضعفك فدام الله في كل حين لئلا تسلب الأعداء قوتك، عندما تبتعد من معينك.

عمل الصليب متضاعف حسب تضاعف طبيعتنا المتجزئة للنوعين: **الصبر على ضوائق الجسد الذي يكمل بفعل جزء النفس الغضبي**، ويدعى الفعل، **والعمل اللاطيف الذي للعقل بمفاوضة الإلهية ودوام الصلاة الذي ينعمل بجزء النفس الشهواني ويسمى الثاؤريا، وأحدهما يطهر جزء النفس الإلهي بقوة الغيرة، والآخر يفعل بتأثر الحب الروحاني الذي هو الاشتياق الطبيعي لجزء الفهم ينقى.**

والذي من قبل الصعود بالجزء الأول يجسر على الثاني من أجـل اشـتياق لـذة، ولم أقُل من أجل الملل والكسل الغضب يهم قبالته، بأنه لم يُمت أولاً أعـضاءه الأرضـية أعني لم يشفِ سقم أفكاره بصبر على أتعاب الصلب ومحقرته بل تجاسر أن يتخيل فـي عقله مجد الصليب، كمثل ما قال أحد القديسين القدماء: من قبل أن يشفوا الحـواس مـن ضعفها، أعني البرؤ من الأوجاع، إن أراد العقل أن يصعد على الصليب غضب الله يأتي عليه.

صعود الصليب المحرك رجز الله ليس هو الجزء الأول أعني الشدائد الذي هو صلبوت الجسد ولكن الصعود في الثاؤريا الذي هو الجزء الثاني من قبل صحة النفس الذي هو منجس الفكر بالأوجاع السمجة ويتخيل في فكره هذه الحسبات، فأنه بقضيب الحق يكف ويسكت **لأنه لم ينفي فكره من قبل بالضوائق وقمع شهوات الجسد.**

والذي يريد من سماع الآذان وقراءة الكتب بلا عمل يجري قبالة وجهه ليمشي في طريق مملوءة ظلاماً وقد عميت عيناه، ويريد أن يتشبه بأولئك الذين قد صحت أبصارهم وهى ممتلئة نوراً وقد اقتنوا هداية من النعمة إذ هم في الشدائد الليل والنهار، وأعينهم مملوءة دموعاً والصلاة والبكاء يعبروا الليل مع النهار من أجل هم السعي

والمصاعب الشديدة التي تلقاهم، والأشكال المتواترة في الطريق بشبه الحق ـ هؤلاء زعم ـ الذين هم لله من أنفسهم يأتوا، إن كان الموضع طاهر وغير دنس.

وإن أنت لم تحس إن لم يكون قد تنقى نظر نفسك الصغير، لا تجسر أن تـشخص في قرص الشمس، لئلا تعدم نظر العادة الذي هو الإيمان الـساذج والاتـضاع والـشكر القلبي والعمل القليل حسب قوتك لئلا تلقى في بعض من المواضع المعقولـة التـي هـى الظلمة الخارجة عن الله شبه الجحيم، كمثل ذلك الذي جسر أن يدخل بثياب وسخة إلـى العرس.

من الأعمال والاحتراس تنبع نقاوة الأفكار، ومن نقاوة الأفكار نور العقل، ومن ههنا يرشد العقل من النعمة لذاك الشيء الذي ليس للحواس سلطان أن يعملوا ويتعلموا.

أفكر وافهم أن الفضيلة هى الجسد، والثاؤريا هى النفس، والاثنان هما إنسان واحد كامل تام روحاني متحد من جزئين محسوس ومعقول، وكما أنه لا تستطيع أن تأتي النفس إلى التكوين والميلاد من دون أن تكمل جبلة الجسد، هكذا لا تستطيع ثاؤرية النفس الثانية التي هى روح الاستعلانات أن تتصور في البطن القابل الزرع الروحاني من دون كمال عمل الفضيلة التي هى بيت المعرفة وقبول الاستعلان.

الثاؤريا هى حس بالأسرار الإلهية المخفية في الأمور والأسباب.

إذا ما سمعت الهرب من العالم، أو ترك العالم، أو النقاوة من العـالم، ينبغـي أن تعرف وتتعلم ليس كيف اتفق بل بحركات المعرفة ما هى كنيته وتسميته العالم ومن كـم نوع وأمر ينقام هذا الاسم وعند ذلك تقدر أن تعرف نفسك بعدها من العالم أو خلطتها فيه **إن لم يعرف الإنسان أولاً إيش هو العالم ما يعرف بكم عضو هو بعيد منه أو مفيد فيه.**

كثيرون يظنون إذا ابتعدوا من العالم بأمرين أو ثلاثة ومنعوا أنفسهم منه أنهم قد خرجوا منه بتدبيرهم وبأنهم لم يفهموا. ولا تميزوا بحكمة إن كان بعضو واحد أو باثنين

قد ماتوا من العالم وبقية أعضاءهم حية داخل جسم العالم ولهذا ما استطاعوا أن يحسوا بآلامهم، ولأجل أنهم لم يحسوا بها لم يعتنوا بعلاج أنفسهم وتطبيبها.

العالم يقال اسم يحوي آلام مفترزة، وإذا ما أردنا أن نسميهم جميعهم ندعوهم عالم، وإذا أفرزناهم أعني الآلام ندعو كل واحد منهم باسمه، الآلام هم أجزاء جريان هذا العالم وإذا ما بطلت الآلام تخلف العالم من جريه الذين هم محبة المال وجمع الأشياء وتنعم الجسد الذي منه تكون مادة ألم الزواج، ومحبة الكرامة التي هى ينبوع الحسد، ومحبة الرئاسة، الافتخار، وجاه السلطة، الطرمدة، الصلافة، مدحة البشرية التي هى سبب الحقد، جبن الجسد .. وإذا ما بطلوا هؤلاء من سيرهم بقياس تخلفهم، يبطل العالم من تقويمه، كمثل ما كان في واحد واحد من القديسين أنهم كانوا أحياء وموتى، أحياء بالجسد وليس يعيشون جسدانياً.

تميز بأي واحد هؤلاء أنت حي، وعند ذلك تفهم بكم جزء أنت حي في العالم، وبكم أنت ميت منه، وإذا ما عرفت إيش هو العالم من هذه الإفرازات تعرف إن كنت مرتبط به أو تحللت منه.

وباقتصار .. العالم هو التدبير الجسداني ورأي البشر لأن الانتقال منه بهذين الأمرين يعرف من تغير التدبير ومن إفراز الحركات من اختلاجات فكرك تعرف مقدار تدبيرك من الأشياء التي بها يطيش بحركاته أي الأمور التي تشتاقهم الطبيعة من غير تعب وأيهم حركات الداليمة، وأيهم التي العوارض تحركهم.

وإن كان الفكر قد أخذ حاسية الحركات الغير جسدانية أو جميعه يتحرك هيولانياً، وإن كانت هيوليته آلميه أو هم رسوم تجسم العمل، الذي يتخيلهم الفكر بغير إرادته بالأشياء التي بها يعمل الفضائل، ومنهم من غير تمريض يأخذ سبب الحرارة لجمع الأفكار، وبقصد حسس متجسم يعرف أن يعمل الفكر بعد لأجل عدم تخرجه وقلة حنكته، وليس يتألم.

وإن كان ما يمرض بخفية ملاقاة رسوم أفكار الضمير من أجل زيادة التهابه بالله

التي هو معتاد أن يقطع التذكارات الباطلة، وهذه الرسوم الصغار التي في هذا الفضل يكفوا الإنسان وينيروه إن كان عمال ومتفرد عوض كتب كثيرة.

الميمر الثالث :

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

في الأشــياء الطبيعيــة والغير طبيعيــة

♦♦

كل نفس إذا ما أخذت وازدرت اهتمام وهنيذ الأمور على ما في طبيعتها أي الجسدانية، ليس هى محتاجة لعناية كثيرة وجهد كبير لتجد في ذاتها حركات الحكمة التي توصلها إلى الله. **لأن السكون والابتعاد عن العالم بالطبع يثير حركات إفهام الخلائق بالنفس ومنهم ترتفع إلى الله وتثبت في الدهش.**

إذا لم تدخل المياه الغريبة إلى ينبوع النفس، فحينئذ المياه التي من طبيعتها تنبع التي هى الأفكار الدهشة المتحركة إلى الله في كل وقت، وإذا ما وُجدت خارج من هذه أو بسبب من ذكر غريب أخذت، أو الحواس حركوا عليها اضطراب بملاقاة الأمور فهي تسبب الحروب.

وإذا ما الحواس ينحجزوا بالسكون الدائم والتذكارات يبلوا ويعتقوا بالمعونة التي من الهدوء، عند ذلك طبيعة الأفكار النفسانية تنظر، وإيش هم، وما هو طبع النفس وأي كنوز مذخرة فيها؟ الكنوز هى الإفهام الروحية المتحركة بها من ذاتها من غير عناية وتعب حتى والإنسان ما يدرك إن كان مثل هذه الإفهام تتحرك في الطبع البشري ومن الذي صار له معلم أو كيف وجد هذا الشيء الذي إذا ما أراد أن يصف هيئته لرفيقه ما يعرف، أو من هو الذي أرشده لهذا الأمر الذي لم يتعلمه من آخر.

هذه هى طبيعة النفس، فالآلام والشهوات هم دخيلة على النفس، لأنها بطبعها غير متألمة، وإذا سمعت الكتب تتكلم عن آلام جسدانية ونفسانية، افهم أن لأجل أسبابها قيلوا، لأن النفس ليس في طبعها الآلام الشهوانية، أما الفلاسفة الخارجين ولا أتباعهم يوافقون على هذا الرأي، وأما نحن نصدق أن الله لم يصنع في صورته الآلام.

قولي صورة الله لست أعني الجسد بل النفس التي هى غير مرئية، لأن كل صورة يتشكل فيها نموذج ما تشبهه.

والصورة المرئية ليس يستطاع أن يتصور فيها صورة الغير مرئي، ولهذا نصدق أن ليس في طبع النفس آلام كما تقدم القول.

فإن قاومنا أحد في هذا .. فليقُل لنا أيما هى طبيعة النفس: هل تكون بغير آلام وهى مملوءة نوراً؟ أم تتحرك بالآلام الشهوانية وهى مظلمة؟

إنه إذا ما كان طبع النفس نقي بقبول النور السعيد، تكون قد رجعت إلى خلقتها الأولى، وإذا ما تحركت في الآلام هو الشيء الخارج عن طبعها وقد خرجت إليه.

وهذا هو اعتقاد البيعة المقدسة ..

فظهر الآن إن الآلام من بعد قد دخلوا على طبع النفس، ولا ينبغي أن نعتقد أن ثمة آلام نفسانية بالكلية لكي تتحرك فيها النفس، وإنما بالشيء الذي خارج عن طبعها تتحرك وليس بما يخصها من دون الجسد وأن يظن إذا تحركت بهؤلاء أنهم طبيعة لها، فيكون الجوع والعطش والنوم مختص بالنفس لأنها مع الجسد تحزن بهم، وتتنيح، وأيضاً قطع الأعضاء والأوجاع والأمراض وما تبقى لأجل شركتها مع الجسد يتضيق بهم وهى معه، وتتحرك أيضاً بأفراح الجسد.

الميمـر الرابـع :

****

طبيعــة الـنفـس والجســد
وفــوق طبعهــا وخــارج عــن طبعهــا

****

طبيعة النفس هى إفهام الخلائق جميعهم المحسوسة والمعقولـة .. فـوق طبعهـا تحركها بالثاؤريا الإلهية، خارج عن طبعها تحركها بالشهوات والآلام.

وأيضاً مصباح المسكونة القديس باسيليوس قال: **إذا ما وجدت النفس فـي طفـس وضعها الطبيعي كانت في العلاء، وإذا كانت خارجاً عن طبعها هى في السفل والأرض،** لأن الآلام ليس لهم مكان فوق، الموضع الذي يقال إنه بلاد النفس، بل إذا ما انحط الطبـع إلى أسفل عند ذلك يكون متألم. فأين الآن هم الآلام النفسانية؟. فظهر أن النفس ليس فـي طبعها آلام، بل تتحرك بآلام الجسد المرذولة، كمثل ما تحزن معه بالجوع والعطش.

ولأجل أن هؤلاء لم يوضع عليهم ناموس ليس عليها فيهم ملامة كمثل الـذين هـم تحت اللوم، وقد يؤمر إنسان بفعلهم ولم يلام على ذلك، بل يأخذ مجازاة صـالحة كمثـل هوشع النبي الذي شارك زواجاً غير شرعياً، وكإيليا الذي قتل لأنه غار للـه، وكأولئـك الذين طعنوا بالرماح أقربائهم لأجل موسى لما أمرهم.

فإن قيل أن النفس لها في طبعها الشهوة والغضب خارج عن طبع الجسد وهـؤلاء آلامها، قلنا أن شهوة النفس إذا كانت ملتهبة بالإلهيات كانـت لهـا طبيعـة، وإذا كانـت بالأرضيات والجسدانيات فلا، وإذا كان تغير لأجل أولئك أعني الإلهيات يقال أنه غضب طبيعي للنفس. وإذا كان لأجل شهوة الجسد والحسد والمجد الفارغ وما يشبه هؤلاء كـان خارج عن طبعها.

أمور كثيرة يقولها الكتاب ويوضع لها أسامي مستعارة وكم من مرة ينسب للنفس ما يخص الجسد، ويضع على الجسد ما يخص النفس دون أن يفرق بينهما، وذلك لئلا يطول الخبر. والفهماء هم الذين يفهمون الشيء الذي يقرأوه، ويعرفون مقصد الكتب، كمثل مـا يخص ألوهية ربنا ينسبها على بشريته متعالياً مرتفعاً.

وأمور بشرية يوضعها على لاهوته، وكثيرين لأجل أنهم ما فهموا قـصد الكتـاب عثروا ههنا عثرة لا قيام لها، وهكذا تجري أمور النفس والجسد.

عن الفضيلة: إن كانت الفضيلة هى عافية طبيعة النفس وصحتها فالآلام هى أمراضها وأسقامها الذين يعرضون للطبع ويخرجوه مـن الـصحة ومعـروف الآن أن الصحة تتقدم في الطبع وللعوارض والأسقام، وإن كانت هذه هى حقيقة فالفـضيلة بحكـم الضرورة هى طبيعة للنفس، والعوارض خارج عن طبعها، ولا يمكـن ولا يـستطاع أن الذي هو قد يمر بها أن يكون طبيعي.

الآلام الجسدانية: بالطبع هم للجسد وليست مستعارة، وأمـا الـنفس بـسبب الجسد مستعارة وضعوا عليها، فبان الآن وكل واحد يصدق أن الزكاوة (النقـاوة) هـى طبيعة النفس، والاشتهاء والتألم مستعار لأن المرض يأت بعد الصحة ولـيس يمكـن أن يكون الطبع جيد ورديء بالخلقة، وعلى كل حال أن الواحدة تتقدم الأخرى، والمتقدمة هى الطبيعة، لأن كل شيء هو عارض لا يقال أنه من خصائص الطبع، بل يأتي من خارج، وكل شيء مفاجئ وعارض الزوال والغيار لاحق به، أما الطبيعي لا يتغير ولا يزول.

الآلام المخصوصة بالجسد للمعونة وضعوا فيه من الله لأجل تربية وتهذيب الجسد، وأما الآلام المختصة بالنفس، أعني قواتها النفسانية لتربية النفس ومعونتها هـم، وإذا مـا عُصب الجسد بأن يخرج عن الآلام المختصة به ويقفوا النفس .. يتأذى. وكذلك النفس إذا تركت ما يخصها تتأذى، حسب قول الرسول: **" لأنَّ الجسدَ يشتهي ضدَّ الرُّوح والرُّوحُ ضدَّ الجسد "** (غلاطية ٥ : ١٧)، واثنينهما أضداد بعضهم بعض بطبائعهم.

لا يُجدف أحد على الله ويقول أنه وضع الآلام وخطية في طبيعتنا، فهـو خالـق الطبائع ووضع في كل أحد منهم ما يربيه، وإذا ما توافق الواحد مع الآخر، لـيس بمـا يخصه يوجد، بل بما لرفيقه، وإن كانت هذه الآلام هى طبيعة للنفس لكنها لا تتأذى إذا ما استعملتهم، أن خاصيات الطبيعة لا يأذون الطبع، وإلا لمـاذا تكميـل الآلام والـشهوات الجسدية يربوا ويقووا الجسد وللنفس يؤذوا؟ لو كانوا لها ما كانوا يؤذوها، ولماذا الفضيلة تعذب الجسد وتنعم النفس؟ **ذلك هو الدليل أن الشيء الذي ما هو طبيعي يؤذي لكل واحد من الطبائع وكل واحد من هذه الطبائع إذا ما يفرب لما يخصه يفرح ويبتهج.**

إذا ما أردت أن تعلم أيما هم خاصيات كل واحد من هذه الطبائع: انظر بأي نـوع ينتفع وبأي نوع منهم ينضر إذا استعملهم، فتعرف أن الذي يدفع به هو خاصيته والـذي ينضر منه ليس هو له.

وهذا هو الحق باقتصار، فظهر أن كل واحد من هذه الآلام التي للجسد هم يعـزوه وتنيحه، وإذا استعملتها النفس لم تحسب من طبيعتها، لأن خاصيات الـنفس هـى مـوت الجسد عن الشهوات ونياح العالم.

إنما وضعوا على النفس آلام الجسد مستعاراً من أجل ضعف الجسد، ولا يمكن أن تعتق منهم. كل ما هى لابسته لأن طبيعتها تشترك بضوائقه لأجل اتحاد حركتها المشتبكة بحواس الجسمانية بالحكمة التي لا تدرك، وإن كان هم مختلطين، بل الحركات مفترزة من الحركات والإرادة عن الإرادة، أعني الجسد والروح.

ولن يتخبط الطبع أبداً ولا يكتم ما يخصه بل كل واحد منهم ولو انحـل الإنـسان بزيادة في الخطية أو في الفضيلة، في وقت يحرك كل واحد منهم إرادته ويختلج بما يخصه.

وإذا ما ارتفعت النفس من اهتمام الجسد جزئياً، عند ذلك جميعها بـالروح تخـتلج حركاتها، وفي قلب السماء تقوم بالأمور الغير مدركة، ومع هذا ما يختلف الجسد عن ذكر ما يخصه، وإذا ما انهمك الإنسان في الخطية ليس يهدأ واحسنات النفس من تحركهم فـي العقل.

الميمر الخامس :

****

مـا هـى زكـاوات الضـمير

****

نقاوة الضمير ليس الذي ما يعرف الشر وإلا كان بهيمة، ولا الذين هم في منزلـة الطفولية ندعوهم أنقياء الفكر ولا أُناس لم يتجربوا أبداً، ولا مما يخص المخلوقين نطلـب من البشر، بل زكوات الضمير هى النقاوة بالإلهيات التي تكون بعد عمل فضائل كثيـرة، ولا هذا نجسر أن نقول أنه ليس يمتحن بالأفكار وإلا يكون غير لابس جسد لأن المضادة ليس ترتفع من الطبع من قبل العالم المزمع ..

امتحان الأفكار ليس هى أن الإنسان يوافقها ويتنازك معهم، بل هى مبدأ الجهاد.

الأفكار المتحركة في القلب تكون من أربعة أسباب الموضوعة لحركة كل أنـواع الشهوات والآلام، وليس يوجد إنسان كلما هو في هذه الحياة خالص من تذكار مـا ههنـا وبريئاً من مبدأ الجهاد ولو يكون كاملاً مثل بولس.

١ - لأن الجسد بحركاته كترتيب الطبع هو العالم بطبائعه تخدمه الحواس.

٢ - والنفس بالأفكار والتذكر.

٣ - وقوة الميالة والرغبة.

٤ – والشياطين بتحريكهم هذه الأشياء التي قيلت. بهذه الأربعة تطارد لناظر الآلام المتجرب فإذا ما حس بهم .. بشيء قليل، يخطف إلى الأمور الفاضلة التي بالإفهام تبصر.

من قبل بطلان العالم والانتقال بالموت لا يستطاع أن يبطل واحد من هذه الأربعة، لا الجسد يستغني عن حوائجه بالكمال لأن الطبيعة تغصبه لطلب شيء من هذه الأمـور الحاضرة، وما دام مضطراً لهم بحكم الضرورة، لأن الآلام تتحرك بكل لابس جسد وهـم مفتقرين للاحتراس قولي الآلام، ليس أعني واحداً أو اثنـين، بـل كـل إفـرازات الآلام

العارضة كل لابس جسد، بل يجسر الإنسان بشيء واحد وهو ضعف الحركات ونقـصان الجهاد وهذه ليس تعبة ولا محتاجة لكثرة احتراس.

الفرق بين نقـاوة الفكر إلى نقـاوة القـلب:

أُخرى هى نقاوة الفكر وأخرى هى نقاوة القلب، كمثل الفرق ما بين عضواً واحـداً من الجسد لجميع الجسد.

الفكر هو واحد من حواس النفس والقلب هو ضابط كل الحواس الداخلة، أعني حث الحواس الذي هو الأصل، فإن كان الأصل مقدساً، فأيضاً كل الأغصان، وليس كمثل واحد تقدس.

أما الفكر بمفاوضة الكتب قليل، وعمل الـصوم والـسكون ينـسي هذيـذه الأول، ويتطهر إذا امتنع من كل مفاوضة غريبة، ولكن يتسخ أيضاً عاجلاً.

أما القلب بضوائق عظيمة وجهاد وعدم كل خلطة العالم مع ميتوتة كاملة من كـل شيء ينقى. وإذا نقى ليس يتسخ صفاوته من ملاقات قليلة ولا من حروب صعبة تخـاف زكاوته، لأنه قد اقتنى معدة صحيحة تهضم بسهولة كل مأكول الأشـياء العـسرة علـى المرضى بنيتهم وحسب قول الأطباء أن كل مأكول لحمي عسر الهضم قوة زائـدة يمـنح الجسد الصحيح إذا حصل في معدة قوية.

كل نقاوة تكون سهلة وفي زمان قليل وبأعمال قليلة، هكذا أيضاً بسهولة تتسخ. وكل نقاوة تقتني بضوائق كثيرة وفي مدة طويلة وبكل أجزاء النفس ليس تخـاف مـن ملاقات الأمور الحقيرة.

الحواس المتعفف يولدوا السلامة للنفس ولا يتركوها أن تأخذ تجربة الأمور وقلة أخذها إحساس الأشياء الباطلة والأمور هى الغلبة بلا جهاد، وأما إن تهاونت عن الثبات بتلك حتى تدخل الحاسية الباطلة وبعد ذلك تحارب أن تكون خارج منها تحـرق الأولـى التي هى الحسنات والوداعة التي هى من الطبع.

أكثر الناس، بل العالم جميعه بهذا المعنى يخرجون من بلادهم التي هى البلد الطبيعي والنقاوة الأولى ليأخذوا معرفة شيء بشيء، **ولأجل هذا الذين تقلبوا في العالم بزيادة، بصعوبة كثيرة يُنقوا، لأنهم اقتنوا معارف شرور كثيرة** .. واحد من كثيرين تجد فيهم من يرجع إلى بلاده الأول بالنوع الثاني، **الوداعة والسذاجة أوفق كثيراً وأخير من الأنواع المختلفة.**

لنوال الغفران يليق الخوف في كل وقت للطبع البشري يحفظ حدود مخالفة الوصية والحب لكي يحرك فيه الاشتياق للصلاح الذي من أجله ينخطف لعمل الحسنات.

اكتساب الروح للمعرفة يكون بطبيعتها تالياً لعمل الفضائل ويتقدم هـذين الاثنـين للحب والخوف، ويتقدم الخوف والحب، وكل من يتوقح باقتناء الأخريات قبـل تحـصيله الأوليات، بغير شك أساس الهلاك يضع في نفسه.

لا تبدل حب قريبك بحب الأشياء المادية. لأن الذي هو أشرف من الكل مخفي داخله.

الشيء الذي هو الحاجز الجسماني للأعين الجسدانية هكذا أيضاً هـو الاسـتعمال الألمي للنظر الخفي كمثل سحابة الشهوات تحجب للثاؤريا الطبيعة الثانية، هو أيضاً للتقانة الطبيعية وبهذا النوع بعضهم لبعض.

إذا ما كان العقل قائماً بالتقانة (النقاوة) الطبيعية هو في ثاؤرية الملائكة التي هى الثاؤريا الأولى الطبيعية وتدعى أيضاً عقلاً عارياً وصافياً، وإذا ما كان بالمعرفة الطبيعية الثانية من الابزاز المتجسمة يرضع ويغتذي لبناً، تلك التي تدعى ملابس ثانية.

المرتبة التي تقدم القول بها وقد وضعت من بعد الزكاوة يدخل إليها العقـل وهـى أيضاً المتقدمة بالخلقة وطقس المعرفة الأول هو أخيراً بالكرامة ولأجل هذا تدعى ثانيـة كرسم حرف مآ ❖ الذي بهم ينقا ويتدرج العقل والصعود للرتبة الثانية التي هـى كمـال

❖ حرف " مآ " هو حرف من الحروف الهجائية السريانية.

حركات العقل والرتبة القريبة لقبول الثاؤريا الإلهية.

اللباس الأخير الذي للعقل هى الحواس وتعراه هى حركته بالثاؤريا الغير هيولانية.

اترك الحقيرات لتجد العظيمات، دع الزائلات لتجد الكريمات.

كن ميتاً بالحياة ولا تعش بالميتوتة، أعط نفسك أن تموت بالنشاط ولا تعش مديون.

ليس فقط الذين لأجل أمانة المسيح نالوا ميتات هم شهداء بل والذين لأجل حفـظ وصاياه يموتون بالحرص والجهاد.

لا تكن جاهلاً في سؤالك الله لئلا تهينه بقلة معرفتك .. اتحكم في صلاتك لتستحق الممجدات، اطلب المواهب الكريمة من الذي لا يمنع لتقبل من عنده الكرامة بسبب مـا اختارته مشيئتك الحكيمة.

احرص أن تصلي لتستأهل النعمة، سأل سليمان الحكمة فـأعطي معهـا مملكـة الأرض لأنه عرف أن يسأل الحكمة من الملك العظيم، سأل أليشع روحاً متضاعفاً علـى معلمه وأعطي سؤال قلبه.

الذي يسأل من الملك الحقيرات يقصر (يـزدري) بكرامتـه، طلـب إسـرائيل الحقيرات فوقع عليه رجز الله، لقد ترك يتعجب بأعمال الله والاستنارة بعظم فعاله وسأل شهوة بطنه كما قيل، وإن طعامهم في أفواههم رجز الرب حل بهم (عد ١١ : ٣٣).

ولكن أنت قرب للرب مسائل كمثل سبحه لكيما تعظم كرامتك عنده ويفرح بك، كما أنه لو كان إنسان يسأل من ملك أرضي ملء كيل زبل، ليس هو فقط يهان، ولكنه استحقر بالملك بسبب هواء مسألته.

هكذا والذي يسأل في صلاته الجسدانيات.

هوذا الملائكة ورؤساء الملائكة الذين هم عظماء الملك ينظرون إليك فـي حـين صلاتك ماذا تطلب من ربهم ويعجبون منك حيث ينظرون جسداني قد ترك مزبلته وسأل السمائيات.

لا تطلب من الله الشيء الذي من غير مسألتنا هو معتني أن يمنحنا إياه، ولـيس

فقط لخواص بل والذين هم غرباء بالتمام من معرفته.

لا تكونوا مفقفين كالحنفاء، لأن الأمور الجسدانية شعوب الأرض تطلبهـا وأنـتم لا تهتمون ماذا تأكلون أو ماذا تشربون أو ماذا تكتسون لأن أبيكم يعرف أنكم محتـاجيهم **(مت ٦ : ٣١ ، ٣٢)**.

ليس أبداً يسأل الابن من أبيه خبزاً بل على الأشياء الكريمة التي في بيت أبيه يقدم سؤاله، وأما أمر سيدنا أن نسأل خبز يومنا بالصلاة، هذه أسلمها لعامـة الجميـع لأجـل ضعف ضمايرهم، وأما ذو المعرفة والنفس الصحيحة أمـرهم أن لا يهتمـوا لا بقـوت ولا بكسوة، فإن كان على الطير الذي ليس فيه نفس: الله به عنايته، كم بالحري عليكم .. بل اطلبوا من الله ملكوته وبره وهؤلاء الجميع تزدادوهم **(مت ٢٥ : ٢٦ - ٣٣)**.

وإن أطال الله روحه إذا أنت سألته، حيث تطلب وليس تأخذ بسرعة، لا تحـزن، ليس أنت أحكم من الله، إذ كان مثل هذا الحال أن أعمالك أنت ليس بأهل لسؤالك، ولأن طريق قلبك أنها بعيدة من حد صلاتك، لأن منزلتك في الخفايا كالطفـل قبالـة الأشـياء العظيمة، ليس يليق أن الأشياء الغالية بسهولة تقع بأيدينا لئلا تهان موهبة الله مـن أجـل سهولة وجودها، **لأن كل شيء يوجد بالسرعة يكون عدمه بالسرعة وكل شـيء يوجـد بالتعب بالحذر يثبت وينحفظ.**

اعطش من أجل يسوع لكيما تروى من حبه.

غمض عينيك من كرامات العالم لكيما تستأهل أن تملك في قلبك السلام من الله.

صوم من الأشياء المشتهاة الزاهرة قدام الأعين لتستحق للفرح بالروح.

إن كانت تدابيرك لا توافق إرادة الله لا تطلب منه الممجدات لئلا تكون مثل رجل يجرب الله. لتكن سؤلاتك باستقامة حسب تدابيرك النقية.

ليس أحد يشتهي السمائيات إذ هو مرتبط بهواه في الأمور الجسدانية، وليس أحـد يطلب الإلهيات وهمه في الأرضيات، لأن شهوة كل إنسان من أعمالـه تعـرف وعلـى الأشياء التي يعتني بها في صلاته إياها يطلب، وذلك الشيء الذي يصلي لأجله يحرص أن

يظهره باجتهاد.

الذي هو متشوق للعظائم ليس يلتفت للحقيرات.

كن حراً إذ أنت مرتبط بالجسد وأظهر طاعتك وخضوعك بحريتك من أجل المسيح.

كن فهيماً بوداعتك لئلا تسرق.

حب الاتضاع في كل تدبيرك لتخلص من الفخاخ التي لا تدرك الموجودة كل حين خارج من السبل التي يسلك فيها المتضعين.

لا ترذل الشدائد لأنك تدخل بهم إلى المعرفة.

لا تفزع من البلايات لأن بهم تجد الكرامات، بـل صـلي أن لا تـدخل التجـارب النفسانية، أما التي للجسد فتهيأ لها بكل قوتك، لأنك لا تستطيع تتقرب لله إلا بهـم لأن النياحه الإلهية في داخلهم موجودة.

الذي يفر من البلايا والتجارب يهرب من الفضيلة ليس أعني من تجارب الشهوات ولكن الشدائد.

وكيف يقول ربنا صلوا أن لا تدخلوا التجارب واحرصوا أن تـدخلوا فـي البـاب الضيق، وأيضاً لا تفزعوا من الذين يقتلون الجسد، ومَن يهلك نفسه من أجلي يجدها، وفي كل موضع على البلايا يحرضنا، وههنا يأمرنا أن نصلي لئلا ندخل التجارب؟

أي صلاح يكون بغير بلايا أو أيما البَلية التي هى أشد من الهلاك الذي أوصانا أن ندخل فيه من أجله كقوله: **" ومَنْ لا يأخذ صليبهُ ويَتبعُني فلا يَستحقُّني "** (مت ١٠ : ٣٨)

وفي كل تعليم مزدرع الدخول إلى البلايا، وقد قال من غير البلايا ليس تنال ملكوت السماء، وههنا قال صلوا أن لا تدخلوا التجارب ..

يا ما ألطف وأدق تعليمك يا سيدنا، والذي لا يفطن بمعرفة إذ هو قرأ دايماً يـصير خارج منها بفهمه.

لما سأله ابني زبدي وأمهم الجلوس معه في ملكوته طلب منهم إن كانوا يستطيعون أن يقبلوا بفرح كأس التجارب، بقوله أتقدرون أن تشربوا الكـأس التـي أنـا أشـربها، والمعمودية التي أنا أعتمد؟ **(مت ٢٠ : ٢٠).**

وكيف تأمرنا أن نصلي أن لا ندخلها ..

معنى أن صلوا أن لا تدخلوا التجارب: هى تجربـة الإيمـان، نـصلي ألا نـدخل التجربة وفي فكرنا شكوك الشياطين كالتجديف والكبرياء، صل أن لا تدخل بتخلية فـي التجارب الظاهرة بالحواس التي يعرف الشيطان أن يدبرها ويأتي بها عليك إذا سمح مـن الله من أجل أفكارك الردية التي تفكر فيها.

صل أن لا يبتعد عنك ملاك العفة وتجرب في التهاب الشهوة من غير الملاك.

صل أن لا تدخل تجربة مجاذبات الأمور التي تبعدك من الله.

صل أن لا تدخل التجارب النفسانية أولئك الذين يقيمون الـنفس بجهـاد الـشكوك والمجاذبات. فأما التي بالجسد فتهيأ لها من كل نفسك وبكل أعـضاءك، ولـتكن عينيـك مملوءة دموع لكيما يوجد معك فيها حافظك.

بدون البلايا ليس أحد يحس بعناية الله ولا يحصل له عنده دالة ولا يتعلم حكمـة الروح ولا يتأسس حب الله في نفسه.

من قبل البلايا كمثل غريب يصلي الإنسان إلى الله فإذا دخل التجارب مـن أجـل حب الله، حينئذ يصير من أهل خاصته، ومثل من قد وجب حقه على الله وصـار مـن أحباءه الذين قاتلوا أعداءه من أجل مسرته.

هذا هو قوله صلوا لئلا تدخلوا التجارب المخوفة الشيطانية من أجل تعظمك بل من أجل حبك لله لكي تظهر فيك قوته.

صل أن لا تدخل هؤلاء من أجل جهالة أفكارك وأفعالك بل لتختبر أنك محب للـه لكي تتمجد قوته بصبرك.

على مراحم سيدنا:

أنه وزن وقاس كلامه حسب ضعف البشرية وأيضاً في هذا الباب استعمل سـيدنا الرحمة حسب نعمته بأمور الجسد لأجل ضعف الطبيعة لئلا من أجـل انحـلال الجـسد لا يستطيع الثبوت قدام صعوبة البلايا إذا ما حصل فيهم ولأجل هذا يسقط من يسقط مـن الحق إذا انغلب من الضوائق، **فلهذا أمرنا أن نصلي صلاة، إذا ما عرضوا لنا التجـارب،** إن أمكن أن نرضي الله من دونهم، وإن اضطررنا إلى عمل فضيلة عظيمة، وتقفوا بهـا تجارب كثيرة، ولو أنهم مخوفون جداً، وإن لم يحتملهم الإنسان ما يقدر أن يكمـل تلـك الفضيلة، في ذلك الوقت ليس ينبغي أن نرائي أنفسنا أو أحد من الناس، ومن أجل الخوف نترك هذا الفعل العظيم الذي به حياة أنفسنا ونأخذ الرخاوة حاجزاً لنا ونحـتج صـلوا أن لا تدخلوا التجارب الذين هم هكذا يحيطون بالوصية خفياً بل إذا اتفق واحد من وصايا الله أن يفعل الإنسان، إما عفة وإما إسكيم القداسة وإما اعتراف بالإيمان. وإما أن يشهد علـى كلام الله وأن يحفظ بحرص حدود الشريعة وما يشبه هؤلاء .. ولا يمكن من دون البلايا فلا يجبن.

ينبغي لك الآن أن تكون واثقاً بالله متهيء للعمل وتجسر علـى الجـسد وتـسلم نفسك لله وتدخل من الباب الضيق باسم الرب بلا فزع، وذلك الذي كان مع يوسف فـي أرض مصر وصار شاهداً للعفة، ومع دانيال في جب الأسود، ومع حنانيا وأصحابه فـي أتون النار ومع إرميا في جب الحمأة ونجاه وغطاه برحمته في وسط عسكر الكلـدانيين، ومع بطرس في الحبس وأخرجه من الأبواب المغلقة، ومع بولس في مجمع اليهود ..

وبالجملة نقول الذي كان في كل دهر وزمان وحين وموضع مع عبيـده وأحبـاءه وأظهر فيهم قوته ونجاهم وحفظهم بعجب عظيم كثير، ونظروا خلاصه ظاهراً في جميع

بلاياهم وتجاربهم .. **هو الذي يقويك ويحفظك في الأمواج الـشديدة التـي تكـون فـي وسطهم من أجل اسمه.**

فخذ الآن في نفسك غيرة المكابيين مقابل العدو المخفي، وكبقية الأنبياء القديـسين والرسل والشهداء والمتوحدين الذين أقاموا النواميس الإلهيـة وثبتـوا وصـايا الـروح في البلايا الصعبة والمواضع الفزعة، وطرحوا بالعالم أجسادهم إلـى خلـف وتمـسكوا بالحق ولم ينهزموا من الشدائد التي حلت بأنفسهم وأجسادهم ولكنهم نجحوا وفازوا بـالقوة الإلهية.

من أجل ذلك أسماؤهم مكتوبة في سفر الحياة إلى مجيء ربنا، ورسمت أخبارهم في الكتب تشجيعاً وتعليماً حسبما شهد الرسول لكي بهم نتحكم ونتعلم طرق الله، وتوضع سيرهم كالأنموذج قدام أعين ضميرنا، ونأخذ التشبه بهم بتدابيرنا بقياس ما ساروا القدماء.

يلذ للنفس الحكيمة الكلام الإلهي كالغذاء الذي يدسم الجسد، شهية جداً هى أخبار القديسين في مسامع الودعاء كشرب الماء للنصبات الجديدة.

لتكن مرسومة عندك صورة تدبير الله مع القدماء كالأدوية الكريمة للعين الضعيفة واحفظ ذكرهم عندك في كل أوقات النهار وهذ فيهم وتفكر لتتحكم منهم.

لتأخذ بكرامة ذكر عظمة الله في نفسك وتجد لذاتك حياة الأبد، بربنا يسوع المسيح المتحد الوسيط بين الله والناس. ذلك الذي ما تستطيع الملائكة أن تقرب المجـد المحـيط لعرش كرامته، من أجلنا ظهر في العالم مهان متضع للناس ولم يكن له منظر ولا شـعاع ذلك الذي خفية ما تقاس ولا تدرك من إحساس المخلوقين، بل من أجل اتحـاده بالجـسد الذي أخذه من جنسنا كمل تدبيره لخلاص وحياة الكل، هو الذي ظهر به شعوب كثيـرة. والرب حمله خطايانا حسب قول إشعياء، والرب شاء أن يوضعه ويؤلمه إذ هو لم يعرف خطية.

الذي من أجل تدبيره في كل الأجيال من أجلنا ينبغي له المجد والكرامـة والحمـد والسجود من الكل إلى أبد الآبدين. آمين.

الميمر السـادس :

++++++++++++++++++

في أنـه
مـن أجـل مـاذا النفسـانيـون بالمعرفـة يتفرسـون
فـي الأشـياء الروحـانيـة كغلـظ الأجسـام وكيـف يستطيـع
العقـل أن يرتفـع مـن هـذا ومـا هو السـبب في عـدم انعتاقنـا منـه

++

الرب المبارك يفتح باب قدامنا أن لا نهتم بشيء إلا به، وهكذا نتخلا ونترك كل شيء وفي طلبه فقط نصرف عقولنا ولا يكون يا أحبائي هم شيء يحجز ما بيننا وبين الله، وكلما ترك العقل هم ما يرى ويهتم بذلك الرجاء المستأنف بقدر ارتفاعه من هم الجسد وشغله في ذلك، هكذا يتنقى ويكون صافياً في الصلاة، وبقدر ما ينعتق العقل من رباط الاهتمام، كذلك يصفو وكما أنه يصفو يتنقى وكما يتنقى يرتفع من حركات هذه الدنيا الحاملة غلاظ الأعراض، ويعرف العقل أن ينظر في الله مثله وليس مثلنا.

إن لم يستحق أولاً الإنسان الاستعلان ما يقدر أن يعرف هذه، وإن لم يصل إلى الذكاوة لم تصفو حركاته ليبعد الخفيات، وإن لم ينعتق من كل شيء يرى ومن اقتناءهم ليس ينعتق من الحركات التي من أجلهم ولا يكون بطال من الأفكار الذين يظلمون العقل.

وحيث الغشاوة وتشبيك الأفكار، هناك تكون الأوجاع، وإن لم ينعتق الإنسان من هؤلاء كلهم الذي قامت ومن أسبابهم ليس يتفرس العقل بالخفيات ومن أجل هذا قبل كل شيء أمرنا ربنا بالتجرد ونتمسك بالمسكنة والابتعاد من سجس العالم والانحلال من هم كل الناس حسب قوله من لا يكفر بأهله وبكل شيء له ويكفر بنفسه أيضاً لا يقدر أن يكون لي تلميذاً (لو ١٤ : ٢٦ ، ٣٣).

وهذا حتى لا يرتزي العقل (لا يتسجس) من شيء لا بمنظر أو بسمع ولا بهم الأشياء ولا بفسادها ولا بتدبيرها ولا بإنسان رأساً (رئيساً)، لأنه ربط عقلنا برجائه فقط وإليه اصرف كل أفكارنا وبه ربط كل همنا بالانحلال من كل شيء، ومن ههنا نشتاق إلى مفاوضته بدوام اهتمامنا به.

وأيضاً تحتاج الصلاة إلى التدريج لكيما من طول المكوث فيها يتحكم العقل، من بعد التجرد الذي يحل حركاتنا من الرباطات.

وأيضاً تحتاج الصلاة إلى مداومة زمان لكي يأخذ العقل دربة ويعرف كيف يقمع أفكاره ويتعلم من كثرة التجربة التي من آخرين ما كان يمكنه أن يعلمه.

كل تدبير له تربية من التدبير الذي قبله، والذي قبله هو المطلوب حتى يوجد الذي بعده.

فالصلاة يتقدمها الخلوة، والخلوة من أجل الصلاة، والصلاة لكيما تقتني حب الله، لأن بهذا نتخذ أسباب لنحب الله.

وينبغي لنا أيضاً يا أحبائي أن نعرف أن كل مفاوضة تكون في السر وكل اهتمام حسن للعقل في الله. وكل هذيذ بالروحيات بأسباب الصلاة وباسم الصلاة يوجدوا داخل من هذا الاسم مجتمعين.

وإن كانت قراءة بإفراز تقال، وإن كان أصـوات الأفـواه بتـسابيح اللـه، وهـم بالانسحاق أمام ربنا، أو ميطانيات الجسد وتهليل التزمير وسائر ما تبقى لأن منهم تقبـل تعليم الصلاة الحقانية، ومنها حب الله يولد. وهو الحب بالصلاة، والصلاة بالتقلب الفردي أي بالخلوة والانفراد لأجل الصلاة، لأجل أن يكون لنا مكاناً نتحدث فيه مـع اللـه فـي الوحدة.

وأيضاً يتقدم الخلوة الرفض بالعالم، فإن لم يترك الإنسان أول كل شيء ويتفرغ ويتعرى من كل ما له ما يقدر أن يتوحد.

هكذا أيضاً وترك العالم يتقدمه الاحتمال والصبر وبغض العالم ويتقدم بغض العالم بخوف جهنم، والشوق إلى ما فوق، وإن لم يخوف الفكر رعـب جهـنم وتجنبـه محبـة

الخيرات ليس يتحرك فيها بغض العالم، وإن لم يبغض العالم فإنه لا يصبر من مفاوضته نياحاته.

وإن لم يتقدم الصبر في العقل لا يقدر أن يختار له مسكناً ممتلئ من الوحشة وخال من السكن، وإن لم يختار له حياة منفردة، ما يقدر أن يدوم في الصلاة.

وإن لم يداوم الحديث مع الله ويثبت بتلك الحركات المختلطة بالصلاة وأنواع التعليم التي بها قيلوا فلن يحس بالحب، **لأن الحب لله في الحديث معه، والتشاغل في الصلاة بالسكون، والسكون من المسكنة والتجرد، والمسكنة بالصبر، والصبر يقتنى من بغض الشهوات، وبغض الشهوات من خوف جهنم ورجاء ملكوت السماء.**

ويبغض الشهوات من يعرف مرارتها وإيش يعدوا له، ومن أي خيرات يعدم من أجلهم ..

وهكذا كل واحدة من الفضائل مرتبطة بالتي هى قبلها ومنها يأخذ تربية وامتداد ويرتفع إلى الأخرى التي أرفع منها، وإن كان ناقص واحدة منهم ليس تثبت معه التي بعدها، ومصير الكل ينحلوا ويعدموا أكثر من هذا هو زيادة كلام.

الدوام في الصلاة التي بلا طياشة لا تحسبها بطلان من أجل تركك المزامير، وأكثر من هذه حب الميطانيات في الصلاة، وإذا أعطاك يد هى تكمل صلاتك، وإذا ما أُعطيت في خدمتك موهبة الدموع لا تحسب المتنعم بهم بطلان منها لأن كمال الصلاة هى موهبة الدموع.

في الوقت الذي يكون فيه عقلك متبدد، أكثر من الصلاة داوم على القراءة، وليس كل كتاب يصلح كما قيل، وأكثر من التعب، حب السكوت، اكرم القراءة، إن أمكن أكثر من الوقوف لأن القراءة هى ينبوع الصلاة الذكية.

لا تتهاون أبداً ولكن تحفظ من الطياشة

أصل الأعمال التزمير، ولكن تكون تعرف أن الألفاظ مع الطياشة هم أكثـر نفعـاً لتعب الجسد، وحزن العقل هو أنفع من تعب الجسد.

في وقت التواني أيقظ وحرك الغيرة أي الغضب ضد الشهوة قليلاً، فينتبه العقل جداً ويحمي لحركات النفس.

كما أن مقابل الشهوة، يعين الغضب الطبيعي، في وقت الغفلة والملل، وتنحل البرودة والفتور من النفس.

كما أن مقابل الشهوة في وقتين ـ أعني وقت الغفلة ووقت الملل ـ لـه عـادة أن يجيء علينا الكسل أكثر من ثقل البطن ومن الضعف، من كثـرة التعـب فـي الأعمـال المتعبة.

عمل مطقس هو ضوء الفكر وليس شيء مثل المعرفة.

كل صلاة تقربها في الليل تكون عندك أكرم من عمل النهار.

لا تثقل بطنك لئلا يطيش عقلك وتكون متعريس بالطيشان.

إذا ما قمت بالليل وتسترخي مفاصلك وتمتلئ كلك كسل واسترخاء، وليس هذا فقط إلا وتظلم نفسك وتتسجس حركاتك ولا تقدر تجمع الألفاظ من أجل الظلمة، وتكون عندك مذاقة كل شيء غير لذيذ، ولا يحلو لك ألفاظ المزامير، ولكن من أجل سرعة العقل وسموه وضياءه يذوق العقل إفرازهم.

إذا ما طقس عمل الليل كان متخبطاً، حينئذ وعمل النهار يكون العقل متسجساً، ويسلك في الظلمة، ولا يتنعم بالقراءة مثل عادته، لأن الظلمة تنزل مثل الغمامة على الإحساس، وإن كان بالصلاة يتحركون أو بالهذيذ.

التنعم الذي بالنهار يحصل للنساك من ضوء أعمال الليل ينبع على العقل الذكي.

كل إنسان لم يأخذ تجربة في السكون زماناً طويلاً لا ترجوا أن تتعلم منه شيئاً على الخيرات التي للمجاهدين ولو كان حكيماً ومعلماً وله كثرة أعمال.

احذر أن لا تضعف جسدك جداً لئلا يقوى عليك الملل وتبرد نفسك من مذاقة عملها، وكمثل الميزان الذي تزن به الأشياء ينبغي أن يزن تدبيره.

في الوقت الذي تشبع احتفظ من الدالة مع نفسك وبعفة يكون جلوسك في وقت الحاجة، وأكثر من هذا تكون عفيفاً ونقي في وقت رقادك، وليس فقط في أفكارك إلا وفي أعضاءك تكون متحفظاً.

احذر من الكبرياء في ساعة الابتدال الجيد، واوري ضعفك وقلة معرفتـك مقابـل مواجهة الظنون، وبالصلاة الحزينة ـ تضرع إلى ربنا لئلا تُخلي أن تجرب بالسماجات، لأنه يلحق الكبرياء الزنا، ويلحق نسيان ذكر الله السبح الباطل والظنـون تلحـق سـبح الباطل.

في عمل يديك بقدر حاجتك اعمل ولكيما يربطك بالسكون، ولا تضعف برجائك على المهتم بك لأن تدابير الله عجيبة في أحبائه، لأنه في برية قفرة يعول أحباءه والمتكلين على رجاءه وليس من أيدي الناس.

إن افتقدك الرب بالجسديات بغير عمل إذ أنت مهتم للنفس فقط عندما يتحرك فيك فكر من حيلة الشيطان القتول إن هذا السبب بلا محالة منك جاءت هذه العناية كلها ومع هذا الفكر تبطل منك عناية الله ومن تلك الساعة ينبع عليك ربوات شرور وبلايا إما من تخلية المهتم بك أو من تجدد أوجاع وأمراض في جسدك تتحرك.

ليس من أجل حركات الفكر يتخلى الله عنك، إلا إذا دمت فيها، **لأن حركات الأفكار التي ليست بهوانا لا يؤدب الله الإنسان عليها، ولا يدينه،** ولأن وافقنا الفكر ساعة واحدة وفي تلك الساعة ينخزنا الحزن وتدركنا الندامة ولا الرب يقاصص عنها في مثل هذه الزلة، إلا لتلك التي بالحقيقة يقبلها العقل، أعني الذين يتدبرون فيها بلا حس ويروا أنها تنبغي وليس يحسبونها خطية

هكذا صل للرب: أيها المسيح تمام الحق أضئ في قلوبنا صدق حب إرادتك لنعرف أن نسلك في طريقك.

أفضل من كل شيء .. حب السكوت.

إذا ما فكر رديء يتحرك فيك .. إما حادث أو من تلك الأشياء التي لها مدة ويظهر نفسه فيك متواتراً اعلم بالحقيقة أنه يريد أن ينصب لك فخاً، فتيقظ عليه للوقت وافرزه، إن كان من ناحية اليمين والصلاح اعلم أنه عربون الحياة يريد أن يعطيك ربنا. ومن أجل هذا من غير العادة تحرك فيك، وإن كان هو فكر مظلم وأنت متشكك فيه بأنك ما استطعت تفرزه إن كان نافع خاص أو سارق مكمن بزي الصلاح مدسوس، استعد عليه بالصلاة الحارة الليل والنهار مع سهر دائم، ولا تطرده عنك، ولا توافقه أيضاً بل اجعل صلاتك لأجله ولا تهدأ من أن تدعو لربنا وهو يظهر ذاته علانية من أي ناحية هو.

أكثر من كل شيء حب السكون، وهو يقدمك إلى الثمرة التي اللسان يضعف عن تفسيرها.

قبل كل شيء نحن نكلف أنفسنا لنسكت وحينئذ من السكون يتولد لنا شيء يقودنا إليه، يعطيك الله أن تحس إيش الذي يولد من السكوت.

إن كنت بهذا التدبير تبدأ، كم من ضوء يضيء لك من هاهنا ..

لا تظن أيها الأخ أن تلك التي قيلت عن أرسانيوس العجيب هى باطلة، لأنه كـان مع الأبهات والإخوة الذين يحضرون إليه بالسكوت كان يجلس معهم، وبالـسكوت كـان يودعهم، **وبهواه فقط كان يعمل هذا،** وإن كان في البدء لم يقتن هذا إلا بتكليف، لذة شيء ما يوعد في القلب، لكن من تدبير هذا العمل بعد زمان وتكليف يجذب الجسد ليـدوم فـي السكوت.

ودموع كثيرة تتولد لنا من هذا التدبير ونظر شيء عجيب يحس به القلب عند تلاوة المزامير، وفي وقت يحزن وفي وقت يتعجب، يتضع القلب ويكون كالطفل، وإذا ما بدأ بالصلاة يسكب الدموع.

عظيم هو الإنسان الذي يضبط أعضاؤه وعوائد عجيبة يقتني داخل نفسه.

إذا وضعت كل عمل التدابير الصالحة في ناحية واحدة وتضع السكوت في ناحية أخرى تجد السكوت يرجح أكثر.

هكذا قالت العظات الكثيرة التي للأبهات، إذا ما الإنسان تقدم إلى السكوت، فهذا أفضل أعماله، لأنه قد ارتفع فوق جميع الأعمال، وقد دنا إلى حد الغاية، وأيضاً هم معينين على السكوت.

ما نقدر إذا سكنا مع كثيرين إلا أن نلقى الناس لأنه حتى ولا ذاك الذي مثل ملاك الله أرسانيوس الذي أحب السكوت أكثر من كل أحد لم يستطع أن يتخلص من لقاء الأبهات والإخوة الذين يكونوا معه ولو في ذهابه إلى الكنيسة.

وحيث أبصر ذلك الإنسان المستأهل الكرامة وكل طوبى أنه لا يستطيع إنسان أن يخلص من هؤلاء مادام ساكناً قرب الناس، فلهذا الطوباوي أرسانيوس أبعد مسكنه أميالاً كثيرة من قرب الناس ومن المتوحدين الذين في تلك المواضع.

وهذا المذهب إنما تعلمه من النعمة ليكون سكوته دائماً، وربما كان يتكلف ويفـتح بابه لأناس منهم فمنظره فقط كان يعطيهم عـزاء، فأمـا الحـديث والمفاوضـة فكانـت مرفوضة.

وأبهات كثيرون انتفعوا بمنظره وصاروا يحتفظون بأنفسهم لأخذ تربية غناهم الروحي من التعليم الذي قبلوه من منظر الطوباوي.

وكان إذا أراد أحدهم الخروج من الوحدة لأمر ما كان يضع حجراً في فمه، أو كان يشد حبلاً شائكاً على حقويه أو يعذب نفسه بالجوع الشديد، **لأن الجوع الشديد يساعد على ضبط الحواس.**

وهكذا يا إخوة أدركت أن أبهات كثيرون قد بلغوا الكمال بضبط حواسهم، لأن من ضبط الحواس يتولد ضبط الأفكار.

علل كثيرة يتفق أن يلقى الإنسان من غير إرادته ويصيروه أن يخرج من حد إرادته وحريته، وإن لم يكن متحفظاً بحواسه من العادة الدائمة التي سبق اتخذها في نفسه يصيروه إلى زمان طويل لا يرجع إلى عقله، ولا يجد الهدوء الأول.

تربية القلب تكون من الحديث برجائه، تربية التدبير الروحاني الانحلال من الكل.

ذكر الموت هو رباط فاضل للأعضاء البرانية الذي يصل بالنفس إلى الحياة، وفرح يبهج القلب بالرجاء.

سقى المعرفة هى التجارب الدائمة من الغيارين، كل يوم يشرب العقل من داخل، وإن كان يحصل الضجر من وقت لآخر من أجل الانفراد، بتدبير من الله يتخلى أن يكون هذا للتربية، ولكن لنا عزاء يفوق الكلام.

الرجاء بإيمان قلبنا وحسن قال واحد من لابسي الله **تكفي محبة الله لتكون عزاء للمؤمن في ضيقات نفسه** .. ماذا تؤذي البلايا لمن قد رذل واستحقر النعيم والراحة من أجل الخيرات المزمعة.

أوصيك يا أخي أن يغلب فيك ميزان الرحمة حتى تحس بتلك الرحمة التي لله على العالم. هذه التي تكون لنا مرآة لنبصر تلك الأيقونة الحقيقية بالأمور التي هى على طبيعة لتلك الأزلية المقدسة بهذه، وما يشبه هؤلاء يمكننا أن نتحرك بالله بعقل صافِ.

القلب الغاش ليس يتنقى أبداً، الإنسان الرحوم هو طبيب نفسه ويطرد من داخل سحابة الأوجاع كمثل رياح عاصفة. أمور فاضلة عند الله هى الرحمة مثل كلمة الإنجيل.

إذا دنوت لفراشك لتنام، قول له أيها الفراش لعلك في هذه الليلة تكون لي قبراً، وما أدري إن كان بدلاً من رقاد العادة رقاد الأبد يدخل علي في هذه الليلة.

مادام لك رجلين اجر في طلب العمل قبل أن يربطوا بذلك الرباط الذي لا يمكن حله، مادام لك يدان، أبسطهما في الصلاة قبل أن يجيء الموت ويرخيهن، مادام لك عينان املأهما دموع قبل أن يغطوا بالتراب ..

أنت تشبه الزهر الذي من ريح السموم يذبل، هكذا يخرج عليك من داخلك واحد من العناصر وتموت متهيئ في قلبك للذهاب يا أخي، حيث تقول هوذا قد بلغ إلى الباب الرسول الذي قد جاء ورأى، إيش جلوس بعد هنا؟ هذا الذهاب هو إلى الأبد وليس له رجعة.

الذي يحب المفاوضة مع المسيح، فهو يحب أن يكون وحده والذي يحب الخلطة مع كثيرين هو يحب هذا العالم.

إن كنت تحب التوبة فللسكوت ينبغي لك أن تحب، خارج من الـسكون مـا تـتم بالتوبة.

إن لاججك أحد على هذا ألا تلاججه أنت إن كنت تحب السكوت الـذي هـو أب التوبة. تحب بلذة الخسارة التي تكون للجسد من الملامات والظلم الذي ينبع عليـك مـن الخارج، من صنع هذا بالحرية تقدر أن تعيش بلا سجس، وإن أنـت تهاونـت بهـؤلاء - المضايقات - فأنت تقتني السكوت حسب إرادة الله.

محب السكوت هو منتظر الموت دائماً، وبدون هذا لا يقدر أن يداوم السكوت، واعرف هذا أيها المفرز أننا نحن السكان في الوحدة مع أنفسنا، نعيش في الهدوء والحبس، ليس من أجل التعب الكثير والقوانين نعمل هذا ..

من المعروف هو أن الخلطة مع كثيرين تنشط على هذا من أجل حرص الجسد، ولو كانت الضرورة على هؤلاء فقط ما كان أُناس صالحون وآباء قديسون كانوا يتركون الحديث والخلطة مع الناس، ومنهم في المقابر كانوا يسكنون، وآخرين في المغاير والكهوف بالوحدة كانوا يفضلون الوحدة.

الذي بزيادة يرخي الجسد ويبطل همته من تمام القوانين، ومع كل ضعف واسترخاء الجسد ويبطل همته من تمام القوانين، ومع كل ضعف واسترخاء الجسد وشدة الأمراض التي تلحقهم، بلذة كانوا يداومون ويصبرون كل أيام حياتهم حيث كان فيهم أُناس، ولا على أرجلهم ما كانوا يقدرون أن يقوموا، ولا صلاة العادة يقربون، وما كانوا يقووا أن يسبحوا الله بأفواههم ولا مزمور واحد من العادة التي كانت لهم يفعلوه بالجسد، وحيث هم في هذا الضعف ضبطوا السكوت واختاروه على القوانين .. وبهذا المذهب أجازوا كل أيام حياتهم.

هذا الذي يظن البعض أنه جهاد باطل، ما كانوا يرون في عجزهم عن ممارسة القوانين والأعمال سبباً يدعوهم للتجوال خارج قلاليهم، ويذهبون إلى الكنائس التي في العالم يتنعمون بالأصوات الشجية والتسابيح المتقنة **عالمين إن الذي قد أحس بخطاياه فقد عرف أن الوحدة أخير له من أن ينفع المسكونة كلها بمنظاره، والذي يتنهد ساعة واحدة على نفسه في الوحدة أفضل من الذي يقيم الموتى بصلاته.** ومسكنه وسط السجس والاضطراب، والذي قد استأهل أن يتنهد على نفسه وينتبه لها هو أفضل من الذي قد استحق أن ينظر الملائكة، لأن هذا بعين الجسد يشاركهم وذلك بعين النفس.

الذي بالحزن والنوح في الوحدة يلصق بالمسيح أفضل من الذي كل يوم يمـ ـدحوه في المجامع.

فإن أحد جاب إلى الوسط قول بولس الرسول الذي قال: **" كُنتُ أوَدُّ لو أكونُ أنا نَفْسي مَحْروماً منَ المسيح لأجل إخوَتي أنْسبَائِي حَسَبَ الجسد "** (رو ٩ : ٣) **فالذي أخذ قوة بولس ينبغي له أن يعمل أعمال بولس لأن بولس كان من الغمر الإلهي مكان يتدبر لينتفع العالم، كما أنه كان يشهد أنه ليس بهواه كان يفعل هذا، بل كانت الضرورة موضوعة عليه، وكان يقول: " إذ الضَّرورَةُ موضوعَةٌ عليَّ فوَيْلٌ لِي إن كنتُ لا أبشر "** (١كو ٩ : ١٦).

وأيضاً اختيار بولس ليس للتوبة كان قصده ولكن لينادي للمسكونة، لذلك أعطى قوة عظيمة.

فالآن نحب السكوت يا إخوتي لكيما يموت العالم من قلوبنا ونذكر الموت على الدوام ..

وبمثل هذا الفكر نقترب إلى الله بقلوبنا وبكل قوتنا ونرذل هذا العالم الباطل لنحتقر كل شهواتنا، ونصبر بلذة بجسد مريض بطال دائم في السكوت لكيما نستحق يا إخوتي أن نتنعم مع أولئك الذين سكنوا في المغاير وشقوق الأرض، مترجين ظهور ربنا يسوع المسيح من السماء.

الذي له مع أبيه الصالح والروح القدس،

المجد والكرامة والعز والسجود إلى أبد الآبدين. آمين.

الميمر السابع :

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

في الأسباب التي من أجلها يترك الله التجارب على محبيه

♦♦

محبة الله هى مكنوزة في قلوب القديسين، الذين من أجل اسمه يحتملون أن يكونوا في الشدائد بصبر بلا حدود، ولا يبتعدون من التي يحب الله، وبهذا تقتني قلوبهم دالة لينظروا إليه بلا حجاب، وبالثقة واليقين طالبين كل سؤلاتهم.

كبيرة هى قوة الصلاة التي بنقاوة، ولأجل هذا يخلي الله قديسين يُجربون من الأعداء، لكي بالتجربة أيضاً يعرفون معونته وكم هو معتني بهم، وفي شدائدهم يكون لهم مخلصاً، لأنهم من التجارب يقتنون لهم حكمة لكي لا يكونوا عديمي المعرفة في القتال، وغير دربين من الناحيتين، الخيرات والشدائد، فيقتنون من التجربة معرفة كل شيء ولا يخدعون من الشياطين. ولو أن الله بالصلاح وحده كان يدربهم، كانوا ناقصين من التدريب في الأمور الأخر، ويكونوا أُميين في القتال، وإن قلنا أنه يدربهم بإرادته وبلا معرفتهم من غير تدريج لعله يريدهم - وهذا غير صحيح - أن يكونوا مثل الثيران والحمير ليس لها حرية في شيء، ولا لهم مذاقة بالخير متى أن الإنسان لم يجرّب أولاً بالبلايا وتصادفه الشرور وبمعرفة وحرية يتجرب مثل التي هى له خاصية.

كم هى حلوة المعرفة التي من الدربة تكون من تجربة الأعمال وكم قوة كثيرة تعطي التجربة للذي قد اختبر الأشياء وحصل هذه المعرفة في نفسه، فلهؤلاء هى معروفة

للذين قد عرفوا المعونة التي تكون من هذه، وأيضاً ضعف الطبيعة ومعونة القوة الإلهية.

وعند ذلك يعرفون أنه في البدء منع منهم قوته فحين دخلوا في ضـعف طبيعتنـا وصعوبة البلايا، وشرور العدو وعلموا أي قتال لهم وأي طبيعة هم لابسين وكيـف هـم محفوظين بالقوة الإلهية.

وكلما جروا وكلما ارتفعوا إذا ابتعدت منهم القوة الإلهية كيف يضعفون ويخـزون قدام كل وجع لكيما من هؤلاء كلهم يقتنوا الاتضاع وإلى الله يتقدمون ولمعونته يرجـون بالصلاة، وعليها يداومون، وهؤلاء كلهم من أين اقتنوا هذا لولا أنهم أخذوا تجربة واختبار من بلايا كثيرة، أهملهم الله يجربوا، ولما قال الرسول: **" ولئلاَّ أرتفعَ بفَرْط الإعلانـاتِ، أعْطيتُ شوكَةً في الجسد، ملاكَ الشيطان لِيَلْطمَني، لِئلاَّ أرتفعَ (٢كو ١٢ : ٧)**، ولكي أمانة ثابتة يقتني الإنسان من البلايا بتجربة إطلاع المعونة الإلهية ويأخذ أكثر مـن ذلـك اختبار دفعات كثيرة.

ومن ههنا يكون بلا محالة يقتني ثقة وتجبر من التأديب. لكل إنسان تنفع التجارب والبلايا، إن كان لبولس نفع التجارب فكل فم يستد والعالم كله يبهت قدام الله.

إن التجارب تلحق الجميع، فهوذا الأبرار الحريصون يتعرضون للتجارب ليـزداد غنى برهم، ويتعرض المتهاونون للضربات عساهم يتحفظون ويتشورون، والنيام عساهم يستيقظون والبعيدون عساهم يتقربون إلى الله، والخواص مبدالة يرتفعون.

كل ابن لا يقبل الأدب ولا لغنى أبيه يستأهل، من أجل هذا يؤدب الله ويضنك أولاً ومن بعد ذلك يظهر عطاياه.

المجد لذلك الغمر - الحب - الذي بالعقاقير الحارة لنعمة الصحة، ليس أحد إلا ويشتد عليه وقت الأدب، وليس أحد إذا شرب مرارة سم البلايا ما يتوجع، إلا أن بدون هؤلاء ما يكون لنا مزاج صحيح ويقتني ولا هذه كلما صبرنا هى منا.

من أين للوعاء الذي من الطين أن يصبر لسيل الماء ألا أن تكون النار الإلهيـة تشده وتقويه، إن نحن انحنينا وطلبنا باتضاع وبشوق ودوام وتجلد كل شيء نأخذه.

الميمر الثامن :

+++++++++++++++++

في أنه ما ينبغي من غير ضرورة وكيدة نسأل ونشتهي أن يكون على يدنا أعجوبة ظاهرة أو استعلان

+++

إن كان في كل حين قريب هو الرب بمعونته للقديسين ولكن من غير ضرورة ما يوري قوته بالظاهر وبدون سبب ما يفعل آية ما ظاهرة لكي لا تكون معونتنا بلا طعم ومرزية تهيأ لنا، وهو يصنع بهم ذلك لأنه يهتم بهم دوماً، ويريد أن يوريهم أنه لا ساعة واحدة يبطل اهتمامه بهم بالخفى.

إلا في كل شيء يتركهم يورون حرص حسب قوتهم وبالصلاة يتعبون.

وقد يتعرضون لأمر يفوق طاقاتهم فيضعفون ويتحيرون بسبب عجز الطبيعة البشرية وعدم قدرتها فهو حينئذ يتم كعظيم قوته كما ينبغي ويعرف أن لهم معين وكمثل قادر بالخفى يقويهم مقابل شدة الشيء بسبب المعرفة التي يعطي لهم.

ويصنع انحلال لكثرة ضوائقهم، وبنظر ثاؤريا ينبههم للمجد لتكون المنفعة للناحيتين، وإن كان الأمر مضطر لظهور الأفعال عند ذلك لأجل ضرورة الأمر يصنع ذلك.

حكيمة هى تدابيره وبحسب الحاجة والضرورة يفعل وليس بهمج وكيفما اتفق، والذي من غير ضرورة يجسر على هذا ويطلب من الله ويشتهي أن يفعل على يديه عجائب وآيات، فهذا قد امتحن وسخر به من الشيطان المستهزئ وقد ضعفت بنيته من الافتخار.

لأجل الشدة ينبغي أن نسأل معونة الله ومن غير ضرورة ما ينبغي أن نسأل الله ومن غير ضرورة ما ينبغي أن نجربه، لأن هذا الأمر خطر، ولا هو صديق على هذه

الحقيقة الذي يشتهي هذه، وأما كل القديسين الرب كان يفعل بيدهم من غير إرادتهم، وأما أن الإنسان يشتهي هذه، هو سقوط من الاحتراس وقد زل من معرفة الحق وإذا أعطى هذه ذلك الذي يسأل كمثل ما جسر الشيطان على سيدنا ويجد عليه مكان يجربه إلى أعظم من هذه (جناح الهيكل).

الصديقون بالحقيقة على الدوام بهذا يفكرون في أنفسهم أنهم ما يستأهلوا أن ينظروا إلى الله وليس ما يشتهون هذا فقط بل حتى ولا إن أُعطيت لهم ما يريدوها ليس فقط قدام الناس، بل ولا بينهم وبين أنفسهم، حتى أن واحد من الآباء القديسين لأجل نقاوته أُعطي هذه الموهبة التي بها كان يسبق ويعلم مسبقاً أن إنساناً يريد المجيء إليه، فكان يطلب من الله ويسأل آخرين أن يطلبوا معه أن يأخذها منه، وإن كان أحدهم رضى بهذا إما من الضرورة وإما من البساطة صنع هذه، وأما الباقون فكان الافتقاد الإلهي يتحرك فيهم، ليس كيفما اتفق.

فهوذا القديس أمونيوس لما مضى لزيارة العظيم أنطونيوس وتاه عن الطريق، أُنظر ماذا فعل الله معه، قال: يارب دلني على مغارة عبدك فرأى ندأ يوريه الطريق.

واذكر أيضاً ما صنع مكاريوس لما كان ماضي في الطريق وزنابيله على كتفه، **قال: يارب أنت تعلم أن ما بقى في قوة فوجد في الموضع الذي كان ماضي إليه.**

الصديقون المحقين بهذا يفكروا على الدوام: أنهم ما يستحقون الله، وبهذا يختبرون أنهم مستحقين ويحتسبون أنفسهم أنهم حقيرين وغير مستأهلين أن يهتم بهم.

وبهذا كانوا يعترفون بالسر وعلانية لأن بالروح كانوا يتحكمون لكي لا يتهاونوا في الشيء الذي ينبغي ومن العمل في كل حين لم يبطلوا لأن زمان النياح في العالم الجديد محفوظ لهم، **والذين الله فيهم ساكن، ما يشتهون ههنا أن يكونوا في نياح ولا يعدمون من الأحزان، وإن كانوا يعطوا العزاء بالروحيات من وقت إلى وقت بالخفى.**

والفضيلة ليست هى إذا بلغ الإنسان إليها يتخلف من الاهتمام والتعب، بل هذا هـو مسكن الروح أنه منه وبه على الدوام يخضع نفسه، ويكلفها حتى وإن كان لديـه وسـيلة

لبلوغ الهدف في يسر لأن هذه هى مشيئة الروح الساكن فيه، إلا أنه لا يعودهم التهـاون ولا أن يجلب لهم النياح، لكن يعلمهم بالتعب والتيقظ، فإنه بالأتعاب ينـشطهم وللحكمـة يقدمهم.

هذه هى إرادة الروح أن يكون محبيه بالتعب، فأما الذين بالنياح يتدبرون ليس روح الله فيهم ولكن روح الشيطان، كما قال واحد من محبي الله أنه كان يقول أنه كل يوم يموت.

وبهذا يفرزون بني الله من غيرهم أنهم بالبلايا يعيشون، فأما بني العالم بالنياح والنعيم يبتهجون.

ليس يسر الله أن يتنيحوا محبيه بالجسد، ولكن هواه ماداموا في هذه الحياة أن يكونوا في هذا العالم بالأحزان والضنك والشقاء والتعب، عراة محتاجين مرضى مهانين مرذولين منكسري القلوب متعوبين بالجسد يكفر بهم أصدقاؤهم، عيونهم ممتلئة حزن، غرباء بمنظرهم من العالم، غرباء بجلوسهم بعيدين من كل الناس، متوحدين منفردين عادمين نظر هذا العالم، متخلين من كل أفراح العالم وهمه، هم يبكون والعالم يفرح، هم يعبسون والعالم يضحك هم يصومون والعالم يتنعم، بالنهار يتعبون وبالليل جهاد يستعدون إذ هم في الشدة والتعب.

منهم أناس في الضيق بهواهم ومنهم بالضنك من أوجاعهم ومنهم مرفوضين من الناس بالعنف بالضوائق من الناس والشياطين وما يشبه هذا.

آخرون طردوا وآخرون طافوا وهم لابسين لباس المسكنة وكلمة الرب تمت فيهم أنه في العالم تكونوا في الشدائد لكن بهذا يكون لكم بي فرح.

علم الرب أنه لا يمكن أن يكونوا بنياح الجسد ويدوموا بمحبته، من أجل هذا منعهم منه ومن لذاته.

حُب المسيح يفهر كل ميتات الجسد، وهو يظهر فينا حبه. آمين.

الميمر التاسع :

****

عـن الغـيرة الروحيـــة

****

ماذا تقول أيها الإنسان إن كنت تريد أن تطلع إلى السماء، ولتلك الملكوت تأخذ، والشركة مع الله تنال ولتلك الطوبى والنياح الذي للقديسين والخلطة مع الملائكة ولتلك الحياة التي لا تفنى تريد أن تدرك وأنت دائماً تسأل إن كان في هذا الطريق تعب ..

يا للعجب أن الذين يشتهون أمور هذا العالم الباطل، البحور الهائلة يعبرون والطرق الصعبة يسلكون ولا يرون أن هذا تعب ولا حزن في سبيل ذلك الشيء الـذي يحبـوا أن يصلوا إليه.

أما نحن في كل شيء عن النياح نفتش ونسأل فأما إن أخذنا فـي عقولنـا طريـق الصلاب وعليه نفتش وبه نفكر فأي حزن وشدة. لا تكن هينة وخفيفة علينا، فإن كان ليس أحد أبداً يأخذ الغلبة في القتال أو يكلل أو يبلغ إلى شهوة إرادته إن لم يقنع نفسه أن يصبر إلى الموت هكذا ليس أحد يمدح في الأمور الإلهية أو يقوم بشيء من الفضائل والخدمات إن لم يكن أولاً هانت عليه الأتعاب والأحزان ويبعد من همته كل شيء يحركه للنياح الذي تولد منه الغفلة والاسترخاء والخوف الذي يكون منه العجز في كل وقت، فإذا ما غار من أجل الفضيلة وكذلك الحواس الظاهرة أي النظر والسمع والشم والتذوق واللمس مقابل شدة الأعمال المعاندة لها.

لا يقدرون يغلبون حد قوي الطبيعة إذا ما كان في وقت الغضب يتدبر وحينئذ حياة هذا الجسد تكون عليه هينة إذا ما كان القلب بالغيرة الروحانية يتدبر عند ذلك الجـسد

ليس تقوى عليه الأحزان ولا تهوله المفزعات ولكن يعضده العقل المنتبـه مقابـل كـل البلايا ويصير مثل الحجر المغنطيس فتغار بغيرة الروح من أجل مسرة يسوع وتبعد منا كل غفلة التي تولد في العقل التهاون لأن الغيرة تولد في الـنفس الجـرأة والـشجاعة وحرص الجسد.

فأي قوة تكون للشياطين إذا ما النفس حركت غيرتها الطبيعية مقابلهم.

والنشاط يقال أنه يلد الغيرة ويصير في النفس قوة غير مفزعة، إذا ما الغيرة حركت قوتها للعمل تثبتت فيها.

أكاليل المجاهدين التي يقبلونها الشهداء في صبرهم من جراء الناحيتين أعني الغيرة والنشاط اللذان يولدان من شدة الغضب الطبيعي الجيد ويـصيروا الإنـسان بـلا حـزن ولا وجع من شدة العذاب.

إن أنت عملت فضيلة ولم تحس بمذاقة منفعتها لا تتعجب **لأنه إن لم يتضع الإنسان فلن يأخذ مكافأة عمله. المواهب ليس للعمل تعطى لكن للاتضاع،** فالذي لا يحفظ الثانيـة الأولى يهلك.

الفضيلة هى الأحزان ومن الأحزان يولد الاتضاع.

وللاتضاع تعطى النعمة والمواهب، لأن ليس للفضيلة ولا لأحزانها التـي تكـون من أجلها بل الاتضاع الذي يولد منهم، فإن كان هـذه عـدمت ولـم تكـن فالأوليـات باطلات.

عمل الفضيلة هو حفظ وصايا الرب، أفضل العمل هو تقانت الفكر – نقاء الفكـر – أعني هيئته التي تنقام من الاتضاع والاحتفاظ، وإذا كانت قوة الأوليات ناقصة تقبل هـذه عوضهم.

السيد المسيح ليس لأعمال الفضيلة فقط يطلب إلا لتقانت النفس التي الوصايا من أجلها وضعوا للناطقين

فأما الجسد بالسوية يعمل باليمين والشمال وأما العقل كما يشاء يتبـرر أو يخطـئ ويزل بالتغيير.

ثم مَن يقتني بالأشياء الشمالية الحياة بحكمة أعطيها من الله، ومن ثم يسقط في الخطايا بالإلهيات بزلات شيء ما في واحـدة واحـدة.

المتحفظين هم حراس الصدوقية أي البر.

موهبة بلا تجارب تهلك من الذين يقبلونها.

إن أنت عملت شيئاً من الصلاح قدام الله وأعطاك موهبة، اطلب منه أن يعطيك معرفة كيف ينبغي لك أن تتدبر فيها باتضاع أو أن يقيم لك حافظاً أو يأخذها منك لئلا تكون لك سبب هلاك.

ليس كل أحد يحفظ الغنى بلا تعب.

نفس قد أخذت الاهتمام بعمل الصلاح والفضيلة وباستقصاء خوف الله تعيش، ما تقدر أن تكون بلا حزن في كل يوم، لأن الأحزان مشتبكة بعمل الفضيلة، فالذي يفر من الأحزان بلا محالة ومن الفضيلة يبعد.

إن اشتقت للفضيلة أسلم نفسك لكل حزن لأن الأحزان يولدوا الاتضاع، ليس يريد الله أن تكون النفس خارج عن الاهتمام، فالذي يريد أن يكون بلا اهتمام فهو يوجد خارج عن إرادة الله بفكره.

قولي اهتمام فالذي يريد أن يكون ليس من أجل الجسدانيات ولكن من أجل أولئـك الضوائق الذين يلصقوا بالفضيلة، حتى نصل إلى المعرفة الحقانية التـي هـى انكـشاف السرائر.

ما ندنو من الاتضاع إلا بالتجارب، فأما الذي يوجد بلا أحزان في الفضيلة، باب الكبرياء قد فتح له، فمَن يشتهي أن يكون بلا حزن في فكره؟!

ما يقدر العقل من غير أسباب المحقرة والمقت أن يثبت في الاتضاع، ولا يمكن أن يكون خارج عن الاتضاع ويدوم بالتضرع والمفاوضة مع الله بنقاوة.

الكبرياء أول الشيء يبعد الإنسان بعمله من الاهتمام بما ينبغي وبعد هذا يدنو إليه شيطان العظمة، فإن دام الإنسان في الكبرياء حينئذ يبتعد منه الملاك الحارس المعتني به، الذي إذا ما كان قريباً منه حرك فيه الاهتمام بالبر، وإذا ما هو خالفه ابتعد منه، وحينئذ يقترب منه المحال وليس يكون فيه إدراك واحدة من اهتمام البر.

يقول الحكيم: (أم ١٦ : ١٨) قبل الوقعة تكون الكبريـاء، ومـن قبـل الموهبـة الاتضاع. وبقياس الكبرياء التي تكون في النفس ظاهرة، بقياسها تكـون الـسقطة والأدب الـذي هـن الله.

الكبرياء ليس هى إذا ما جازت أفكارها في العقل ولا أن غلب منها أحـد قلـيلاً، ولكن تلك الدائمة في الإنسان فإن تلك الأولى يلحقها ندامة فأما الثانية إذا هو أحبها فلـيس يعرف ندامة.

الميمر العاشـر :

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

في الغيــارات الــتي تحصــل في العقــل وبالصــلاة يتـميــزون

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

الذي له اشتياق لاختيار المشيئة الصالحة فهو يحتاج إلى الله الذي يتمم له هذا الاختيار الجيد، والإنسان محتاج إلى معونته. ولهذا نحن نلصق بالشهوة الجيدة المختلجة فينا صلاة دائمة، ليس طالبين منه المعاضدة فقط، بل ولنعمل فيها بإفراز، هل هذا حسب مشيئته أم لا ؟

لأنه ليس كل شهوة حسنة تقع في القلب تكون من الله، بل التي تكون للمنفعـة. لأن ثمة صلاح يشتاق الإنسان وليس ينفعه ولا يعاضده الله عليـه، لأنـه قـد يعـرض من الشيطان، ومثل هذه الشهوة، ويظن أنها نافعة وليس هى لائقة بمنزلة ذلك الإنسان.

والشيطان يتحايل أن يؤذيه ويلح عليه أن يعملها وما يكون بعد قد وصل وما بلغ مقدارها، أو تكون غريبة من شكله. أو ما يوافق الوقت على عملها والحركة بها، أو ما يكون فيه كفاية لذلك الأمر إما بالمعرفة وإما بالجسد، أو ما يساعدنا ذلك الزمان وبكل نوع يتحايل أن يسجسه أو أن يؤذيه بجسده أو يخفي له فخ في فكره، ولهذا قلت ينبغي لنا أن نردف صلوات دائمة بحرص لتلك الشهوة الجيدة المتحركة فينا.

وليقل كل واحد منا لتكن مشيئتك يارب في أن هذا العمل الصالح الذي اشتهيت أن أعمله إن كان يوافق إرادتك فيه سهل علي عمله لأني بغير معونة منك ما يمكنني عمله، وخلواً من موهبة صائرة منك إلي، فإن كلا الأمران منك، أعني الإرادة والفعل. لأني ما اقتنيت أن أفعل هذه الشهوة الثائرة خلواً من نعمتك أو أني فزعت منها.

لأن هذه هى عادة المشتاق إلى الحسنات بإفراز العقل أن يعمل بها بمداومة الصلاة لأجلها وتقبل بواسطة الصلاة قوة تعينه على فعلها ويقبل أيضاً حكمة أن يفصل بها الخير من الشر والحق من ضده بالصلوات الكثيرة والعمل والاحتراس والتشوق بلا فتور. ودموع متصلة وتمسكن ومعاضدة سماوية يفرز الصلاح.

وبالأكثر إذا كانت أفكار العظمة تضاده فإن هذه تمنع معونة الله منا ونحن فلنبطل هذه الأفكار بالصلاة.

سـؤال: كيف أعرف الفكر الذي من الله. والفكر الذي من الطبع؟ والفكر الذي من الشياطين؟

جـواب: يا أخي سؤالك هذا مقداره عظيم .. إن لم تتنظف العين الجوانية بأعراق كثيرة ما تتمكن من إفراز هؤلاء، لئلا يهزأ بها من الشياطين وتضل بتصديقهم لأنهم يغيروا الأشكال فيغيروا أشكال الأمور كما يريدون سيما عند ذوي المعرفة بصنائعهم.

اقطع لله مشيئتك وقل له في سائر الأمور ليس كما أشاء أنا بل كما تشاء أنت

وهو يعمل معك كمشيئته. اتكل على الرب وهو يعطيك طلبات قلبك.

فاسمع يا ابني الميزة بين الأفكار التي سلف ذكرها: **متى ما عرض على الفكر أن يفعل شيئاً حسب مشيئة الله ويجد في الأمور فرحاً لا حزناً يضاده، فاعلم أنه من الله** وصارع لتثبت كما ثبت بولس القائل: **" أُضَارِبُ كأَنِّي لا أَضْرِبُ الهواءَ. بَلْ أُقْمَعُ جسدي وأَسْتَعْبِدُهُ حتى بعدَ ما كَرَزْتُ للآخرينَ لا أصيرُ أنا نفسي مَرْفُوضاً "** (١كو ٩ : ٢٦ ، ٢٧) **ثم تمم مشيئة الله.**

فإن عرض لك فكر ما طبيعي فاجحده وهذا الشيء هو جحـوده وهـو أن تـدع عنك المشيئات الطبيعية لأن بهذا افتخر القديس بطرس قـائلاً: **" هَا نحنُ قد تركْنَا كلَّ شيءٍ وتبعناكَ "** (مت ١٩ : ٢٧)، لأنه ماذا ترك وهو لم يكن غنياً لم يترك إلا مشيئاته الطبيعية وعنها تحدث.

وكما لا تثبت مع الميت مشيئاته الطبيعية بالمرة، هكذا لا تثبت أيضاً مع من أمات جسده روحياً.

فإن كنت قد مت بالجسد فكيف تحيا فيك الأشياء الطبيعية وإن كنت بعد ليس من ذوي المنزلة الروحية بل أنت صبي وطفل في عقلك، فتذلل لمعلمك ليؤدبك برحمته، وبلا مشورة لا تعمل شيء ولو ظننته أنه جيد.

لأن ضياء الشياطين يصير فيما بعد ظلمة، وأفكار الأبالسة هى أولاً متخبطة ومملوءة حزناً وتجذب وتسرق خفياً إلى الوراء، وهى تلبس لباس الخراف، أعني يحركون أفكاراً صالحة وهم من داخل ذئاب خاطفة.

ومثال ذلك أنهم يخطفون بالظاهر من صلاح أقوالهم ويخدعون القلوب الساذجة، **فمهما سمعته أو عرض بفكرك ونظرت فيه خباط ولو مقدار شعرة وتحرك ذلك في قلبك فاعلم أنه من الشياطين.**

الميمر الحادي عشر :

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

على العمل في الوحدة ـ وعلى سهر الليالي
وعلى إفرازات كثيرة

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

أنه لا يصح أن يكون عملنا بكمية العدد فقط، بل بحرية وتحرير،
كبنين لله الذين يعملون مع أبيهم باشتياق وحب. لأن عمل السهر عظيم وأفضل
من الأعمال الأخرى ...
وكيف ينبغي للذين يعملون في هذا وكيف يسيرون فيه
وأي مواهب تعطى لهم من الله وأي حروب تكون عليهم من رئيس هذا العالم ..

إن فاتحة طريق الحياة .. تلاوة العقل دليماً بأقاويل الله، وأن يتصرف بمسكنة،

والارتواء من هذا يساعد في التمام، أعني الارتواء من كلام الله يساعد على تثقيف المسكنة وترك القنية يفرغك لتثقيف الهذيذ في كلام الله، والمعونة التي من هذين الأمرين بسرعة وسهولة ترفع إلى الصعود وتكميل برج الفضائل كلها.

تمسك بالإيمان والتواضع ومع هذين الرحمة والمساعدة وتجد في قلبك كلام تقوله لله ومع حافظك الملازم لك سراً وعلانية.

إن كنت تريد أن تقتني هذا تمسك من الأول بالبساطة والسذاجة، وسر قـدام اللـه بالبساطة لا بمعرفة، لأن الأمانة تتبع البساطة، ويتبع الكبرياء التنميق في الأقوال وتفريعها.

فإذا وقفت مصلياً قدام الله، ضع في فكرك أنك مثل نملة وكالذباب الذي على الأرض، وكالعلقة (الدودة) وكصبي يناغي أباه، وذلك لتؤهل لتلك العناية الأبوية الصائرة من الأباء على الأطفال، فقد قيل: **" الرب يحفظ الأطفال "** (مز ١١٤).

وليس هذا عن الأطفال الصغار السن والأجسام بل وعن حكماء العـالم التـاركين معرفتهم الأرضية، والمستندين على تلك الحكمة التي فيها كفاية والصائرين أطفالاً بمشيئتهم.

إذا ما شئت الوقوف في خدمة سهراناتك، أعمل بمعونة الله ما أقول لك: اجثو على ركبتيك ثم قف ولا تسارع إلى خدمتك، بل بعد صلاتك أولاً صلب على قلبك وأعضاءك وارشم برشم الصليب المحيي، وقف مقدار لحظة صامت إلى أن تستريح حواسك وتسكن حركاتك، وبعد ذلك ارفع نظرك الجواني إلى الرب واطلب منه بحزن ليقوي ضعفك بمشيئته وحرك لسانك بالتزمير وحركات قلبك وقل بهدوء بالصلاة القلبية:

صلاة: يا ربي وإلهي مدبر خليقته العارف بضعف طبيعتنا وآلامنا وقساوة عدونا، أنت يارب نجني من شره لأن قوته شديدة وطبيعتنا منحلة وقوتنا مرخية.

أنت الآن أيها الصالح العارف بضعفنا والحامل عجزنا خلصني من سجس الأفكار ومن صعوبة الآلام وأهلني لهذه الخدمة المقدسة لئلا تنفسد مذاقتها بشهواتي وأوجد أمامك متجاسر. آمين.

ينبغي لنا أن بكل حرية نسير في خدمتنا خارج من كل فكر مخبط ورأي مُجهل، وإن رأينا أن ما معنا فسحة في الوقت فلنتخلى باختيارنا عن مزمورين أو ثلاثة مما جرت به العادة ولا نترك للشك فرصة يبيد حلاوة خدمتنا ويكدر مزامير الساعة الأولى.

وإن أنت دخلت في خدمتك ووسوس لك فكر ما فبادر عاجلاً بالعمل وتخلص سريعاً من تلك الأفكار ..

احذر أن لا تسجس نفسك، وإن كنت تسجس وتخبطت في ذلك فارجع في الحال إلى خلف مرميت❖ أو أكثر، وكل استيخن✞ تشعر بحلاوته للصلاة اتلوه دفعات كثيرة بتفهم، وإن عاد أزعجك ـ فكراً ما ـ واشتد عليك فاترك تلاوة المزامير واجثو مصلياً وقل: أنا ما أريد أن أعد وأكرر ألفاظاً، ولكني أشاء أن أصلي لله المبارك، لأني أنا أريد أن أصل إلى المنزل بأي طريق يؤدي إليه.

لأن ذلك الشعب الذي صاغ العجل في البرية داروا أربعين سنة تائهين يصعدون جبال وينزلون أودية ولم ينظروا أرض الميعاد ولا من بعد.

لا تهتم ولا تتكل على عدد وعلامات الاستيخونات متى لم يتبعها تيقظ كثير وخشوع دائم في الصلوات والقراءة كل ساعة.

إن شئت التمتع بحلاوة قراءة المزامير في خدمتك وتأخذ إحساس بـأقوال الـروح التي تتلوها، دع الكمية بالجملة ولا تقف عند معرفة عددها وأترك عنك الاستظهار الـذي قد جرت به العادة، وأفهم ما أقول لك: ليكن عقلك عالم في هذيذها إلى أن تستيقظ الـنفس بفهمها العظيم بالإنذهال من السياسة ومن ههنا تتحرك إما لمجد الله وإما لحـزن نـافع، ومهما كان في الصلاة فارجع بالملامة على نفسك وخذه عليك، وإذا تيقن فكر ذلك فالخباط يوسع له مكان ويمضي **لأن سكون النفس ما يكون في خدمة العبودية.**

❖ " مرميت " أي " ثلاثة مزامير " في خدمة الصلاة في الكنيسة السريانية.

✞ " استيخن " أي جملة كاملة.

وفي حرية البنين وعتقهم ما تجد بلبلة الخباط والشك إذا كان من شـأن البلبلـة انزعاج حلاوة الفهم والمعرفة، واتباع المعاني فيها كالعلقة التي تشرب حياة الجسم بـدم أعضاءه، لأن البلبلة هى مركب الشيطان، لأن الشيطان من شأنه أبداً شبيه بماسك العنان، إذ يركب العقل، ويأخذ كثرة الآلام التي له ويدخل إلى النفس الشقية ويغرقها في بحر البلبلة.

ميز هذا وأفرزه أن لا تكون في استيخونات صلاتك وتلاوتك كأنك تأخذ الأقوال من غيرك لئلا تتعجرف في العمل وتفتر من الهذيذ الدائم، وتعبر وتجوز بالكلية من التخشع والفرح فيه، **لكن لتكن الأقاويل كأنها منك لكيما تقول الأقوال في طلبتك بتفهم وتخشع وإفراز فهماً حقيقياً.**

لا تحسب أنها بطالة الصلاة المجتمعة غير المبهرجة الطويلة لتركك التزمير.

حب الميطانيات في صلاتك أكثر من الهذيذ ومتى ما أعطاك فيها كفاية للتمام عوضاً عن الخدمة، وإذا أعطيت موهبة الدموع في الخدمة نفسها، لا تظن باللذة التي فيها إنها بطالة منها، لأن موهبة الدموع هى تمام الصلاة.

في الوقت الذي يكون فيه فكرك مبدد - مشتت - اثبت في القراءة أكثر من الصلاة، وليس كل كتاب نافع كما قيل.

أحب الصمت والسكون أكثر كثيراً من الأعمال، والزم القراءة إن أمكنك أكثر من الوقوف لأنها ينبوع الصلاة النقية وعرفها [٣].

لا تتهاون بالكلية بل تيقظ من العجرفة لأن أصل السيرة وعرفها[٣] هى التلاوة والقراءة، واعرف هذا أيضاً أن الأعمال الجسدانية تنفع أكثر من الذكصولوجية المبهرجة والحزن الفكري يزيد على تعب الجسد.

---

[٣] " عرفها " أي " رائحتها الذكية ".

واعرف هذا أيضاً أيها المفرز المتوحد وأبصر أنه ما أعطانا آباؤنا قانون الصمت والسكون والسكنى مع أنفسنا لنعمل الأعمال الزائدة بل لنتصل بالله بلا قلق لأننا نعرف أن مشاركة الكثيرين تنشط الجسد أكثر.

في ذلك اليوم ما يحاكمنا الله ويديننا لأجل المزامير ولا من أجل بطالة الصلاة، ولكن بتركنا ذلك يصير للأبالسة علينا مدخل.

الراهب في صلاته كل ساعة ينتظر الميناء التي يشد إليها سفينته ومنها يتزود ويصوب طريقه إلى جزيرة أخرى، هكذا هى سيرة الراهب في هذه الحياة كسيرة أهل العالم يسير من جزيرة إلى جزيرة، أعني من معرفة إلى معرفة.

ذوي الراحة ما تحل فيهم الروح القدس بل روح الشيطان.

احذر لا تضعف جسمك كثيراً لئلا يقوى عليك المال وتبـرد نفـسك مـن مذاقـة عملها.

يليق أن توزن عملك إن كنت تتعب من الوقوف في سهرك من أجل كثرته ويقـول لك الفكر الموسوس بالتصنع كالحية ليس لك تبقى قوة للقيام **قل له أنا أجلس وليس أنـام** وإن فرغت المزامير يسكت لساني ويتفاوض عقلي بالصلاة والمحادثة مع الله.

لأن اليقظة جيدة على كل حال أكثر من النوم.

ليس القيام فقط هو العمل وتلاوة المزامير بل والانتباه.

ثم من يعبر الليل جميعه بالتزمير، وآخر بضرب الميطانيات والصلاة الحزينة والتمريغ على الأرض، وآخر بالبكاء والدموع والنوح على خطاياه.

قيل عن واحد من آبائنا أنه مكث أربعين سنة كانت صلاته كلمة واحدة **أنا أخطأت كإنسان اغفر لي أنت كإله.** وكانوا يسمعوه يتلوا هذه الجملة بحزن وبكاء بغير فتور وكانت له هذه الطلبة عوض الخدمة ليل نهار.

وآخر كان يخدم المزامير من العشاء ثم بقية الليل يعبره بالتسابيح والألحان، وآخر بالقراءة وآخر ما كان يحني ركبتيه بل يقف منتصباً مثل ذلك الذي كان يحارب معه شيطان الزنا.

إن عاينت نفسك قد استرحت من انزعاج الآلام لا تثق بنفسك لأن العدو قد كمن لك كمين توقع بعد الراحة انزعاج كثير واضطراب.

إذا عبرت منازل الفضائل جميعها فلم تصادف راحة من تعبك ولا تجد هدنة من الحروب إلى أن تبلغ إلى محل اتضاع العقل. ما أحسن ما يقول الرسول: **" فإذاً هو يَرْحَمُ مَنْ يشاءُ، ويُقَسِّي مَنْ يشاءُ، فستقولُ لِي: لماذا يَلومُ بَعْدُ؟ لأنْ مَنْ يُقاومُ مَشيئتهُ؟ "** (رو ٩ : ١٨ ، ١٩) لأن ربما في بعض الأوقات يمنح الله مجاناً وفي وقت يطلب منا الأعمال والطهارة ويعطى، ويكون وقتاً ما يعطى في هذه الدنيا ولا بعد الأعمال ولا بعد الطهارة لكنه يحفظ لنا عطية ذلك في موضعه.

هوذا الله في المعمودية يغفر الخطايا مجاناً وما يطلب منا غير الأمانة وحدها، **فأما في توبتنا عن خطايانا بعد المعمودية ما يصفح مجاناً بل يطلب منا أن نتعب ونحزن، وأحزان التوبة دموع وندب وبكاء زماناً طويلاً وبعد ذلك يسمح،** لأن اللص باعترافه سامحه مجاناً على الصليب وصفح عن خطاياه ووعده بالفردوس. وفي معنى المرأة الخاطئة أيضاً طلب منها أمانة ودموع، وطلب من الشهداء والمعترفين إيمان قلوبهم واعتراف أفواههم وضغطات وعقوبات وميتات مختلفة الألوان.

الميمر الثاني عشر :

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

علـى إفـرازات قـوات العقـل المعقولـة
مـع اسـتـعلانات ومنـاظـر الـروح

♦♦

النظر الإلهي هو استعلان العقل الغير محسوس، الاستعلان الإلهي هو حركة العقل بالإفهام الروحانية على اللاهوت وهذه ولا في طبيعة الملائكة موضوعة لكي من ذات أنفسهم يتحركوا بها من دون استعلان النعمة.

لأن شيئاً آخر هى نظرة الكائنات، وشيئاً آخر هى الحركة بالاستعلان على طبيعة الأزلية .. أما تلك الأولى لها سبب من المحسوسات تجاهها للاستفادة وأما الثانية فليس لها سبب من أي مكان بل العقل والنقاوة المثلثة الأجزاء الرئيسية حسب قول الآباء: واحد من الآلاف من الصديقين نجده قد استحق أن يؤهل لهذا الشعور العظيم.

حتى وأن تاؤرية تجسد سيدنا وظهوره بالجسد من التاؤريا الأزليـة يقـال أنـه: أما نظر الملائكة الحقيقي هو التحرك بالإفهام الروحانية التي لهـم لأن طبيعـة القـوات الروحانية خارج عن العقل لا يمكن أن تنظر، وإذا ما استحق الإنـسان أن ينظرهـا فـي طبيعتهم وبلدتهم كمثلما هم بخلقة روحانيتهم باستعلان الإفهام الروحانية من النعمة بعقـل يتحرك عليهم.

لأن النفس إذا ما تطهرت تستحق أن تنظر أنسبائها ورفقائها، وليس بهذه الأعين تقبل نظرهم لأنهم ليسوا أجساماً، ومن غير النظر النفساني الذي هو الثاؤريا الحقيقية ما ينظرون إلا إذا ما انتقلوا وانحطوا من طبيعتهم بمظهرهم وهذه النظر أيضاً من دون الذكاوة الثانية التي للعقل لا يقدر الإنسان أن يقبلها.

وأما ظهورهم بالأشكال لأناس، ليس هو نظراً حقيقياً بل إنما يخدمون ترتيب التدبير والسياسة، إذا ما أُرسلوا لتعزية وتشجيع السذج البسطاء يظهرون في الشكل المحسوس.

حتى والذين هم ليسوا أذكياء تحدث لهم هذه النظرة والرؤيات.

وأما الرتبة الأولى إنما تكون لأناس نيرين عارفين فقط قد ارتفعوا بتدبير سيرة السكون الممجد لرتبة النقاوة.

مَن يعرف جثو الركب الحلو اللذيذ الذي بسكون اللسان يمجد القلب بهدوء وتسبيح ما ينقطع حركته من اللذة: إذ يكون الجسد جاثياً على الركب بسكون ..

طوبى لمَن اغتذى من هؤلاء على الدوام لأنه ليس من الإرادة وليس كل وقت يطلبه يجده، هذا هو التنعم الجزئي الذي يعطى لتعزية الذي بوداعة قدام الله يتدبر بسير السكون إن ثبت فيه ببساطة واهتم بنقاوة عمله وأُهلت سيرته واستحق ومن بعد وقت قليل يؤهل أيضاً لتلك التي ذكرناها في أول الميمر (أي الاستعلان الإلهي).

أما الذين هم مبتدئين في هذه السيرة وقصدهم مستقيم: أولاً بالقراءة وتذوقهم النعمة هؤلاء وما يشبههم وتبعد أفكارهم من هذيذ الأرضيات وتدنيهم إليها، ويعملون ويسهرون ولا يتعبون.

وإذا تعمقوا قليلاً في أسرار السكون يكون لهم ذلك الإحساس بالصلاة وخدمة المزامير.

الميمر الثالث عشـر :

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

على إفـرازات كثيرة في السـكون وعلـى سـلطان العقـل
ولأي حـد له سـلطان أن يحـرك حركـاتـه الإراديـة بتغير أشـكال
الصـلاة ..
وأي حـد قـد وضـع للطبيعـة بالصـلاة
حتـى إذا وصـل إليـه لم يكـن له سـلطان أن يصـلي أيضـاً،
وإذا مـا عبـر هـذا الحـد عنـد ذلك لم يعـد تكـون صـلاة
وإن كان قد دعي ذلك الشيء باسـم الصـلاة.

♦♦

السبح للذي أفاض مواهبه على جنس البشر وإذ هم جسدانيين جعلهـم أن يخـدموا بترتيب الطبائع الغير متجسدة وهم على الأرض، وأهل طبيعة الترابيين أن نـتكلم علـى مثل هذه الأسرار، وبالأكثر الخطاة مثلي الذي لم استحق ولا لسماع الكلام علـى شـيء من هذه الأمور بل لكثرة إنعامه فتح عمى القلب **لكي أفهم مـن تـصور الكتـب ومـن تعليم الآباء الكبار،** إذ لم استحق من حرص ذاتي أن آخـذ تجربـة واحـدة مـن آلاف مما أكتب، وبالأكثر في هذا الميمر الذي أقول لأجل انجذاب ونفـع كثيـرين، ولتنـوير نفسي والذين يصادفون هذا لعل ننتبه بشهوة هذا الشيء وندنو من العمل، وما هـو هـذا الشيء؟

أخرى هى اللذة بالصلاة، وشيء آخر هى النظرة بالصلاة، والثانية أفضل من الأولى، كفضل رجل كامل على طفل صغير.

إذا ما حليوا الألفاظ بالفم وكل لفظة من الصلاة يتلو فيها بغير عدد ولا يعرف

الشبع منها ولا أن يتركها ويعبر إلى أخرى.

وثم وقت من الصلاة تولد ثاؤريا وتصور وتقطع جري الصلاة من الشفتين ويكون ذاك الذي هو بنظرتها كجثة لا نفس فيها بالتعجب هذه ندعوها النظر بالصلاة، وليس شبه ما أو شكل يتصور حسب قول الجهال.

وأيضاً هذه الثاؤريا التي بالصلاة فيها منازل وإفرازات مواهب، وحتى إلى هذا الحد فهي صلاة، لأن الفكر ما عبر الحد ووصل لذاك الشيء الذي هو أفضل من الصلاة، لأن حركات اللسان والقلب بالصلاة هى مفتاح لذاك الشيء الذي من بعدهم يكون الدخول لبيت الكنز، حيث تهدأ كل الأفواه والألسن، والقلب يكون كنز الأفكار، والذهن هو مدبر الحواس، والضمير هو الطير الرشيق الخفيف الذي يتجاسر، وهنا تتوقف كل التخيلات والتضرعات لأن صاحب البيت قد أتى.

كما أن كل قوة السنن والوصايا التي وضعت للبشر حدهم هو إلى ذكـاوة القلـب حسب قول الآباء، هكذا وجميع أنواع وأشكال الصلاة التي يصلوا بها الناس قدام اللـه، غايتها إلى الصلاة النقية وحدها، وجميع التضرعات والأحزان والخضوع والدموع الحلوة وأنواع أُخر من الصلاة حسبما ذكرت، إلى الصلاة النقية هو غايتها وسلطان حركتهم.

ومن نقاوة الصلاة وإلى داخل إذا ما عبر هذا الحد ليس للضمير لا صلاة ولا حركة ولا دموع ولا تضرع ولا سلطان ولا حرية ولا شهوة ولا اشتياق إلى شيء مما يُرجى وينتظر في هذا العالم وفي العالم المزمع ولأجل هذا ليس بعد الصلاة النقية صلاة.

لأن جميع حركات الصلاة وأشكالها إلى ههنا يوصلوا العقل بسلطان حريتهم، ولأجل هذا فيهم جهاد وعناء، ومن بعد هذا الحد ما يبقى إلا دهش وتعجب وليس صلاة، وتتخاف الصلاة من ههنا، ونظراً ينظر العقل وليس صلاة يصلي، لأن كل أنواع الصلاة بالحركات النفسانية يكون تحريكهم.

وإذا ما دخل الذهن إلى الحركات الروحانية ليس هناك صلاة.

لأن شيئاً آخر هى الصلاة، وشيئاً آخر هى الثاؤريا، أي التصور بها، وإن كانوا

يأخذون السبب من بعضهم البعض .. أما تلك - الصلاة - بزار وزرع، وأما هذه - الثاؤريا - حمل الأغمار. لأن بالنظرة الغير منطوق بها يدهش الحاصد ويتعجب كيف من حب حقير عار، بُدر .. أي سنبل جليل ممجد نبت قدامه بغتةً، وفي هذا الوقت يتخاف العقل بنظرته من كل حركة.

كل صلاة إنما هى طلبة، وسؤال شيء، أو تمجيد وشكر. أو عندما يخطف العقل ويعبر إلى تلك البلادة (الدهش) فهناك فتش وافحص إن كان فيها شيء من الطلبات فتش وافحص إن كان في شيء من هذه طلب شيء ما، إذا خرق العقل الحد وعبر لتلك البلادة، وسؤال هو لمَن يعرف الحق لأن هذه الإفرازات ليس لكل إنسان يبحث عنها بل للذين صاروا هم بذواتهم ناظرين وخدام هذه الأمور **أو تربوا قدام آباء عارفين بها وقبلوا الحق من أفواههم وبهذه المفاوضات أجازوا كل أيام حياتهم بمسائل وجوابات على حقيقة هذا الأمر.**

كما أنه بعد جهد تجد واحد من ربوة من الناس قد أكمل السنن والوصايا وأؤهل لنقاوة النفس هكذا أيضاً واحد من كثيرين تجد قد استحق بعد حفظ كثير واحتراس للصلاة النقية وتعدى هذا الحد واستحق لذاك السر.

لا يستحق كثيرون ولا للصلاة الذكية بل أفراد قليلون، وأما السر الذي فوق كل هذا فبعد جهد جهيد نجد واحد في جيل قد دنا من هذه المعرفة بنعمة الله.

الصلاة هى تضرع وهذيذ واشتياق لشيء ما أو الخلاص من الشرور الحاضرة أو المزمعة أو شهوة مواعيد ما أو سؤال شيء ينتفع بها الإنسان ويعان من الله.

بهذه الحركات تنحصر وتنحبس كل حركات الصلاة، وأما طهارتها هـى هكـذا: متى ما في هذه الأوقات يبدأ العقل أن يدمج واحد من حركاته بما ذكرنا ويختلط معه ذكـر غريب أو طياشة بشيء من الأمور .. تُدعى هذه الصلاة غير طاهرة، لأن مـن أجـزاء الحيوانات التي لم يأذن بها الناموس باصعداها على مذبح هيكل الرب هو القلب والقائمـة

المعقولة.

وإذا ما باشتياق يغوص العقل بشيء من حركاته إلى داخل ضرورة السبب في وقت التضرع، ولأجل الاشتياق الكثير، ينجذب نظر حركاته بعين الأمانة داخل من حجاب باب القلب، لأن بهؤلاء يتسيجوا مداخل النفس قبال الأفكار الذين يدعوهم الغرباء الذين لم يؤذن لهم أن يدخلوا إلى داخل قبة الشهادة، وهذه يسمونها ذبيحة القلب المقبولة والصلاة الطاهرة حدودها هى إلى ههنا، ومن ههنا وإلى فوق ليس تسمى صلاة، وإذا ذكر إنسان تلك التي تسمى من الآباء صلاة روحانية ولم يفهموا قوة كلامهم ويقول إن هذه هى من حدود الصلاة، لو أنه وصل إلى حقيقة الفهم، تجديف هو أن يقال إن الصلاة الروحانية يُصلى بها، لأن كل شيء يُصلى بالصلاة هو أحط من بلد الروحانية وكل شيء روحاني هو مرتفع عن حركة الصلاة.

وإن كان بعد جهد يقدر الإنسان أن يصلي صلاة طاهرة فكيف يقال روحانية، لأن الآباء القديسين من عادتهم إن كل حركات فاضلة وكل انفعال روحـاني بِاسـم الـصلاة يكنوه، وليس فقط هؤلاء، بل وكل نور المعرفة، حتـى والأفعـال التـي تعمـل حـسناً يعتبرونها موضع الصلاة.

والأمر ظاهر أن الصلاة شيء، وشيء آخر هو الأعمال التي تعمل، وأما هذه التي يسمونها في مكان ما صلاة روحانية، وفي وقت يسمونها طريقاً، وفي وقت آخر استعلان المعقولات.

انظر الآن كيف يغيرون الآباء أسامي الأمور الروحانية وهذه الكائنات بالأمور الحاضرة ههنا ينقاموا، لأن ليس أسامي حقيقية لأمور العالم الجديد إلا معرفة واحدة بسيطة مرتفعة عن كل اسم وعلامات وصور وألوان وأشكال وكنيات مركبة. لأجل هذا إذا ما ارتفعت معرفة النفس من هذا السياج المنظور حسبما يريد الآباء يتخذون الدلائل من أجلها. وأما أسماء حقيقية ليس من يعرف بل بحسب الأفكار النفسانية يستندون عليها

بالكناية والأمثال.

نتخذ مثلاً ما قاله القديس ديوناسيوس بالعلامات والدلائل، وبالهجاءة والكلام نستعمل التعبير لأجل الحواس، لأن إذا ما بفعل الروح تحركت أنفسنا بالإلهيات زيادة وفضلة، يبقوا عند ذلك الحواس والفعل بهم، كما أن الحركات الروحانية التي للنفس يبقوا زيادة وفضلة إذا ما صارت نفسنا شبه اللاهوتية بالاتحاد الغير مدرك وتشرق بإشراقات النور المرتفعة بحركاتها التي بلا أعين ولهذه يا أخي فليصبح عندك أن ليس للعقل سلطان أن يحرك إفرازات الحركة إلى الصلاة الطاهرة إن كان في إمكانه أن يحرك.

وإذا ما وصل إلى هناك إما يرجع إلى وراءه أو يتخلف عن الصلاة، لأن الصلاة تكون له كواسطة ما بين النفسانية للروحانية، لأنها إذا ما تحركت هى في بلاد النفسانية وإذا ما دخلت لذاك البلاد بطلت الصلاة.

كما أن القديسين في العالم الجديد ليس صلاة يصلون إذا ما ابتلع العقل بـالروح بل يكونوا بدهشة ذلك المجد المنعم، وهكذا أيضاً إذا أؤهل العقل أن يحس بتلك الـسعادة المزمعة ينسى ذاته وكل الأشياء الحاضرة وليس له منذ الآن حركة بهذيذ شيء من الأشياء.

ولأجل هذا يجسر الإنسان أن يقول بثقة إن كل فضيلة تكون وكل رتب الصلاة إن كانت بالجسد أو بالفكر فإن حرية الإرادة تحركها وتدبرها، والعقل الذي هو سلطان الحواس. وإذا ما تسلط تدبير الروح على العقل مرتب الحواس والأفكار تؤخذ الحرية من الطبيعة. ومنذ ذاك من آخر يتدبر وليس هو الذي يدبر ذاته.

وكيف يمكن الصلاة في ذلك الوقت الذي يكون فيه الطبع ليس له سـلطان علـى ذاته!؟ لأنه يُساق ويُدبر من قوة أُخرى إلى حيث ما لا يدري، ولـيس هـو الـذي يقـوم ويصوب بحركات الفكر بما يشاء وإلى حيث يريد لأنه يملك في ذلك الوقت على الطبـع ثبات ويخطف إلى حيث لا يحس ولا إرادة ولا مشيئته تكون له في تلك الـساعة. وهنـا يحق القول: **" أَفِي الجسد أَمْ خارج الجسد؟ لستُ أَعْلَمُ. اللَّهُ يَعْلَمُ "** (٢كو ١٢ : ٣)

حيث شهد الكتاب.

فأي صلاة تكون للذي قد سبى هكذا حتى أنه ولنفسه ما يعرف، ولهذا لا يجدف أحد ويجسر أن يقول: إن الصلاة الروحانية يستطيع أن يصلي بها. بهذه الجسارة يشيعوا على أنفسهم المصلين المخدوعين عادمي المعرفة المدعين بأنفسهم أنهم لما يريدوا يمكنهم أن يصلوا بالروح. وأما المتضعين ذو الفهم الذين ينحنوا ليتعلموا من وعظ الآباء العارفين حدود الطبيعة ليس يعطوا أفكارهم لهذه الوقاحة.

وإذا لم تكن هذه الموهبة غير المنطوق بها صلاة فهي تسمى بكنية الصلاة.

ينبغي أن نقول ما هو السبب في ذلك لأجل أنها في وقت الصلاة تحل على المستحقين وسببها يكون من الصلاة لأن لا يمكن أن تحل هذه الموهبة إلا في وقت الصلاة، حسبما قالوا الآباء.

ولماذا باسم الصلاة تسمى: **لأجل أنه من الصلاة ينخطف العقـل لهـذه الـسعادة، ولأجل أن الصلاة كانت سبب وصوله ولا يمكن في أوقات أخر أن تحل حـسبما نفهـم من كتب الآباء، لأنه سطر في سيرهم أنهم لما كانوا يقفون في الصلاة كانـت تخطـف عقولهم.**

وإن سأل إنسان لماذا في هذا الوقت فقط تكون هذه المواهب العظيمة غير الموصوفة؟ نقول: **إنه في وقت الصلاة أكثر من كل الأوقات يكون عقل الإنسان مجموعاً وشاخصاً إلى الله، ومنتظر بكل اشتياق أن تأتيه الرحمة من عنده.**

وأقول بإيجاز أن هذا هو الوقت الذي ينبغي فيه أن يقف على باب الملك ويسأل، وفي هذا الوقت يليق أن يُعطى للسائل الذي يتضرع بطلبته.

أي وقت من الأوقات يكون فيه الإنسان مستعد محترس كمثل وقت الصلاة؟ لعل في وقت نومه؟ أو إذا ما باشر عمل ما؟ أو إذا كان عقله مشتتا يؤهل لهذه الموهبة؟!

وإن كان الآباء القديسين لم يكن لهم وقت يكونوا فيه بطالين من الصلاة، لأنهم

في كل أوقاتهم كانوا يتفاوضون في الأمور الروحانية، أعني إما أن يكونوا معدين للصلاة وإما في قراءة سير القديسين، وإما في أقوال الكتب يهدسوا، وإما في الثاؤريا التي للمخلوقات يتصوروا بعقولهم مع أشياء أُخر الذين هم هذيذات فاضلة نافعة.

ولكن في وقت الصلاة: في الله وحده يشخص نظر عقولهم وإليه تمتد وتلتفت كل حركاتهم، وتضرعاً قلبياً بحرص متواتر بحرارة يتقدمون إليه.

وبسبب هذا يعطى للنفس هذيذاً فردياً، وتفيض عليهم المراحم الإلهية، لأنه في الوقت الذي يكون فيه الإنسان مستعداً ومحترساً، ويقف متضرعاً في الصلاة ويكون عقله مجموعاً إليه، يحل الروح القدس على الخبز والخمر الموضوعان على المذبح.

وأيضاً في وقت الصلاة ظهر الملاك لزكريا وبشره بالحبل بيوحنا (لو ١ : ١١)، والقديس بطرس لما كان يصلي على السطح وقت الساعة السادسة ظهر له الاستعلان يعرفه بدعوة الشعوب إلى الإيمان بواسطة إزاراً متدلياً من السماء (أع ١٠)، وأيضاً كرنيليوس في وقت الصلاة ظهر له الملاك وقال له عن الأمور المستترة عنه (أع ١٠).

وهوشع بن ناوي (يشوع بن نون) لما كان مُلقى على وجهه في الـصلاة تكلـم الله معه (يش ٥ : ١٤).

وأيضاً الغطاء الذي كان موضوعاً فوق التابوت كان كبير الكهنة يعلم منه باستعلان الأشياء المحتاج إليها عندما كان يدخل مرة واحدة في السنة في وقت الصلاة المرهوب، وكل أسباط بني إسرائيل واقفين بخوف في الصلاة خارج خيمة الاجتماع.

وهكذا أيضاً جميع الاستعلانات والمناظر التي تكون للقديسين في وقت الصلاة يحظون بها لأنه ليس وقت يكون أقرب وأوفق يليق فيه القدس وقبول المواهب كمثل وقت الصلاة، لأن فيه يتكلم الإنسان مع الله.

لأن هذا وقت التضرع والطلب والكلام مع الله، تكون حركة الإنسان وفكره مجموع إليه بتغصب كثير وبالله وحده فقط يهذ ويشخص ويبتلع ضميره بالكلام معه

ويكون قلبه مملوءاً منه.

من ههنا يجود عليه بإفهام غير مدركة من الروح القدس حسب منزلة ذلك الإنسان، ويتحركوا فيه، **ومنها يأخذ المصلي مادة، أعني من ألفاظ صلاته يحرك فمه، حتى أن بالإفهام تنقطع الصلاة من الحركة ويبتلع العقل بالدهش، وينسى شهوة طلبته وتغطس حركاته في سكر عميق كأنه ليس في هذا العالم، ولا يكون له في ذلك الوقت شيء من التمييز الجسدي ولا النفس ولا ذكر شيء ما كقول القديس غريغوريوس: إن الصلاة هى التقانة أعني نقاوة العقل التي لا تنقطع إلا من الدهش بنور الثالوث المقدس فقط.**

انظر الآن كيف تنقطع بدهش الإفهام الذين من الصلاة يتولدوا بالفكر حسب قولنا أولاً في هذا الميمر وفي مواضع كثيرة، وأيضاً قال إن هيئة العقل هو علو المعقولات المتشبه بلون السماء الذي عليه يشرق نور الثالوث المقدس في وقت الصلاة.

وهذه النعمة يؤهل لها الإنسان في وقت الصلاة، إذا ما تعرى العقل من الإنسان العتيق ولبس بنعمة الله الإنسان الجديد، عند ذلك ينظر هيئة ذاته في الصلاة تشبه الصافيلا ولون السماء الذي يدعى موضع الله حسبما ظهر لمشايخ بني إسرائيل في الجبل.

ولهذا حسبما قلت ليس يليق أن تسمى هذه الموهبة صلاة روحانية، بل إذا وجدت الصلاة النقية التي بالروح تبتلع ويكون العقل في ذلك الوقت مرتفع عن الصلاة، لأن بوجوده شيء أفضل منه بطلت الصلاة وتخلفت.

من ههنا ليس صلاة يصلي بل ينظر بدهش في الأمور الغير مدركة المرتفعة على عالم الموتى، ويصمت ويهدأ من عدم معرفة جميع الأشياء الحاضرة.

وهذه هى المعرفة التي هى أرفع من كل المعارف .. طوبى لمَن وصل لعدم المعرفة التي لم تتجاوز بالصلاة حسبما قيل.

في إيضاح الكلام عن المعرفة الحقيقية:

كل شيء محسوس إن كان أفعال أو كلام هو إيضاح الشيء المخفي داخله، إن لم يكن حدوثه على سبيل العارض، بل يكون عمله متصلاً على الدوام، لأن الثانية هى التي يعطى لها المكافأة، وأما الأولى فمجازاتها قليلة.

قوة الإرادة وضعفها تكون في عمل الشرور أو الصلاح، ليس بأمر عارض تختبر، بل من اتصال كونه يعرف اختبار حريتها، لأنه لا يحدث للإنسان عارض ما كيفما اتفق، لا جيد ولا رديء. إنما يمكن حدوثها إما لاجتذابه وانقياده وإما للاختبار والفحص وإمـا للخروج والمكافأة.

أما نوع الانقياد هو العارض الجيد، وأما الاختبار الذي يظن به رديء، وأما التخريج والمكافأة يحدثان بحصول الأمران العارضان، لم يحدث عارض للإنسان كيفما اتفق لا جيد ولا رديء، لكل صلاة يتدبر من إرادة الله المتقدم على الصلاة حسبما تحدد من حكمته لمعونتنا.

لأنه يوجد مدبر يسوس أمور العالم، ومع كل واحد منـا حافظنـا لا يفوتـه شـيء ولا يعجز، وبنوع من السياسة الإلهية يحدث كل عارض من جهة الحافظ الـذي قـد أمـر بحراستنا.

وبحسب هذه الأربعة أنواع يحدث العارض.

وأما الصلاة الحزينة التي يصليها، ومن تذكار سيرة تليق بحزنها تغير أنواع هذه الأربعة عوارض، وتقبلها بما يليق ويوافق.

أما الجيد نأخذه ونعطيه ثباتاً، أما الرديء نغيره بما يضاده، فلا تشك فـي قـولي هذا ...

إن حدوث العوارض لا يكون كيفما اتفق بغير سياسة المدبر، لأنه إذا كانت الصلاة

مع التقانة تقدر أن تغير أو تقمع، لهذا صح أن كل عارض إنما يكون حدوثه من جهة المدبر السعيد من قايس كل عارض إنما يكون حدوثه من جهة كل الأمور الخفية التي لغوامضه وفحص عن سبب حدوث العوارض، ونظر مدبره.

الذي يريد أن يتحكم من جهة الله، لا يمكنه إلا أن يكون مجهولاً للعالم، وباغضاً مدح البشر.

عجيب هو الإنسان الذي يخفي عظم جلالة عمله بمحقرة النفس، بهذا تفتتن الملائكة تعجباً.

أعتقد أن لحافظي البر .. الزلل الحادث من غير الإرادة، في وقت وقت للذين هم محترسين.

ليس صلاة تقبل سريعاً كمثل الإنسان الذي يطلب صلحاً مع الذين أغضبوه، ومع أعداءه ويقطع الذنب على نفسه من غير تأخير، هذا يعطى سؤال قلبه.

إذا ما كنت مكمل الأشياء الواجبة وأنت محترس بما يخصك وتنظر ذاتك حقير ونفسك مرذولة في عينيك، ومدحة الناس لك مكروهة عندك .. اعلم أنك سائر في طريق الله بالحقيقة.

وإذا كنت تحس أن أمورك مغايرة عن هذه الأوصاف وتحس ذاتك وترى المذمات تؤلمك، اعلم أنك فارغ من الحق ومسروق من المجد البطال.

الميمر الرابع عشر :

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

في مـواد الـنفس الـتي تطلـب لـتغطـس فيهـا عـن الأفكـار المتجسـمـة الـتي تـكـون مـن تذكـار الأمـور

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

كل شيء أعلى من شيء آخر هو مخفي عن الأدنى منه وهذا لا يكون بحاجز جسم آخر، وليس له اقتناء في طبيعته، فإنه إذا شاء أن يأتي من خفيته للظهور لأن كل شـيء هو جوهر معقول، وإفراز درجاتها ليس هو خارجاً عنها، بل داخل حركاتها هو محدود، ويستضيء بالأكثر إذا ما غاص وتداخل أكثر، وبغير واسطة ما كقبول النور الأول.

وأما الرتب الأقل ليس فيها مكان ما، أو بلادة، بل بحسب ارتفاع النقـاء، وقيـاس الأذهان تصل إلى القوة القابلة الرموز العالية، لأن كل طبع معقول هو مستتر من الـذين هم أحط منه، وليس من بعضهم البعض بالطبع بل بفضيلة الحركات، وأعني بقولي هـذا: عن طغمات القوات المقدسة، وطغمات الأنفس، وطغمات الشياطين.

الأولون أرفع من المتوسطين بالطبع، وبالموضع، والحركات، والمتوسطون أرفع من الآخرين. وكل واحدة وواحدة من هذه الرتب هى مخفية بالمعرفة عن بعضها بعضاً، حتى تنظر أو لا تنظر.

أما من الرتبة الأقل عن هذه الطغمات فهي مخفية أيضاً بالطبيعة، لأن نظر غيـر المتجسدين لا يعمل به خارجاً عنهم كالجسديين، بل بنظرهم لبعضهم بعضاً يقال أنه مـن

داخل حركاتهم حسب قياس فضيلة الحركات، ولأجل هذا إن كانوا متساويين بهذه، وحتى ولو كانوا في البعد ينظرون بعضهم بعضاً ليس بالخيال بل بنظر حقيقي، وطبع محسوس ما خلا الذي هو علة الكل المتعالي عن هذه الإفرازات كلها الذي هـو وحـده المعبـود والمسجود له.

وأما الشياطين إذ هم أنجاس جداً ليس هم عادمين من نظر بعضهم بعضاً. وأما لهاتين الطغمتين المرتفعتين عنهم لا ينظرون، لأن نظر الروح هو ضياء الحركات وهم ومناظرهم وأعينهم مظلمين، وإذا ما أظلمت الحركات لا ينظرون الطغمات المرتفعة عنهم، وأما لبعضهم بعضاً بحب كثافتهم من الرتب الروحانية كقياس هذه ينظرون، فحال الشياطين يجري على هذا المثال.

أما الأنفس إذا كانت مظلمة نجسة ليس لها أن تنظر ولا لبني جنسها وهى عادمـة لنظر ذواتهم ولا لبعضهم بعضاً، فإن هى تنقت وتطهرت ورجعت إلى خلقتهـا الأولـى يشخص لها ضوءاً نيراً بهذه الثلاثة رتب أعني بالذي أحط منها وبالذي هو أعلـى منهـا وينظرون بعضهم بعضاً، وهذه الرتب جميعها ليس أنها إذا تغيرت الأشـكال جـسمانية عند ذلك ينظروهم، إن كان الملائكة أو الشياطين أو الأنفس أنـسبائهم، بـل بطبيعـتهم ينظرون هم قائمون في طقس روحانيتهم، إن كان ملائكة وإن كان شـياطين وإن كـان نفساً لنفس.

وإن كنت تقول لا يمكن هذا أن الملائكة أو الشياطين ينظرون إن لم يتشكلوا بأشباح فحسب قولك ليس النفس هى الناظرة بل الجسد.

فإذاً ما هى الضرورة للنقاوة .. هوذا للغير أنقيـاء تظهـر الـشياطين والملائكـة أيضاً، ولكن هؤلاء بعين الجسد ينظرون ما يظهر لهم التي هى ليست مـضطرة للنقـاء والطهارة، ولكن ليس الأمر هكذا، بل النفس إذا ما تطهرت تنظرهم بروحـانيتهم بعـين طبيعتها، أعني بالعقل الفاهم، وينظرون أيضاً الأنفس بعضهم بعضاً، ولو كانت في الجسد، ودليلنا هو قول القديس أثناسيوس بطريرك الإسكندرية بما ذكـره فـي سـيرة القـديس

أنطونيوس: إن أنطونيوس في وقت من الأوقات كان يصلي فنظر نفساً صاعدة بكرامـة عظيمة، وأعطى الطوبى لذلك الإنسان الذي أؤهل لهذه النعمة العظيمـة، وكانـت تلـك النفس هى نفس أمونيوس الذي من جبل عاطيرا (نتريا)، وكان بُعد ذلـك الجبـل عـن الموضع الذي كان ساكناً فيه أنطونيوس مدة ثلاثة عشر يوماً. فصح الأمر فـي الـدليل عن هذه الثلاثة رتب التي ذكرناها، أنها ولو كانت بعيدة، أعني الطبائع الروحانية لكنهـا تنظر بعضها بعضاً، ولا يوجد حاجز يحجز رؤيتها حتى المـسافات البعيـدة ولا حتـى حاجز أجسام.

وإن نظر الأنفس بعضهم بعضاً إذا ما تطهروا ليس جسمانياً ينظروا إذا ما نظروا، بل بالطبع الروحاني، لأن الأمر معروف أن النظرة الجسدية إلا ما قـدامها فقـط، وأمـا الشيء البعيد فمحتاج إلى نظرة أخرى.

أما الطغمات العالية فهي كثيرة العدد منذ خلقتهم بلا حد ولهم درجات ورتب: منهم من يدعى أراخنة (رؤساء) ومسلطين (سلاطين)، قوات وسيادات، ولعل المكرمين بالرياسة والسلطان أقل عدد من الذين تحت أمرهم قد وضعوا حسب قول القديس ديوناسيوس أسقف أتناس (أثينا) إن بالقوة والفهم يوجد فيهم كبار وصغار حسب عظم ارتفاع طقسهم ويتدرجوا ويصعدوا من درجة إلى درجة حتى يصلوا إلى ذاك الواحد الكبير الذي هو صاحب القوة أكثر وأشرف من الكل وهو أول ورئيس كل الخلائق، وقولي أول ليس أعني بذلك الخالق تعالى وتقدس اسمه بل المتقدم الأول من ابتداع عجائب أعمال الخالق.

لأن الملائكة ورؤساء الملائكة هم ناقصين جداً عن معرفة تدبير حكمة الله خالقنا وخالقهم، كمثل ما هم انقص عنهم جداً الذين هم أحط منهم فوق الحد انقص، وأما ارتفاع وانحطاط بعضهم عن بعض ليس مواضع ولا منازل بل بالقوة والإفهام، فيهم مرتفعين وناقصين أعني بالقوة الطبيعية وبالفهم منهم شيء أعلى من شيء وحسب مقاديرهم تقفوا

بهم المعرفة الثاقبة الجسيمة، أو النزرة الحطيطة.

وجميع الجواهر السمائية التعليم الإلهي حدهم بتسمية تسع كنيات روحانية: وهى ثلاث طغمات مثلثة مفروزة: أولهم الجلوس (الكراسي أو العروش) أعني المراتب العالية المقدسة.

- والساروفيم ذوي الستة أجنحة.
- والشاروبيم ذو الأعين الكثيرة.

والطغمة الثانية ذو الثلاث رتب:

- السادات، القوات، والسلاطين.

والطغمة الثالثة المثلثة الأجزاء:

- الأراخنة (الرؤساء)، وعظماء الملائكة، والملائكة ويفسروا عبراني الجلوس: قبول نياح الله.
- الساروفيم المتوقدون ناراً ..
- الشاروبيم كثيرو المعرفة .. وذووا حكمة فائقة، وقد سمي هذا الطقس معقولين لأنهم ليسوا بمثال أو أشباح محسوسة ينظرون روحياً أو من كتب الروح يفهمون على الأزلية، بل أنهم يمتلئوا إشراقاً ونوراً معظماً وجميع المعرفة الغير متجسمة، ويمتلئوا حسبما يؤذن لهم من الثاؤريا الأزلية المثلثة الشعاعات لحن الباري كل المحاسن ويؤهلوا للشركة مع يسوع، ليس بأيقونات مقدسة بالتصور الذي بالتشبه يتصور فيهم تمثال اللاهوت بل بالحقيقة قريبين منه ويرتسم فيهم أولاً تناول معرفة الأنوار الإلهية، ويمتلئون من جهة اللاهوت معرفة أزلية خلاف باقي الملائكة، إفهام اللاهوت أولاً إشراق واستضاء بزيادة كنية الرتب المتعالية.

الجلوس: مكرمين، السارفيم: مقدسين، الشاروبيم: حاملين، السادات: مسلطين على الممالك، الأراخنة: مدبري الجو، السلاطين: ذو القوة والسلطة على الشعوب، وعلى كل واحد واحد من البشر القوات المخوفة منظرهم وشديدي القوة المتيقظين.

حراس الملائكة: مرسلين.

في اليوم الأول ثمانية طبائع خلق فيهم سبعة بسكوت، وواحد بالصوت: الذي هو النور.

وفي اليوم الثاني: الجَلَد، وفي الثالث: مجمع المياه ونبات الأشجار، وفي الرابـع: قسمة الأنوار، وفي الخامس: الطائر والـدبيب والأسـماك، وفـي الـسادس: الحيـوان والإنسان.

وضع هذا العالم جميعه طولاً وعرضاً: رأسه الشرق، ومنتهاه الغرب، ويساره الشمال، ويمينه التيمن. والأرض كروية والسماء العالي كالخيمة والسماء الثاني كالعجلة ملتحم بذلك العالي. وأوقيانوس المحيط كالحياصه، وإلى ههنا منه جبال شامخة تصعد إلى السماء، والشمس تدور حول الأرض وتظهر من وراء الجبال العالية، والمياه تحيط باليابس وهى حوالي ثلاثة أرباع الأرض.

الميمر الخامس عشر :

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

على ثلاثـة رتـب المعرفـة وإفـرازات عملهم ومعاني حركاتهم وعلى إيمــان النفس والأســرار المخـفـيـة فيهـا، وإيضـاح مقدار تضاد معرفة هذا العالم بحيلها لبسـاطـة الإيمـان

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

النفس السالكة في سبيل تدابيرها في طريق الإيمان ونجحت فيه دفوع كثيرة، إن عادت للالتفات إلى استعمال حيل المعرفة في الوقت تتعطل من الأمانة وتعدم تلك القوة المعقولة التي تكون من الأمانة التي بمعونات كثيرة ومؤازرات مختلفة تظهر ذاتها في النفس النقية وتجعل ساير استعمالها بلا فحص ولا تفتيش بل بالبساطة فقط.

النفس التي دفعة واحدة أسلمت ذاتها لله بالأمانة وأخذت ذوق مؤازراته ومعونته بتجارب كثيرة ليس يكون لها اهتمام بذاتها بل قد التجمت بالصمت والدهش ولم تعود ترجع إلى الاستعمال بحيل المعرفة لئلا تحصل بما يضاد هذا وتخيب من العناية الإلهية التي تفتقدها خفياً على الدوام وتهتم بها في كل شيء وبكل مكان لأجل أنها ازدرت ومقتت ذاتها وإنه ليس فيها كفؤاً أن تتدبر بقوة معرفتها.

الذي نور الأمانة يشرق في قلوبهم لم يجسروا أن يصلوا على أنفسهم أو أن يطلبوا من الله قائلين: أعطنا ما هو كيت وخذ منا ما هو كيت ولا أن يهتمون بتدبير أنفسهم بنوع من الأشياء بل بعين الإيمان المعقولة، في كل وقت ينظرون العناية الأبوية تظلل عليهم من الأب الحقيقي الذي قوة محبته التي لا قياس لها تغلب لجميع محبته الآباء اللحميين جميعاً، الذي يقدر على مساعدتنا أكثر مما نسأل ونفكر.

المعرفة البشرية هى ضد الأمانة لأن الأمانة هى مبطلة كل سنن المعرفة وشرائعها، وليس أعني بهذا عن معرفة الروح.

شرط المعرفة هو خارج عن الفحص والتفتيش والرؤية فلا يعمل الإنسان شيئاً من أموره، بل يفتش أولاً عما يحدث من الأمران كان يمكن عمله أم لا.

وأما الإيمان بغير تفتيش وفحص يفعل.

المعرفة ليس لها أن تفعل شيئاً من غير استعمال حيل وأبواب تعرف أنها موجودة وهذا دليل واضح على تقسيمها وشكها على الحق ..

الأمانة فكر واحد نقي بسيط مبتعد من كل تصنع وخيال ومكر وتفتيش تطلب ..

انظر كيف يضادون بعضهم بعضاً: بيت الإيمان هو الفكر الطفولي والقلب الساذج حسب قول الكتاب: أن بوداعة قلوبهم كانوا يمجدون الله **(أع ٢ : ٤٦)** وحسب قول الإنجيل: **" إنْ لَمْ ترْجِعوا وتصيروا مثْلَ الأولادِ " (مت ١٨ : ٣)**.

وأما المعرفة هى مضادة لهاذين الاثنين: المعرفة إنما تحفظ حدود الطبيعة في سائر طرقها، وأما الأمانة فوق الطبع تجعل مسلكها.

المعرفة تحذر عن كل ما هو مؤذي من الطبيعة، أما الأمانة تقول بإفصاح: إن سلكت على الأفاعي وملك الحيات. وتسحق الأسد والتنين ولا يؤذيانك **(مز ٩٠ : ١٠)**.

المعرفة يقفوها الخوف والجبن، أما الإيمان فالثقة والاتكال.

كلما الإنسان سائر بحيل المعرفة لم ينعتق من الخوف ولا يؤهل للحرية، وإذا صار بالإيمان صار حراً ومالك نفسه وكابن الله يستعمل كل شيء بسلطة الإنسان. الإنسان الذي قد حظى بمفاتيح الإيمان يتسلط مثل الله على الطبائع.

الأمانة لها سلطان أن تخلق خلقة جديدة كمثل الله، إذا اخترت شيئاً الآن فيتم كل شيء أمامك، دفعات كثيرة من لا شيء تفعل أشياء كثيرة، أما المعرفة من غير مواد

لا تستطيع أن تفعل شيئاً، ولا تقدر المعرفة أن تجسر على شيء لم يعط للطبع أن يفعله، كمثل المشي على الماء السائل بأقدام لحمية، والمشي على النار المتقدة، ولا أن تجسر على أمور خطيرة، بل تحذر المعرفة أن لا يتجاوز هذه الحدود.

أما الأمانة بسلطان تأمر وتقول إن سلكت على النار لا تحرقك، وإن مشيت على الماء لن تغرقك، وهذا دفعات كثيرة صنعة الأمانة تجاه كل الخليقة، لأن كثيرين قاموا في وسط النار ولم تحرقهم، ومشوا على البحر كمثل على أرض يابسة، وهذه الأشياء وهى فوق الطبيعة وهى تضاد أبواب المعرفة.

نظرت كيف زعزعت الأمانة أبواب المعرفة وجعلت كل سننها وشرائعها باطلة !؟ تميز بالإيمان كيف يجسر أن يضع سيره فوق حدود الطبيعة. خمسة آلاف سنة وأكثر والتحايل بالمعرفة لم يستطيع أن يدبر العالم، ولم تستطيع الحيل أن ترفع رأسه من الأرض، ولم يشعر بقوة خالقه حتى ظهر الإيمان وعتقنا من شقاء الأرضيات، ومن العبودية الباطلة، ومن الطياشة الهمجية.

وحتى الآن وبعد أن وجدنا البحر الذي لا قرار له والكنز الذي ليس له حد، فنشتهي أن نرجع إلى النذير الفقير.

ليس معرفة إلا وهى مفتقرة محتاجة ولو كانت موسرة جداً، أما الأمانة كنوزها السماء ما تحويها، وليس يعوزها شيء.

الذي بثقة الإيمان يسند قلبه وإن كان لا يقتني شيئاً فله كل شيء كقول الإنجيل: إن كل شيء تسألونه بإيمان في الصلاة تنالونه. وأيضاً قيل أن سيدنا قريباً فلا تهتموا بشيء.

المعرفة تطلب التحايل لكي تحفظ مقتنياتها، وأما الأمانة تقول: **" إنْ لَمْ يَبْنِ الربُّ البيتَ، فبَاطلاً تعب البنَّاؤونَ. وإنْ لَمْ يحرس الرب المدينة، فبَاطلاً سهر الحافظون "** **(مز ١٢٦ : ١)**

الذي يلتجئ بالإيمان ليس يمكنه أن يستعمل الحيل ..

المعرفة في وقت تمدح الخوف حسب قول الحكيم: الخائف بقلبه طوباه، وأما الأمانة قال: لما خاف بدأ يغرق وأيضاً قال الرسول: لم تأخذوا روح العبودية لتجزعوا، بل روح كنز النبوة العتيق بالإيمان والثقة بالله (رو ٨ : ١٥) أيضاً لا تخف منهم لئلا أكسرك قدامهم (**تث ١ : ٤٢ ، ٧ : ١٨**)

يلصق بالخوف الشك والانقسام في كل وقت، ويلصق بالشك الفحص والتفتيش، ويتبع الفحص التحيل، والتحيل فهو من المعرفة وفحصها وتفتيشها كل وقت يدل على الخوف والشك، ولأن ليس في كل وقت تصيب المعرفة وتنجح كمثل ما قلنا أولاً، لأنه يعرض في أوقات كثيرة عوارض صعبة وأسباب عسرة مملوءة خطراً، أشياء ما تقدر الحكمة والحيل أن ينجو منها لصعوبتهم لأنها تفوق كل حدود المعرفة البشرية.

أما الإيمان لم يغلب من شيء .. ما هى منفعة ومؤازرة ومساعدة المعرفة قبال الحروب الظاهرة الحادثة عليك من الطبائع المنظورة والقوات المتجسمة وأمور أخرى، فوضح لك الآن ضعف المعرفة وعجزها، وشجاعة الإيمان ومقدرته.

المعرفة تمنع تلاميذها من كل شيء هو غريب من الطبيعة، انظر الآن قوة الأمانة كيف تأمر أولادها قائلة باسمي تخرجون الشياطين وتدوسون الحيات وإن شربتم سماً قاتلاً لا يؤذيكم (مر ١٦ : ١٧ ، ١٨).

❖ **أما الحكمة البشرية فتعلم كل من يسلك في طرقها أنه إذا أراد أن يفعل أمراً ما من قبل أن يبدأ فيه يفحص عما يحدث فيه في الآخر، لئلا تفوق قوة الأفعال على حدود قوة الطبيعة فينتهي عملها إلى البطلان، ويوجد الأمر في أخرته عسر وغير مستطاع.**

❖ حاشية: " من أراد منكم أن يبني برجاً أفلا يجلس أولاً ويحسب النفقة " راجـع كـلام الـسيد المسيح في (لو ١٤ : ٢٨ ـ ٣٢) ـ " الناشر ".

فأما الأمانة تقول أن كل شيء ممكن للذي يؤمن وليس عند الله أمر عسير.

يا للغنى الذي لا ينطق به، ويا للبحر الغزير الأمواج، ويا لفيض قوة الإيمان .. ما أكثر عزاه وثقته، وما أحلا السير معه، وما أسهل وثق الإيمان، وما أهنأ عملهـا الـذي استحق لمذاقة الإيمان ويعود إلى معرفة النفس يشبه من قد وجـد جـوهرة ثمينـة جـداً وقايضها بفلس نحاس، وترك الحرية ذات السلطة ورجع إلى الحيل الفقيرة المملوءة مـن خوف العبودية، ليس أن المعرفة مرذولة بل أن الإيمان أرفع منها وأشرف.

وإن ازدرينا بالمعرفة ليس بها نزدري بل بالرتب المختلفة التي تسير بهم وبما أوجدت الطبيعة في العالم من الأشياء المناسبة لطغمات الشياطين ..

ونحن نفرزهم، وكم من درجات تتسير بهم المعرفة وأي إفرازات واحد واحد منهم، وبأي حركات تزهر في كل واحد من الرتب إذا ما ثبتت فيها وبأي نوع من هذه الرتب إذا ما تسيرت فيه تصير مضادة للأمانة وتخرج من الطبيعة وأي إفرازات بها وأي ترتيب إذا ما رجعت إليه ردت لقصد غرضها الأول، وتأتي لطبعها القديم وتصلح درجات وسبل قدام الإيمان بتدابيرها الحسنة.

ولأي حد يوصلها تمييز هذه الرتب وكيف ترتفع من هذا لذلك الذي هو أرفع منه وما هو عمل ذلك الطقس الآخر، وكيف هو نوع الأول، ومتى تتحد المعرفة بالإيمان وتكون معه واحداً وتلبس منه حركات نورانية وتشتعل بالروح، وتقتني ملاحظات عدم الآلام وترتفع من خدمة الأرضيات إلى بلد خالقها مع مقاصد أُخر.

من هذا (هنا) ينبغي لنا أن نعلم أن عمل درجة الإيمان أرفع من المعرفة، لأن هى المعرفة أيضاً بالإيمان تكمل وتقتنى قوة أن تصعد إلى فوق ولتحس بذلك الذي هو أرفع وأعلا من كل حساسية وتنظر إشراقة ذلك الذي لا يدرك ولا يوصف من عمل المخلوقين ومعرفتهم.

المعرفة هى سلم يصعد بها الإنسان إلى علو الإيمان، وإذا ما وصل إلى هناك لم يعد يحتاج إليه. الآن نعرف قليل من كثير، ونفهم قليل من كثير، ولكن إذا ما أتى الكمال

بطل ذلك القليل.

الأمانة كمثل العينين ترينا حقيقة ذلك الكمال الآتي، لأننا بالإيمان نتعلم ونعرف ذلك الشيء الغير مدرك وليس بالفحص ولا بقدرة المعرفة.

جميع أعمال البر إن كان صوماً أو صدقة أو سهراً وطهارة مع باقي الفضائل التي بالجسد تعمل ومحبة القريب واتضاع القلب وترك الزلل والهذيذ بالصلاح وفحص عن الأسرار المكتومة في الكتب المقدسة، والمفاوضة بعمل الفضائل التي بالنفس تكمل هؤلاء جميعهم مفتقرين إلى المعرفة لأنها هى التي ترتب هذه الفضائل، وهذه جميعها هى درجات تصعد بهم النفس إلى علو الإيمان المرتفع وتدعى فضائل.

وأما سيرة الإيمان فهي فوق الفضيلة وفعلها ليس هو تعب بل نياح تـام وعـزاء وكلام في القلب وبحركات النفس تكمل وكل الرتب العجيبة التي للسيرة الروحانية. وتنعم النفس وسرورها والفرح بمحبة الله وسائر الأشياء التي تعطى في هذه السيرة للنفس التي أوهلت بالنعمة لتلك السعادة حسبما تشير إليه الكتب المقدسة، بالإيمان يكملون للنفس ههنا من عند الله الغزير بالعطايا.

فإن قال أحد إن كانت هذه الخيرات جميعها وعمل الفضيلة وجميع ما ذكر آنفا والبعد من الشرور وفرز الحركات اللطيفة المزهرة في النفس ومعاندة الأفكار والجهاد مقابل الآلام الجاذبة وما تبقى، الذي من دون عملهم ما تقدر الأمانة أن تظهر قوتها بفعلها في النفس دائماً يكمل عمل هؤلاء بالمعرفة كيف يظن بالمعرفة أنها مضادة الإيمان، نبطل هذا الشك ونقول: إن المعرفة في ثلاث رتب تصعد وتنزل معقولاً حسب غيار منازل البلدان الذي بهم تسير، وهكذا أيضاً هى المعرفة تتغير وتنفع وتضر، وأعني بقولي البلدان عن الجسد والنفس والروح، وإذ هى المعرفة واحدة في طبعها بصفة هذه المنازل، معقولاً أو محسوساً تتلطف وتغير أنواعها وأفعال حركاتها، افهم الآن ترتيب عملها والأسباب التي من أجلها تنفع أو تضر.

المعرفة هى موهبة من الله قد جاد بها على طبع الناطقين منذ بدء خلقتهم أعطاها لهم وهى بسيطة غير منقسمة في طبعها كمثل نور الشمس وتقتني غيارات

وأنواع حسب العمل والاستعمال بها.

الرتبة الأولى من المعرفة:

إذا ما كانت المعرفة مائلة لمحبة الأجساد: هذه الذخائر تجمعهم الذين هم: الغنى، المجد الفارغ، الكرامة البشرية، الصلف، نياح الجسد، التحايل في حفظه من الأشياء المضادة لطبيعة الجسد، الحرص على تحصيل الحكمة المنطقية التي تصلح لتدبير هذا العالم ولتصنيف صنائع جديدة وتعاليم وابتداع أشياء تزين هذا الجسد المنظور. وهذه جميعها من الخاصيات التي تضاد الإيمان.

وهذا النوع من المعرفة يدعى معرفة سانجة لأنها متعرية من كل هذيذ إلهي، وضعفاً لا ينطق به تُدخل على العقل لأجل تمسكها بالجسد، وكل اهتماماتها بهذا العالم وهذا الصنف من المعرفة لم يصدق أن ثمة قوة معقولة ومدبراً مخفياً وعناية إلهية تهتم بالإنسان وتحفظه بل جميع الخير الذي يكون للإنسان وكل صلاح يحدث له ونجاته من المؤذيات وحفظه من العوارض الصعبة والمضادات الكثيرة التابعة للطبيعة ظاهراً وخفياً يظن إنما يكون حدوثهم من حرص الإنسان، وتحايله وحسن سياسته.

وهذا الصنف من المعرفة يناسب قول أولئك الذين يعتقدون أن ليس مدبراً يسوس هذه المنظورات، ولهذا لا يمكنها أن تخرج من اتصال الاهتمام والخوف من أجل الجسد ولأجل هذا صغر النفس والكآبة وقطع اليأس والخوف من الشياطين والرعب من الناس وسماع أخبار اللصوص وسماع عن الموت والوباء والأمراض والاهتمام بفوز ما تحتاج إليه الطبيعة من قوة والرعب من الموت والجزع من الدبيب والوحوش وما يشابه هؤلاء.. كمثل أمواج البحر يضرب ويسجس في كل الأوقات بالليل وبالنهار، وما تعرف أن تلقي همها على الله بثقة الإيمان به، ومن أجل هذا تستعمل التحايل والتصنع في جميع تدابيرها.

وإذا ما بطلت حيلها بنوع من الأسباب لأنها لم تنظر السياسة الخفية فتبتدئ تخاصم

الناس وتناصبهم العداء كأنهم أعاقوها، وكمبغضين ومؤذيين لها.

وبهذا الصنف من المعرفة منصوبة شجرة معرفة الخير والشر، التي هى قاطعة أصل الحب، وتفتش عن عيوب الناس بتدقيق، وعن ذلهم وجزعهم وعجزهم، وملاقات الجدال وترديد الكلام والتصنع والمكر وبقية التحاليلات التي تسبب التعب للإنسان، موجودة في هذا الصنف.

ويحب التبجيل والعظمة والافتخار بأنه على ذاته يوضع جميع الأشياء التي هى تصنع سلامه وليس على الله.

وأما الأمانة على نعمة الله تواضع أعمالها، ولأجل هذا لا يمكنها أن تتعظم حسب قول الرسول: **" أستطيع كلَّ شيءٍ في المسيح الذي يُقوِّيني "** (في ٤ : ١٣)، **" ولكن لا أنا، بَلْ نِعمَةُ اللَّهِ التي مَعي "** (١كو ١٥ : ١٠)، وكقوله أيضاً: **" العِلمُ يَنفُخُ،ولكِنَّ المحبَّةَ تبْني "** (١كو ٨ : ١) أعني بالمعرفة الغير ممتزجة بالإيمان والثقة بالله، ولست أقصد المعرفة الحقيقية، فحاشا وكلا أن يكون ذلك.

لأن المعرفة الحقيقية بالاتضاع تكمل النفس التـي وجـدتها، كموسـى، وداود، وإشعياء، وبطرس وبولس، وبقية القديسين الذين أؤهلوا للمعرفة الكاملة حسب حـدود الطبيعة.

وإذا كانوا مفعمين بالمناظر والاستعلانات الإلهية والنظرة المتعالية بالروحانية، والأسرار التي لا ينطق بها، كانت تبتلع معرفتهم على الدوام.

ومن قياس هؤلاء تكون أنفسهم عندهم تراب ورماد.

وأما تلك المعرفة الأخرى بالضرورة تفخم لأنها سائرة في الظلام، ومن قياس الأرضيات تشبه أمورها، ولا تعلم أن ثمة شيئاً آخر أفضل مما يضاهي العظمة والأرضيات تشبه أمورها الجسد، يزنوا تدابيرهم، وعلى العمل يستندوا وليس لعدم الإدراك يقنعون عقلهم لأن أولئك الذين يهدسوا بأمواج لجة شعاعات اللاهوت الممجد،

وعملهم هو في العلاء. لا تميل أفكارهم ليلهجوا في خرافات باطلة.

لأن السائرون في النور لا يضلوا، لأجل هذا كل الذين هم عادمين من نور معرفة ابن الله يزوغوا عن الحق ويسيروا في هذا السبيل، وهذه الرتبة الأولى من المعرفة إذا ما تبعت محبة الجسد هى التي نرذلها وندعوها ضد ليس فقط للإيمان بل ولكل أعمال الفضيلة.

الكلام عن الصنف الثاني من المعرفة:

إذا ما نبذت الغرض الأول ورجعت إلى الهذيذ ومحبة النفس، فجميع الفضائل التي ذكرناها تعمل بحركات النفس مع حواس الجسد بنور طبيعتها الذين هم الصوم والصلاة والرحمة وقراءة الكتب المقدسة لقصد الفضيلة وتعلم الجهاد مقابل الآلام والشياطين مع ما تبقى، وباقتصار جميع الأفعال الحسنة والإفرازات والمعاني الفاضلة التي تنظر طبع النفس والتراتيب العجيبة الموجودة في بيعة السيد المسيح له المجد بهذا الصنف المتوسط من المعرفة يكمل روح القدس بفعل قوته وهى تطرق سبيل توصل العقل للأمانة وبها نجمع زواده لعالمنا الحقيقي ذاك.

وإلى ههنا ما زالت المعرفة جسدية ومركبة، ولو أن هذيذها بالفضيلة لأنها هى الطريق الموصلة لنا لدرجة الإيمان.

ولكن ثم رتبة أخرى أرفع من هذه وأفضل، فإن نجحت ونشطت مع التدريج بمعونة المسيح وتوضع أساس عملها السكون، والبعد عن الناس، والهروب من المحادثات مع المفاوضة بقراءة الكتب، ومداومة الصلاة وما تبقى من الصلاح إنما يكملوا بهؤلاء، وهذا هو الصنف الثاني من المعرفة التي بها تنعمل كل الحسنات، وتدعى معرفة الأفعال لأنها بالأفعال المحسوسة بحواس الجسد تكمل فاعليها بالترتيب الخارجي.

الكلام عن الصنف الثالث من المعرفة:

كيف ترق وتتلطف وتقتني اتساع الأفاق الروحية وتشابه سـيرة القـوات الغيـر منظورة الذين خدمتهم ليست هى بأفعال محسوسة من الأعمال بل بهذيـذ العقـل تكمـل فقط.

اسمع الآن إذا ما ارتفعت المعرفة من الأرضيات ومن هم الأعمال وبدأت تمتحن حركاتها بالأشياء المستترة من نظر العيون، وازدرت ومقتت جزء تذكارات الأمور التي يكون منها التواء الآلام والفحص عن الغوامض، عند ذلك هى الأمانة تبتلع المعرفة وترجع تلادها ثانية لأن جميعها تكون بالروح، وعند ذلك تتمكن من الطواف في بلد غير المتجسدين ولتجس أعمال السياسة وأعماق بحرها الإلهية العجيب الذي ليس له قرار الموجود في الطبائع المعقولة المحسوسة، والفحص عن أسرار الروح الذي بالعقل البسيط الدقيق يُدركوا عندما تنتبه الحواس الداخلة لعمل الروح حسب ذلك التصرف الذي لا ميتوتة فيه ولا فساد، لأنهم قبلوا القيامة المعقولة بالسر، من ههنا دليلاً حقيقياً على ذلك التجديد العام.

في هذه الرتب الثلاث من المعرفة ينحصر ويُحد كل تدبير الإنسان إن كان بالجسد أو النفس أو الروح.

لأنه من حيث يبدأ الإنسان أن يفرز بين الجيد والرديء، وإلى حيث يخرج من العالم بهذه الثلاث منازل، تتداخل معرفة نفسه وكمال كل الإثم والنفاق، وحد كل البر وجميع العدل وحبس أعماق كل أسرار الروح، معرفة واحدة تفعل في هذه الثلاث رتب وفيهم تكون كل حركات العقل التي بها يصعد وينحط إن كان بالصلاح أو بالشرور أو بالوسط ما بين هذين.

وهذه الرتب يدعوهم آباءنا: الطبع، وفوق الطبع، وخارج عن الطبع، ولهذه الثلاث

وجوه يتعالى وينحط تذكار النفس الناطقة حسب قول أوغريس: " إن كانت بالطبع فهي تفعل البر، أو فوق الطبع فتخطف بتذكارها بتاؤرية الله، أو خارج الطبع فتخرج لترعى الخنازير، كمثل ذاك الذي ضيع غنى إفرازه بعمله مع الشياطين ".

النوع الأول: من المعرفة يجعل النفس باردة ويبعدها عن أعمال الصلاح والبر.

والنوع الأوسط: من المعرفة يلهب النفس ويدفعها لحرارة السير بدرجة الإيمان.

والنوع الثالث: هو توقف النفس عن العمل وهو مثال لما سيكون بعد القيامة حيث تتنعم النفس بالأسرار المزمعة في الدهر الآتي.

الذي بهذيذ العقل يتنعم في الأسرار المزمعة، ولأجل أنه الآن ما ارتفع الطبع من رتبة الميتوتة، ومن ثقل اللحم لكي يكون بالكمال في تلك الروحانية المرتفعة عن الميالة، ولا يستطيع أن يسير بكمال لا عوز فيه ينتقل بالتغير في وقت لذاك، وفي وقت كمسكين ومعوز تتفاوض نفسه في الرتبة الوسطى من المعرفة بالفضائل التي قد وضعت في الطبع للاستعمال، بسبب طبيعة الجسد، وفي وقت كمثل الذين قد حظيوا بروح كنز النبوة بأسرار الحرية تتنعم نفوسهم بموهبة الروح وذلك حسب إحسان المنعم المعطي المانح، وتعود أيضاً لمسكنة عالمها أعني الجسد وهى فيه.

لئلا يسبيها بالشهوات الموجودة في عالمه بحركاته المسجسة والمائلة، لأن كلما هى محصورة داخل حجاب اللحم ليس لها ثقة، لأن ليس في هذا العالم عتق وحرية كاملين، بل كل عمله هو تعب وتخريج وأما أعمال الأمانة ليس بالتعب ينعملون بل بالحركات الروحانية بفعل النفس المجردة يكملون وفوق الحواس، لأن الإيمان هو ألطف من المعرفة وأدق. كما أن المعرفة ألطف من الأفعال المحسوسة، وجميع القديسين الذين أؤهلوا للتدبير الروحاني الذي هو الدهش بالله بقوة الإيمان يتدبرون بتنعم ذلك التدبير الذي هو فوق الطبيعة.

وقولي الإيمان ليس أعني به أن يؤمن الإنسان بالأقانيم الأزلية المسجود لها

وخاصيات طبيعتها، وبالسياسة العجيبة والتدبير الذي حصل للبشر بتجسده من طبيعتنا، وإن كانت هذه عظيمة جداً، بل أعني عن الإيمان النور الذي من النعمة يشرق في النفس وبشهادة الضمير يسند القلب ويثق بغير شك بقنوع الرجاء المبتعد من جميع الظنون وليس من التقليد وسماع الأذن ويوريها بالعين الروحانية الأسرار المخفية في النفس، وغنى اللاهوت المكتوم والمستتر من أعين اللحميين، ويظهر بالروح للذين على مايدة المسيح يتربون بهذيذ شرائع سننه حسبما قال: إن حفظتم وصاياي أرسل إليكم البارقليط الذي لا يستطيع العالم أن يقبله وهو يظهر لكم كل الحق **(يو ١٤ : ١٥ - ٢٥)**.

هكذا يوري الإنسان القوة المقدسة التي تحل عليه في كل وقت وزمان، هذه القوة هى البارقليط، وبقوة هذه الأمانة تشتعل كل أجزاء النفس كمثل من حرارة النار وتجسر على الأشياء الخطرة بثقتها بالله واتكالها عليه، وبلواحظ الإيمان ترتفع من دائرة هذه الخليقة المنظورة ويكون كالسكران على الدوام بدهش الاهتمام بالله بالنظر البسيط وبالإفهام الغير منظورة على الطبع الإلهي، وينتبه العقل لينظر بالهذيذ على خفيته، إلى أن يأتي ذلك الذي هو كمال الأسرار، ويؤهل لاستعلانه بغتة.

الإيمان يخدم بين الله للقديسين أسرار لا ينطق بها، التي يجعلنا المسيح مستحقيهم ههنا عربوناً وهناك بأقانيم حقيقية بملكوت السماء، مع جميع محبيه. آمين.

في مقاصد أخرى من أنواع المعرفة:

المعرفة إذا كانت طائشة في المنظورات التي بالحواس وتقبل التعليم عليهم تـدعى طبيعية، وإذا ما كانت بالقوات المعقولة وداخل منها وبالطبائع الغيـر المتجـسدة تـدعى روحانية. لأنها قبلت الحس بالروح وليس بالحواس، وهذين الأمرين ميلادهم من خـارج يكون للنفس للتفهم، وإذا ما كانت المعرفة بالأزلية فوق الطبع تدعى وبعدم المعرفة التـي

هى أعلا من كل معرفة، وهذه تكون ليس من مادة خارج منها تقبل النفس الثاؤريا عليها، وبالتصور بها كمثل أولئك الأوائل، بل من غير مادة داخلاً عنها تظهر فجأة النعمة. وبغير انتظار، لأن ملكوت السماء هى داخلنا، وليس بانتظار من مكان، ولا بترقب تأتي وذلـك حسب قول سيدنا. بل داخلاً في صورة العقل الخفي تظهر مـن غيـر علـة ولا سـبب ولا هذيذ عليها، لأن ليس للعقل مادة من مكان لأجلها.

أما الأولى فمن التعليم الدائم والحرص على الحكمة تكون، وأما الثانية من التدابير المتقنة وإيمان العقل، وأما هذه الثالثة من الإيمان فقط.

لأن هناك تبطل المعرفة والأعمال يأخذون الحد والحواس يكون الاستعمال بهم زيادة لا حاجة له، وكلما تنحط المعرفة من هذا الحد تنقل، وإذا ما زاد انحطاطها ثقلت أكثر وتصل الأرض والأرضيات.

والمعرفة هى سيدة كل شيء، ومن دونها كل الأشياء معطلة وباطلة وإذا ما رفعت النفس نظرها إلى فوق وبسطت لواحد حركاتها إلى السمائيات واشتاقت لذلك الشيء الذي ليس يبصر بأعين الجسد ولا للحم عليه سلطان، عند ذلك بالإيمان يقوم كل شيء.

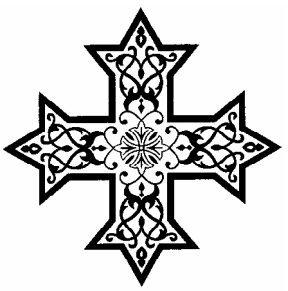

الميمر السادس عشـر :

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

علـى أنــواع الصــلاة
وبقيـة الأشـياء الـتي هـو مضـطر إلى تـذكرهـم علـى الـدوام
ويحتــاج إلـيهـم جـداً، وينفعـوا كـثيـراً إذا مـا قـرأ الإنسـان
وتمســك بهـم

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

أن يتحقق الإنسان بسؤال صلاته بثقة وتكلان على الله هـى جـزء كبيـر مـن مواهب الإيمان، وتحقيق الإيمان بالله ليس هو صحة الاعتـراف، وإن كانـت هـذه أم الإيمان، **بل أعني عزاء النفس الناظرة في حقيقة الله، والحاصلة لها من قـوة تـدابير سيرتها الفاضلة.**

وإذا وجدت في الكتب المقدسة الإيمان مختلطاً مع التدابير لا تضع هذا المعنى والتصور فيه على صحة الاعتراف فقط، لأنه لا يطلب إيماناً يعطي اقتناعاً وثقة من غير المعمدين أو من الذين قد فسدت ضمائرهم عن معرفة الحق أعني الهراطقة بل حقيقة الإيمان يظهر ذاته في النفس حسب قياس تداخلها بالسيرة بقصد وغرض يليقان لوضع وصايا سيدنا الذي هو نور النفس وضياؤها.

الهذيذ الدائم في الكتب يرسم في العقل تذكارات نافعة للتحفظ والاحتراس من الآلام والمداومة إلى الله بالمحبة وطهارة الصلاة وترشدنا وتقوم أقدامنا طريق السلامة التي وطأتها أقدام القديسين.

لا تتكل على كلامات الألفاظ في الصلاة إذ لم تتبعها يقظة كثيرة وحزن متصل بالصلوات كل وقت.

الكلام المقول من التجربة والتحنك اقبله بالضرورة ولو أن يكون قائله سانجاً أُمياً، لأن كنوز الملوك الأرضية ليس يأبوا أن يأخذوا زيادة من فلس الفقير.

نذرات صغار (قطرات مياه قليلة) يتجمع منهم نهر غزير الفيض.

إن كان ذكر الفضلاء يجدد فينا شهوة الفضيلة إذا ما تفاوضنا معهم بأفكارنا، هكذا أيضاً وذكر الفسقة يجدد في ضميرنا الشهوة السمجة إذا ما ذكرناهم لأن ذكر كل واحد واحد من هذين يرسم في عقلنا إفراز أفعاله ويشير لنا كمثل بالإصبع رذايل فعايلهم أو شرف ارتفاع فضائل سيرتهم، إن كان أولئك أم هؤلاء يضطرنا مجاذبة الذكر إلى الميلان إما لليمين أو الشمال، إن كنا نهدس بخفية فكرنا يتصور إفراز سيرتهم بخيالات فكرنا وأن نكون ناظريهم بحرص،

وليس الهذيذ فقط يؤذي المتمسك به بل والنظر والتذكر تكمل هذه، وليس فقط عمل الفضائل ينفع مكمليه جداً بل والخيال المتصور من ذكر وجوه عاملين الفضيلة.

ومن ههنا نستدل على أن الذين قد قربوا من الوصول إلى رتبة الطهارة يؤهلوا لنظر أُناس قديسين في أوقات الليل على الدوام، وأوقات النهار تكون لهم مادة للجدل والانشراح بالمفاوضة بمعقول فكرهم، لأن منظر القديسين إذا ما ارتسم في النفس يزيد فيها حرارة لعمل الفضائل ونار مضطرمة يشعل فيها ومحبة الفضيلة.

وقالوا إن الملائكة المقدسين يتراءوا بشكل أناس فضلاء قديسين ويظهروا للنفس بتخايل النوم بطياشة حركاتها لأجل الفرح ولمجاذبة زائدة، وفي النهار أيضاً يحركوا هذه في نظر الفكر ويخف عليهم التعب النهاري من سرورهم بأُناس قديسين، وبهذا يزيدوا على عملهم وجريهم.

وهكذا أيضاً في وقت تواتر الحروب الذي هو متناول لمفاوضة ردية بالدوام، تصنع هكذا أيضاً الشياطين ويتشكلوا ويأخذوا لهم أشباه وتمثال ويظهروا للنفس مناظر تحرك بزيادة ويذكروهم في النهار بهذه الأشياء التي أوردها في الحلم، وأوقات بمناظر

مخوفة يزعجوا أو يرعبوا النفس ويضعفوها ويوروها صعوبة سيرة السكون والوحدة مع أمور أُخر.

وأما نحن يا إخوتي ينبغي أن يكون لنا إفراز بهذه التذكارات وبأي نوع نتفاوض بهذيذنا ولأي نوع نطرد منا عاجلاً إذا ما دنا من فكرنا، إن كان من عناية الشياطين الذين يلقون فينا مادة الآلام الشهوانية والغضبية، وإن كان من الملائكة المقدسين الذين يمنحونا أشاير توجب الفرح، وأيضاً المعرفة والمعونة بأفكارنا ويحركوا هذه من قُربهم إلينا أو من ذكر الأمور القديمة والحس بها يتحرك فينا أفكار تليق بواحد واحد من هذين النوعين، وتجربة هذين الأمرين بمعرفة مفرزة تقتني نظرهم أو مفاوضتهم أو فلاحة أعمالهم، ولكل واحد من هذين الصنفين تختبر في الوقت صلاة مفرزة تليق به.

الحب الذي يكون سبب قيامة من الأمور: هو كالشعاع الصغير الذي يغتذي بالزيت، ونوره يكون منه، وهو كالنهر الذي ينجمع من المطر، لأنه كما تنقص مادة تجمعه تضعف حدة مجاريه، وأما الحب الذي سببه الله مثل ينبوع يخرج من الأعماق ولم يضعف قط نبع وحدة جريانه. لأن الرب وحده ينبوع الحب الذي لم تنقص مادة حصول كنزه.

إن شئت أن تتنعم في مزامير خدمتك وتأخذ إحساس كلام الروح المقول لك، اترك عدد كميتها، ولا تقيم فيها معرفة مقادير، ويكون قولك الاستخونات لقصد وغرض ما، واترك تلاوة العادة.

افهم الشيء الذي أقوله لك ..

الذين قيلوا بنوع السيرة، ينظر فيهم عقلك وقت تتلوهم في سياسة الله، ومن ههنا تتحرك لكيما بالإفهام العظيمة التي فيهم تنتبه نفسك بدهش وتعجب من السياسة ومن ههنا تتحرك إما التمجيد وإما الحزن النافع.

والذين هم بنوع الصلاة خذهم على نفسك لكي إذا ما تثبتت الفكرة بهؤلاء، يمضي عنك الاضطراب.

ليس في عمل العبودية سلامة الفكر ولا في حرية الأولاد سجس الخباط الذي من عادته أن يمص مذاقة الإفهام ويسلب التمييز الذي فيهم، كمثل العَلَقة التي تمص حياة الجسد بدم أعضاءه، لأن الخباط مركب الشيطان، والشيطان مثل النوتي الذي من عادته يحاول أن يركب العقل على الدوام، ويأخذ معه مجمع الآلام ثم يدخل على النفس الشقية ليسقطها في هوة التخبط.

وافهم هذه أيضاً بإفراز أن لا تكون مواصل الكلام كمثل من وجه غريب بألفاظ تذميرك وصلاتك، لئلا يظن أنك تكمل عمل المراسلة، وتخيب من الحزن والفرح الموجود فيهم بالكمال، **بل قل الكلام من وجه ذاتك بتضرع وحزن وتميز بإفراز كمثل إنسان متحقق أنه قائم في عمل ذاته بالتثبت والحقيقة.**

الضجر إنما يكون من طياشة الأفكار، والطياشة تحدث من البطالة من الأعمال والقراءة ومن المحادثة ومفاوضة الهمج، من ملو البطن.

إذا لم تستعمل تردد الأفكار قبال المتكلمين فينا من داخل (أي الأفكار الداخلية) بل بتضرع الصلاة تقطع كلامهم هذا دليل واضح على أن العقل وجد حكمة وقوة من النعمة وعتقته معرفته الحقيقية بوجود سبل قاطعة وإدراكه طريق قطع بها دوران سبل طويلة، فلا توجد فينا قوة في كل وقت نجاوب بها بكلام لكل الأفكار المضادة ونسكتها، بل أحياناً نتخلص منها بجراحات سنشفى منها بعد زمن طويل.

مقابل الذين لهم ستة آلاف سنة تقيم نفسك في المجادلة وتردد الكلام، لأنهم أيـضاً أكثر منك لهم استعداد وأشياء يجرحوك بها أكثر من حكمتك أنت وتدريك حتى ولو أنـك تغلب صدى الأفكار التي يتوسخ بها عقلك، ولكن رائحة نتنهم تمكث في مـشمك زمانـاً طويلاً.

وبالنوع الأول تنعتق من هذا جميعه وتستريح من هذا الرعب **فإنه ليس شيء يساعد ويعين مثل الصلاة، الدموع في الصلاة هى دلائل الرحمة الإلهية التي قد حظيت بها النفس وإنها قد قبلت بواسطة التوبة، وبدأت تدخل إلى برية النقاء بالدموع.**

إن لم تنتشل الأفكار من هذيذ الأمور الزائلة وينبذوا عنهم رجاء هذا العالم ليس يتحرك فيهم الازدراء بالعالم، ويبدءوا بإصلاح وتحصيل زوادة ليوم انتقال الإنسان.

قد تلاحظ في النفس فكرة الأمور التي هناك ولهذا لم تحتمل الأعين أن لا تسكب الدموع، لأن هذه الدموع من الهذيذ الحقيقي الذي بغير طياشة يحدث ويكون من الأفكار المتواترة الغير مائلة، ويذكر شيء دقيق يقع في الفكر ويحزن القلب بالهم به ومن ههنا تتواتر الدموع.

إذا ما رجعت إلى عمل يديك في دوام سكوتك لا تضع وصية الآباء من أجله مبرراً لمحبة الفضة، **بل اشتغل بعمل قليل لأجل الضجر، صناعة ليس فيها سجس ولا اضطراب للعقل،** وإن كان بحجة صدقة ما يهدس فيك الفكر، **اعلم أن الصلاة رتبتها أرفع من الصدقة،** وإن كان من أجل حاجتك لضرورة الجسد، لا تشره بذلك، بل حسب قوله: **" اطْلُبوا أولاً ملكوتَ اللَّهِ وبرَّهُ، وهذه كُلُّها تُزادُ لكُم " (مت ٦ : ٣٣)** وذلك قبل أن تسألونه.

قال أحد القديسين: ليس هو هذا غرض سيرتك وقصدها أن تشبع الجياع وأن تكون فلايتك ملجأ الغرباء لأن هذه السيرة تليق بالذين يريدون أن يتدبروا في العالم حسناً وليس هى للمتوحدين المنعتقين من جميع المنظورات أولئك الذين قصدهم حفظ العقل بالصلاة.

إن كنت قد أؤهلت للوحدة الخفيفة الحمل بملكة حريتها، لا ترعبك فكرة الخوف كالعادة بكثرة أنواع اختلاف الأفكار وغيارات ترددها، بل ثق وصدق أن معك حارس وكإنسان متحقق بحكمة ثاقبة أنه هو وجميع الخليقة تحت يد سيد واحد، وبإشارة واحدة يحرك الخليقة جميعها ويهديها، ويسوس ويدبر ولا يستطيع أحد منها أن يؤذي رفيق من غير تسامح وأمر الخالق والمدبر وتحت العناية والسياسة.

انهض الآن وثق وتشجع ههنا ..

إن كان قد أعطى لأحد من الخليقة حرية الإرادة ولكن ليس في كل شيء،

ولا الشياطين ولا الوحوش المفسدة ولا الدبيب ولا الناس الأشرار، لا يقدر شـيء مـن هؤلاء يصنع إرادته بأذية رفيق إن لم يسمح له بإشارة من المدبر ويعطـى فـسحة فـي ذلك بمقدار.

لم يسمح الله أن حرية المخلوقات تكمل جميعها بالفعل وإلا ما كـان يحيـا كـل ذي جسد.

لم يترك الله خليقته أن تدنو منها حرية الشياطين والناس يستعملوها حسبما يريدون في الأذية ولأجل هذا قُل لنفسك أن معي حارس، ولا يستطيع شيء من المخلوقات أن يظهر قدامي ولو ظهوراً فقط من غير سماح من فوق.

حتى ولو أنك تنظر بعينيك وتسمع بأذنيك تهديداتهم لك لا تصدق أنهم يجسروا عليك، فلو كان قد سمح لهم من السماء ما كانوا مضطرين للقول ولا التهديد بل مع ما كانوا يشاءوا يفعلون.

وقُل أيضاً لذاتك إن كان لسيدي إرادة أن يتسلطوا على الأشرار، ليس أتصعب أنا بذلك، كإنسان يريد أن يبطل إرادة سيده، وبهذا تمتلئ فرحاً في تجاربك، وكمثل من حس وعرف أن إشارة سيده هى التي تدبره.

اسند قلبك بثقة الإيمان بالرب ولا تجزع من خوف الليل ولا من سهم يطيـر فـي النهار، لأن الإيمان الصادق بالله يجعل وحوش البرية كالحيوانات الأليفة، والغنم، وقُـل لذاتك إن كنت أنا لست بصديق لكي اتكل على الله واثق به **ولكن أتحقق أنه لأجل عمـل البر قد خرجت إلى البرية والقفر المملوءة من كل ضيقة،** ولأجل هذا أنـت خـادم إرادة الله، وإن لم يكن الأمر على هذا المعنى، فباطل تشقى وتكابد الأحزان، وتقاسي الضواغط.

إن الله ليس يريد شقاء الناس وأحزانهم بل لكي تقرب له ذبائح المحبة التـي هـى أحزان قلبك بهذا الإفراز يطهرون نيتهم من كل محبين الله إنهم لأجل محبته يتـضايقون كما قال الرسول إن الذين يريدون أن يعيشوا بمخافة اللـه بيـسوع المـسيح يتـضايقون

(٢تي ٣ : ١٢) وبعد ذلك يسلطهم على خفايا كنوزه.

الميمر السابع عشـر :

****

وأيضــاً ممــا سـمـع ونظــر مــن الشــيوخ

****

١ قال واحد من القديسين: كان يوجد متوحد شيخ عظيم مضيت إليه وأنا مضنوك من الأحزان والتجارب. وكان مريضاً وراقداً، ولما سلمت عليه جلست عنده وقلت صل علي يا أبي لأني مضغوط من تجارب الشياطين. وفتح عينيه وتميزني جيداً وقال: يا ابني أنت شاب وليس يترك الله عليك تجارب. فقلت له: أنا شاب ولكن تجارب الرجال الأقوياء علي. قال اعلم أن الله يريد أن يحكمك. فقلت: كيف أتحكم وأنا كل يوم أذوق الموت؟ أجابني قايلاً: اسكت. فالله يحبك، وإنه مزمع أن يجود عليك بموهبة. وقال اعلم يا ابني إن لي ثلاثين سنة أجاهد الشياطين، وفي مدة عشرين سنة لم انتفع بشيء بالكلية، وفي خمسة وعشرين سنة بدأت راحة تحصل علي وكانت تنمو بزيادة وفي ثمانية وعشرين كثرت جداً وفي كمال الثلاثين كثرة الراحة حتى ما بقيت أعرف لها مقدار، وعندما أريد أن أقوم في الصلاة ما أقرأ غير مزمور واحد، وبعد ذلك أمكث ثلاثة أيام بالدهش مع الله ولست أحس بتعب.

انظر عمل زمان كثيراً أي راحة لا حد لها أولاد ..

٢ كان أحد الآباء يأكل دفعتين في الأسبوع وقال لنا إن في النهار الذي أتكلم فيه مع إنسان ما أقدر أمسك قانوني في الصوم، بل اغتصب أن آكل قبل كماله، ففهمنا نحن الجميع أن حفظ اللسان ليس أنه يبقظ العقل مع الله فقط بل ويمنح الأعمال الظاهرة التي بالجسد تكون قوة عظيمة خفياً وينشط على تكميله ويستضيء العقل على الدوام الخفي

حسب قول آبائنا: إن صمت الفم إذا كان بمعرفة يحفظ الضمير والنية مع الله.

وكان هذا القديس يسهر كثيراً، وكان يقول أن في الليلة التي أسهر فيها من العشاء إلى باكر وبعد ذلك استريح قليلاً بعد أن استيقظ من النوم، أتم نهاري كله كمثل من ليس هو في هذا العالم، ولا يصعد على قلبي فكر أرضي، ولا أحتاج لتكميل القوانين المحددة، ولكن اثبت نهاري جميعه بالدهش. وفي أحد الأيام وكان النهار الذي أريد أن آكل فيه وكان لي أربعة أيام لم أذق شيئاً، ولما قمت أصلي وقت العشاء وافطر في دار قلايتي وكانت الشمس في وقت الغروب، وبدأت تلاوة مزامير العشية، ولم أحس أين أنا، وفجأة حميت الثياب التي على جسدي فوجدت أن الشمس أحرقت وجهي، وانجمع عقلي، ونظرت وإذ هو نهار ثاني، فشكرت الله على كثرة إنعامه على جنس البشر ولأي رفقة وعظمة أهل طالبه.

٣ شيخ آخر كان مكتوباً على حيطان قلايته كلام وأفكار مختلفة، ولما سألوه ما هذه؟ أجابهم قائلاً هى أفكار البر التي تحصل عندي من ملاك العناية ومن حركات الطبع المستقيمة وأنا أكتبهم في الوقت الذي أكون فيه في مثل هذه المنزلة، لكي في أوقات الظلام أتفاوض بهم ويخلصوني من طغيان الضلالة.

٤ شيخ آخر مدحته أفكاره لأجل أعمال سلفوا كأنه قد أؤهل لرجاء عدم الفساد، أجاب الشيخ أفكاره قائلاً أنا الآن في الطريق سائر وباطلاً تمدحوني، لأن الطريق إلى الآن ما كملت.

٥ مضيت في بعض الأوقات إلى قلاية شيخ، وما كان يفتح بابه كثيراً، ولما رآني من الطاقة وعرفني قال لي أتريد الدخول فأجبته نعم أيها الأب المكرم فلما دخلت وصلينا جلسنا نتفاوض فسألته أخيراً: إيش أعمل يا أبي لأن قوماً يجيئوني ولا أنتفع بحديثهم ولا أربح شيئاً وأستحي أن أقول لهم أن لا يجيئون .. نعم ويعيقوني عن صلواتي

في أوقاتها مراراً كثيرة ويسببون لي حزناً.

فأجابني متى جاءك محبي البطالة، إذا ما جلسوا قليلاً أجعل نفسك أنك تريد أن تقوم تصلي وأعطهم ميطانية وقل لهم يا إخوتي أريد أن أصلي ولا يمكنني أن أعبر وقت صلواتي وألا يثقل علي قانوني، لأني أرجع أوفي ما فاتني في وقت آخر، وأقلق لذلك. ومن غير شدة شديدة ما يمكنني أعبر وقتي، وحالياً لا توجد شدة ولا ضرورة تدعوني إلى ذلك. وأدع الحاضرين يصلوا معك.

فإن قال لك صل أنت فأنا أريد أمضي، اسأله بميطانية وقل له بالمحبة صل معي ولو هى هذه الصلاة الواحدة لأنتفع بصلاتك معي، وإذا قمت تصلي طول صلاتك أكثر عما جرت به العادة. فإذا استعملت هذا مع مَن يجيئك من القوم البطالين، يعرفون أنك ما تحب البطالة، وما يعودوا يجيئوا إلى الموضع الذي يسمعوا أنك فيه.

فانظر لا تحابي وجه إنسان وتترك عمل الله، فإن طرقـك أحـد الآبـاء الكبـار أو غريب متعوب فجلوسك معه يحسب لك صلاة.

وإن كان غريباً ممن يحبون الكلام البطال فنيحه حسب طاقتك وسرح سبيله.

متى داخلتك شهوة اهتمام بغيرك بنوع الفضيلة حتى يتشتت ما في قلبك من الدجون (الشك) قُل له إن طريق المحبة جيدة والرحمة لأجل الله مقبولة، ولكني أنا من أجل الله ما أريدها.

قال راهب مرة لأحد القديسين: قف لي من أجل الله، ولا تجعلني لأجري خلفك، فقال له: وأنا من أجل الله أهرب منك.

٦ في بعض الأيام مضيت إلى شيخ عجوز فاضل وكان يحبني كثيراً وكان أُمياً بالكلام نير مضيء بالمعرفة وعميق الغور بقلبه، وكان ينطق بما يمنحه الروح من النعمة، فقلت له أيها الأب فكري يقاتلني أن أمضي يوم الأحد إلى رواق الكنيسة وأجلس فيه وآكل باكراً لكيما أحتقر ويزدرى بي.

فأجابني الشيخ قد كتب: إن كنت تعمل عملاً تجلب به للعلمـانيين سجـساً وشـك،

ما تبصر نوراً، وأنت ما يعرفك أحد في هذه الكورة ولا يعرفون طريقتك لكنهم سيقولون أن الرهبان من باكر يأكلون، ولا سيما ههنا إخوة مبتدئين وهم ضعيفي الأفكار وكثيـرين منهم لهم فيك أمانة وينتفعون بك، ومتى رأوك تفعل شيئاً مثل هذا يتأذون، فالآباء القدامى لأجل كثرة الجرايح (العجائب والمعجزات) التي كانوا يصنعونها كانوا يفعلون هذا لكيما يهانوا ويحقروا مجد سيرتهم ويبعدون عنهم أسباب الكبرياء فأما أنت فما الذي يـضطرك إلى هذا العمل؟

أما تعرف أن لكل سيرة وقت ونظام، أما أنت فمالك سيرة شخصية ولا لك هذا الاسم لأنك تسير كأحد الإخوة ولا تقدر على منفعة نفسك ولا على أذية غيرك.

كما أن هذا التصرف غير نافع للكل بل لأولئك الكبار الكاملين وحدهم، لأن من شأن انحلال الحواس أن يتبعها جسارة للمبتدئين والمتوسطين، إذا كانوا محتاجين إلـى تحفـظ وتذليل واخضاع حواسهم. فأما الشيوخ فقد عبروا زمان التحفظ وهم يربحون في جميع ما يعملون، لأن عادمي الخبرة المراءون يخسرون في الأمور الكبيرة خسائر كثيرة ويغرمون غرامات ليست بقليلة وهم من الأشياء البسيطة الحقيرة يسيرون إلى قدام بسهولة.

وحسبما سبقت وقلت أن لكل عمل وقت وترتيب ولكل سيرة زمان محدد، ومن يتخطى طوره فلا يربح شيئاً بل يسبب لنفسه الخسارة.

فإن اشتقت إلى ذلك - أي أن يحتقرك الناس ويزدروا بك - فاصبر على الاحتقار الذي يأتيك كرهاً ترويضاً لنفسك وأقبله بفرح ولا تقلق، ولا تمقت شاتمك.

٧ كنت أتفاوض مع ذلك النشيط الفائق المعرفة الذي آكل من شجرة الحياة بالعرق النفساني من باكر شبابه إلى عشية شيخوخته ومن بعد كلام كثير وعظني به على الفضيلة وقال لي هذه أيضاً: في كل صلاة لم يتعب فيها الجسد والقلب لم يحزن بها، هى مثال السقط الذي ليس فيه نفس تكون محسوبة عندك.

وقال لي أيضاً: كل إنسان يحب الغلبة بكلامه ويكون مكرماً في فكره وقحاً بحواسه بالكمال لا تعاشره لئلا يطرد منك النقاوة التي اقتنيتها بأتعاب كثيرة ويملأ قلبـك ظـلام

واضطراب.

٨ مضيت في بعض الأيام إلى قلاية واحد من الإخوة القديسين، واتكأت في بعض من الأركان من أجل إني كنت مريضاً لكي يفتقدني من أجل الله، لأنه لم يكن لي أحد يعرفني في تلك البلاد.

فكنت انظر ذلك الأخ يقوم في الليل قبل وقت كبير من صلاة مجمع الدير لأن عادته كانت أن ينتبه قبل كل الإخوة.

وكان يبدأ في المزامير ويسير فيها قليلاً، ويترك الخدمة بغتة ويقع على وجهه وكان يضرب مقدار مائة ميطانية متواتراً بحدة من الحرارة التي كانت تشتعل في قلبه من النعمة ويقوم ويقبل الصليب، وأيضاً يسجد ويقوم أيضاً ويقبل ويخر أيضاً على وجهه، وهكذا كان يصنع دفعات كثيرة حتى أني ما كنت أقدر أعد ضرب الميطانيات التي كان يعمل ذلك الأخ في الليل وكان يقبل الصليب عشرين دفعة ممزوجة باشتياق ومحبة ومخافة.

ويبدأ أيضاً بالمزامير وفي وقت وقت من تواتر حرارة الأفكار الكثيرة التي كان يشتعل بحرارتهم ما كان يحتمل ذلك الالتهاب، ومن فرحه كان ينغلب ويصرخ بغتة، لأن ما كان يستطيع أن يضبط نفسه.

وكنت متعجباً من كثرة النعمة التي كانت مع ذلك الأخ وكان حريصاً متيقظاً في عمل الله.

وبعد صلاة باكر كان يجلس يقرأ وكان يشبه إنساناً قد خُطف، وكل فصل كان يقرأه كان يخر على وجهه دفعات كثيرة، وكان يرفع يديه إلى السماء وبكثرة الألفاظ كان يشكر ويمجد الله دفعات كثيرة.

وكان رجلاً كهلاً ابن أربعين سنة، وكان مأكوله قليلاً وكان مزاجه حار يابس، وكان يغصب نفسه كثيراً فوق قدرته، وكان يبان جسمه مثل الخيال ووجهه شاحباً.

وكنت أقول له دفعات كثيرة اشفق يا أخي وارفق بنفسك واعتن بتدابيرك هذه المستقيمة وفي هذه السيرة الحسنة حتى لا تتعرض للتخبط وتنقطع لأنها مثل السلسلة

الروحانية ولأجل رغبتك على عمل قليل زائد عن مقدارك تتعطل من كل سيرتك. كل بمقدار لكي على الدوام تستطيع الاستمرار بلا معطل، ولا تكثر جريك زايداً عن قدرتك لئلا تتخلف بالكمال.

لقد كان هذا القديس رحوماً بشوشاً مستحياً جداً ونقيا في طبعه حكيماً بالله وبسبب وداعته وبشاشته كان محبوباً من كل واحد، وكان يعمل الطين مع كل الإخوة في بناء قلاليهم، وكان أحياناً يعمل أربعة أو خمسة أيام حتى كان يفرغ من شغل الأخ ويسكن في القلاية الجديدة، لأنه كان عارفاً بصنعة البناء جداً.

وفي العشاء كان يجيء إلى قلايته، وإذا كانت له حاجة ولو كان مضطراً إليها كان يستحي وما يقدر يقول أنه محتاجها وكان أكثر خروجه لمعاونة الإخوة، ومن كثرة حياءه ما كان يعتذر وكان يغصب نفسه من غير إرادته، ودفعات كثيرة كان يقول لي عن حزنه في خروجه من قلايته.

وهكذا كان تدبير هذا الأخ العجيب ..

٩ قال لي شيخ واحد قديس أنا متعجب بأني أسمع أن أُناساً يعملون في قلاليهم عملاً ويكملون مع هذا قوانين القلاية بغير نقص وما يتخبطون. وقال كلمة يتعجب منها: إني أنا إذا مضيت أريق الماء اتخبط عن ترتيب العادة، وأعاق من تكميل عملي.

١٠ أخ سأل شيخاً ماذا أصنع .. لي حاجة ما (عدة شغل) وأنا مضطر إليها، بسبب مرض أو بسبب عمل يدي وإما لأجل أمور أخرى لأجل استعمالي بها لتساعدني على الثبات في السكون وإذا نظرت أخاً في احتياج إليها تغلبني الرحمة والحنان فأعطيها له، أو إن طلبها أحد مني فلا أقدر أرده من أجل الوصية .. وبعد ذلك احتاجها، واحتياجي يلقيني في هموم واضطربات وسجس الأفكار، ويتشتت عقلي واهتمامي بما لا يليق بالسكون.

وكثيراً ما اضطر للخروج من هدوء قلايتي وأمضي لطلبها، وإن تجلدت ولم أخرج

أصبح في ضيقة نفسية وشدة وتخبط الفكر، وبهذا السبب أنا في كدر وسجس دائماً.

ولم أعرف أيما هو الأوفق؟ وأيما أصنع؟ هل أصنع الشيء الذي يبطل سكوني لأجل نياح القريب أم الشيء الذي يثبتني في الهدوء ويكون اهتمامي باحتياجات نفسي فقط، وأتجلد في سكوني ومسكنتي ولا يكون لي اهتمام كثير بإنسان.

وأريد أن تقول لي الأيما الأصوب؟

جواب الشيخ: كل صدقة أو محبة أو عطية أو ما يظن أنه واجب ولائق، أو أنه فعل لأجل الله .. ويبطلك من السكون ويمنعك من ترك العالم ويسجسك باهتمامه ويكدرك من الهذيذ بالله ويقطع اتصال صلواتك، ويدخل عليك اضطراب الأفكار وينسيك مفاوضة القراءة، والسلاح الذي على الطياشة ويشتت تحفظك ويجعلك طوافاً بدلاً من حبيس، وعوض متوحد مختلط ويثير عليك الآلام التي قد دفنت، وينقص نسك حواسك، ويقيم ميتوتك التي بها مت من العالم، وينزلك من عمل الملائكة الذي هو الهذيذ بالله ويجعلك من خدام العلمانيين، تهلك تلك الحسنة وهذا البر ..

إن تكميل واجبات حب القريب بنياح الأمور الجسدية هو بر أهل العالم أو الرهبان الذين هم خارج عن عمل السكون أو الذين في المجمع المجتمعين بعضهم مع بعض، ويدخلون ويخرجون كل وقت وهذا يليق جداً بهؤلاء.

أما المتوحدين الذين بالحقيقة اختاروا البعد عن العالم بالجسد والعقل ويريدون أن يقيموا في ذاتهم بالصلاة الانفرادية بالموت من جميع الأمور الزائلة ومن كل اهتمام بأي عمل، وعدم نظر وذكر كل الأشياء ويخدموا المسيح ليس بعمل هذه الأشياء الجسدانية ولا ببر الأمور الظاهرة بواسطة الوجوه يتبررون.

بل بميتوتة أعضائهم الأرضية حسب قول الرسول (**كو ٣ : ٥**) يتعبدون لله ويقربون له في كل وقت ذبائح أفكارهم النقية باكورة أعمالهم وأوجاع أجسادهم واحتمالهم الضوائق لأجل الرجاء الذي ينتظروه.

تدبير المتوحدين هو شبه الملائكة، ليس ينبغي أن نترك عمل السمائيات لنربح البر

بأمور أرضية.

الميمر الثامن عشر :

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

تـدبيـر المتوحـديـن هــو شــبـه الملائـكـــة
لـيس ينبغـي أن نـتـرك عمـل السـمائيـة
ونربــح البــر بأمــور أرضيــة

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

◆ وقع لوم على أحد الإخوة إنه ما عمل رحمة ..

◆ أجاب لائمة بافتخار أن المتوحدين ما عليهم فعل الرحمة فريضة، ظاهر باين أن هو الذي يمكنه أن يقول للمسيح بوجه مكشوف على ما كتب ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك يعني بذلك الذي ما له في الأرض مشيئة ولا يملك عليها شيء، ولا يتعب نفسه في الأمور الجسدانية ولا يخطر بباله شيء من هذه المرئيات جميعاً، ولا يهتم باقتناء شيء، ولكن وإن أعطاه أحد شيئاً لم يأخذ منه إلا ما به إليه حاجة ولا يحفل بما يفضل عنه، وتكون سيرته كسيرة الطير. هذا الذي صفته ما عليه الرحمة فريضة لأن كيف يعطي شيئاً قد انعتق هو منه، فإن كان يعمل بيديه ويأخذ أيضاً من آخرين، فيجب عليه هو أيضاً أن يتصدق ويعطي، لأن إهماله هذا هو تجاوز وصايا الله ظاهراً.

إن كان بخفاياه ما يتفاضل قدام الله بالروح وبالأشياء الظاهرة التي تصل مقدرته لعملها يتهاون بأي شيء يترجى أن يقتني الحياة، وهذا يدل على أنه جاهل.

سـؤال: إن كنا نقول أن الله صالح. لماذا خلق الخطية والجحيم والموت والشيطان؟

جـواب: الله لم يخلق الخطية ولا الموت ولا الشيطان لأنهم أفعال وليس أقانيم،

لأن الخطية هى ثمرة الإرادة ولم تكن موجودة، ويأتي أيضاً زمان لا توجد فيه ويعدم فعلها، وأما جهنم هى أثمار الخطية ويأتي وقت تبيد فيه، وأما حدها غير معروف، وأما الموت هو ثمرة المخالفة، وإنما حدث بسياسة حكمة الخالق وله سلطان على الطبيعة وقتاً ما ويبطل بعد ذلك، وأما الشيطان هو اسم يدل ويوضح ميلان الإرادة وجنوحها عن الحق، وليس هو من الطبع بل من الإرادة،

وهذه الأشياء وما يشبهها لا تظن إننا تكلمنا بها لكي نظهر ذواتنا أننا معلمين، ولا لكي نمتدح بما هو من قول آخرين، بل اعلم إننا نحن أطفال رضع، نرضع من ثدي آبائنا لأن قصدنا أن نذكر هذه التوريات التي جمعناها ونضعها قدامنا لكي يتفاوض العقل بهم ويغتذي، لأنه ما يغيب عنا، أن بعد ما قد ارتفعنا من رتبة المتعلمين، كلما نحن لابسين هذا الجسد.

الإفراز هو حركة الأفكار الطبيعية إذا ما كانوا هؤلاء سائرين بتحركهم بنوع وطريق الطبيعة يصادفون تغير العوالم والعناصر.

سـؤال: متى يثق الإنسان أنه استحق وأهل لمغفرة الخطايا؟

جـواب: إذا ما أحس في نفسه أنه قد أبغضهم بالكمال من كل قلبه، ويصنع ما يضاد تصرفه الأول بالظاهر والخفي والذي هو هكذا له ثقة بغفران خطاياه من الله بشهادة الضمير التي اقتنى في نفسه حسب قول الرسول لأن القلب الذي لا لوم فيه هو الشاهد على نفسه.

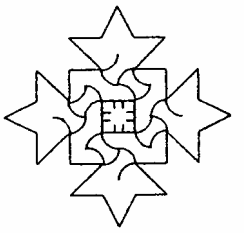

الميمر التاسع عشر :

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

علـى ثـاؤريــة الســبـت والأحــد

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

الأحد هو سر معرفة الحق التي لم تكن مع اللحم والدم والتي تعلو عن كل الأفكار البشرية.

هذا العالم ليس فيه يوماً ثامناً ولا سبتاً حقيقياً ذلك الذي قيل عنه استراح الله في اليوم السابع وهو سر سكون طبعنا من سيره وجريه في هذه الحياة، لأن القبر هو جسماني ومن هذا العالم.

الستة أيام هى عمل بهذه الحياة التي تكون بحفظ الوصايا واليوم السابع في القبر يكمل والثامن بالخروج منه. وكما أن أسرار يوم الأحد بالمثال يقبلوهم ههنا الذين يؤهلون وليس اليوم بعينه يقبلون بتجسمهم وهكذا أسرار السبت بالدلائل يقبلوها النشطاء ههنا وليس السبت الحقاني الذي هو الراحة والتخاف من كل حزن، وهى النياحة التامة من جميع الضغطات.

ذوقنا الله سر كل الأشياء ولم يمنحنا ههنا أن نتصرف بالفعل بحقيقتهم. السبت الحقيقي وليس الرمزي إنما يكون بالقبر ويوضح ويدل على الراحة الكاملة من ضغطات الآلام ومن العمل لأجلهم لأن الإنسان جميعه يثبت هناك النفس مع الجسد.

في ستة أيام رتب الله تقويم هذا العالم، وضع فيه عناصر متصرفة تتحـرك بـلا توقف للخدمة وليس لجريهم سكون إلى أن ينحلوا ومن قوة هذه العناصر، أعني العناصر الأبوية (الأساسية) جبل جسمنا هذا، ولا لهم جعل سكونا من الحركة ولا لجسمنا المتولد منهم أعطاه راحة من العمل، وضع لهؤلاء فينا حداً إلى أن يعودوا لأنسابهم القديمة الذي

هو الانحلال من هذه الحياة حسب قوله لآدم بعرق وجهك تأكل خبزك حتى ترجـع إلـى الأرض التي منها أُخذت، وتعمل في الأرض وتنبت لك شوكاً وقرطباً الذي هو سر عالم الشقاء، والعمل كلما هو حي في هذا العالم، وهذه عبرها سيدنا في هذه الليلة التي عـرق فيها وقاب جزع العمل بالأرض المنبت شوكاً وقرطباً إلى العرق بالصلاة والتعب بعمـل البر.

خمسة آلاف سنة وأكثر ترك آدم أن يعمل في الأرض ويشقى حيث أنه لـم تكـن ظهرت طريق القديسين كما قال الرسول: آتى بنعمته في آخِـر الأيـام **(عب ٩ : ٢٦)** وأعطى لنا حرية أن نغير العرق بالعرق ولم يأمرنا أن نهدأ من العمـل بـل عرفنـا أن نستبدل ذلك بهذا لأجل تحننه علينا ولكثرة تعبنا في الأرض، فإن كنا نبطل من العرق في الصلاة بحكم الضرورة لابد أن نحصد شوكاً وقرطب الآلام لأجل البطالة من تعب الصلاة والعمل في جسمانية الأرض التي تنبت الشوك حسب طبيعتها، لأن الآلام هـم بالحقيقـة الشوك الذي من الزرع الجسماني ينبت فينا مهما نحن حاملين صـورة آدم بالـضرورة، وآلامه أيضاً تتحرك فينا ليس تهدأ الأرض من أن تنبت وتنمي حسب طبيعتها.

وهكذا جسمنا أيضاً الذي هو من طبيعة الأرض حسب قول الله لآدم أنك من الأرض أُخذت. وأما تلك تنبت الشوك، وأما هذه الناطقة تنبت الآلام، لأن سيدنا صار لنا مثالاً في كل شيء بالسر في كل إفرازات تدبيره، لأنه إلى تسع ساعات من يوم الجمعة لم يهدأ من العمل والتعب الذي هو سر عمل كل أيام حياتنا.

أما السبت صادفها في القبر أعني الراحة من الأوجاع.

وأما عن نهار الأحد عظيم هو القول فيه، لأن سبتنا هو يوم القبر لأن طبعنا يسبت فيه بالحقيقة ولهذا ينبغي لنا أن كل يوم نقلع منه الآلام بالضرورة كلما هذه الأرض قائمة لأن من أجل مداومة العمل يتعطل نمو الشوك، أما أننا ننقى منه تماماً هذا لا يمكن، وإذا ما كسلنا عن العمل قليلاً يصعد الشوك ويغطي وجه الأرض ويخنق الزرع الصالح، ويجعل عملنا وشقانا الأول كلا شيء، ولهذا نحن مفتقرين أن ننقى كل يوم لأن التخاف من التنظيف والتنقية يزيد نبات الشوك.

قال أحد الشيوخ:

إني أعجب من الذين يسجسون أنفسهم في سيرة السكون لأجل أنهم يريدون أن ينيحوا آخرين بأشياء جسدانية.

وهو أيضاً قال: لا ينبغي أن نخاط مع عمل السكون اهتمام آخر أو عمل ما خلا الأشياء التي تليق بعمل السكون ونتحفظ بكل تدبير بما يليق به لئلا تتخبط علينا سيرتنا ونضطرب في تدبيرنا.

الذي يهتم بأشياء كثيرة هو عبد كثيرين والذي يرفض كل شيء ويهتم بإصلاح نفسه هو محب لله.

انظر إن صانعي الصدقة ومكملين محبة القريب بأمور جسدانية كثيرين يوجـدون في العالم، أما السائرون في تدبير السكون بالواجب والمتفاوضين بالله، بعد جهـد تجـد قليلين وإفراز، .. ومَن من هؤلاء المتبررين بالأمور الجسدانية وصانعي البـر بأشـياء ملموسة يستطيع أن ينال واحدة من المواهب التي ينالها من الله العمالين في السكون.

وقال أيضاً: إن كنت علمانياً تدبر بالسيرة الحسنة التي للعلمانيين.

وإن كنت راهباً تدبر بالأعمال الفاضلة التي للمتوحدين ..

وإن كنت تريد أن تسير في التدبيرين معاً، أعني تدبير العلمانيين والرهبان تسقط وتخيب من الاثنين.

لأن عمل الرهبان هو هذا الانعتاق من كل المحسوسات، والمداومة مع الله بهذيذ القلب وتعب الجسد بالصلاة.

فهل يمكن أن تقرن الفضيلة العالمية مع هذه الفضائل أو يمكنها أن تحـل موضـع هذه إذا أهمل عمل السكون؟ وهل يمكن للمتوحد العمال في سيرة تدبير السكون أن يكمل التدبيرين الداخلي والخارجي أي الاهتمام بالله من كل القلب والاهتمام بأمر الآخرين.

أما أنا فأقول الذي يريد أن يسير حسناً مع ولو أنه يرفض كل شيء ويهتم بنفسه فقط في هذا التدبير (السكون) ليس فيه كفؤا أن يتدبر بغير نقص بكل واجبات عمل

السكون لأنه عاجز عن حمل أثقاله ولو أنه يرفض كل استعمال وهذيذ العالم فكم بالحري إذا حمل ذاته ووضع نفسه للاهتمام بآخرين.

إن سيدنا له في العالم مَن يخدم ويفتقد عبيده وبنيه واختار الذين يخدمونه فقط.

وقد نرى في أفعال الذين يخدمون الملوك الأرضيين، إن الذين يخدمونه جليلي القدر ومرتفعين بدرجاتهم ومتداخلين بأسرار الملك لوقوفهم قدامه في كل وقت أكثر من الذين يصنعون الأعمال الخارجية، وقادة الجيش الذين يحاربون حروب الملك، لوقوفهم قدامه بالحب مع الملك.

وهكذا أيضاً في الأمور الإلهية، ترى أن الذين يتفاوضون مع الله بالصلاة في كل وقت لهم دالة قد اقتنوها من الهذيذ به، وقد سلطهم على ثروة سمائية وأرضية، وكيف تظهر سيادتهم على كل الخليقة، ويخضعون لأمرهم ظاهراً بدون مقاومة بكل وقار وكرامة من كل الناطقين والصامتين من الذين بالأشياء واقتناء الأمور الأرضية يخدمون الله ويرضوه بالبر الذي يصنعوه مع عبيده ورفاقهم.

وإن كان هذا هو حسناً جداً ولكن لا ينبغي أن نأخذ لنا شبه من الذين درجاتهم ناقصة في عمل الله بل من النشطاء الحاذقين في طريقنا هذا، ومن القديسين أصحاب هذه السيرة والتدبير، الذين رفضوا للأرضيات وصاروا جنداً لملكوت السماء وهم بعد على الأرض وتركوا الأرضيات ورفضوها دفعة واحدة ووضعوا أيديهم في السماء.

بماذا أرضوا الله القديسين القدماء الذين تركوا لنا هذه السيرة المحنكين فيها ..

القديس يوحنا التبايسي كنز الفضائل وينبوع النبوة: ألعله بأمور جسدانية كان ينيح إخوته والذين يأتون إليه داخل حبسه .. أليس بالصلاة أرضى الله .. أنا أعرف أنه صار في أولئك فضلاء ولكن ليس هم مثل الذين بالصلاة، وبرفض كل الأشياء أرضوا الله وهم أنقص منهم جداً، أما المنفعة التي تكون للناس من هؤلاء الذين بالسكون يتفاضلون معروفة وهى أن يعضدوهم بكلام وعظ نافع ويصلوا عنهم وقت الضرورة وأما خارج عن هذين

الأمرين لا ينبغي للمتوحد أن يترك في قلبه ذكر إنسان أو اهتمام بشيء ما من أمور جسدانية لأن هذه ليس من عمل الحكمة. أما قوله أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله أعني ما يخص القريب وما يخص الله، ليس هى للمتوحدين الساكنين في الهدوء بل لأولئك الذين يتبررون بالأعمال الخارجة، أما الذي يتدبر بسيرة الملائكة، أعني بالهذيذ النفساني ليس يلزمه أن يتفاضل بأمور جسدانية ويلقي ذاته في هم عمل اليدين وينتظر أن يأخذ من واحد ويعطى آخر، لأن عمله هو في السماء.

ليس يليق بالمتوحد أن هَم شيء من الأشياء يحرك وينزل فكره من القيام قدام الله، وإن أحضر أحد ذكر بولس أنه كان يعمل ويعطي صدقة نقول أن بولساً واحداً ظهر في العالم كان كفؤا لكل الأشياء ولم نعرف بولس ثاني، ولكن أمور التدبير والسياسة بالبشارة لم تدخل في أفعال العامة.

فعل آخر هو عمل البشارة، وآخر هو عمل السكون، وأما أنت إن كنت تريد أن تتدبر في عمل السكون كن مثل الشارويبيم الذي لا يهتم بشيء من الأرضيات، وضع في فكرك أن ليس في الخليقة إنسان آخر إلا أنت وحدك، والله الذي اهتمامك وهذيذك به حسبما علموك آبائك الذين صاروا قبلك في هذا التدبير.

إن لم يقسي الإنسان قلبه ويضبط عواطفه غصباً لكي يكون بعيد من كل إنسان من أجل الله ولا يفكر بشيء من الأمور الجسدانية بل بالصلاة فقط ولا يترك في قلبه اهتمام ولا حباً لإنسان، ما يقدر أن ينعتق من سجس واضطراب الاهتمامات ويكون في السكون بالواجب، هذا هو الحسد بالاقتصار.

الميمر العشرون :

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

مــن أجــل اللــه اهــرب

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

إذا ما أتاك فكر أن تهتم بإنسان بوجه فضيلة لكي يشتت منك السلام الذي من ذكر الله من عادته أن يكون في القلب، فقل له: هذا التدبير حسناً الذي هو الحب والرحمة من أجل الله، ولكن أنا أيضاً من أجل الله ليس أريده، حسب قول ذلك السائح لما كان يجري وراءه ذلك المتوحد ويقول من أجل الله قف لي حتى لا أجري وراءك، أجابه وأنا من أجل الله أهرب منك.

أنبا أرساني من أجل الله ما كان يفتح فاه ويتكلم لا كلام منفعة ولا غيره.

وآخر من أجل الله كان يتكلم النهار جميعه ويقبل الغرباء الذين يأتوه.

وأما ذاك عوض هذه اقتني له الصمت والسكون ولأجل هذا مع روح الله كان يسير داخل بحر هذا العالم بسلام، مرتفع في سفينة تدابير السكون حسبما ظهر لواحد من القديسين بإعلان لما فتش وفحص عن هذا الأمر.

لأن تسمية السكون وكنيته الهدوء من كل الأشياء والهرب والفرار من كل الأمور، فإن كنت في سكوتك مملوء سجساً واضطراباً، ويتخبط الجسد بعمل اليدين وفعل شيء شيء، والنفس باهتمام آخر .. **أي سكون قد اقتنيت لأنه ما يمكن أن تهتم بأمور كثيرة وتقدر ترضي الله بسيرة السكون.**

واعرف هذا من نفسك من دون رفض كل الأشياء وكل أمر واهتمام إن كان من النظر أو من السماع تقول أنك تضبط تدبير السكون .. ضحك هو.

لأن قد اتفق له وقت التجارة والربح بغتة بدموع بغير قياس أو بحزن حاد، يتحرك في القلب، أو بفرح ما بغير سبب، أو بحلاوة ولذة ضرب الميطانيات، **لأني أعرف أحد الإخوة وضع المفتاح على باب قلايته ليغلق ويخرج يرعى الريح حسب قول الكتاب: (إر ٢٢ : ٢٢ ، هو ١٢ : ١)، وافتقدته النعمة هناك فرجع من ساعته إلى القلاية.**

لا يلوم أحد المتوحد في الأيام التي يمسك فيها قانون الحبس، إذا ما تعطل عن الصلاة الجامعة وبالأكثر إذا لم يكن من أولئك المعروفين بالتهاون والمنهدمين بالحديث الفارغ ولم يكن يكمل لأن لنا عمل مخفي عن نظر البشر وهو غير معروف للمبتدئين والعلمانيين وأن المتوحد تحت الانفعال هو ليس له سلطان على ذاته.

وإن اتفق أن يأتيه إنسان ويدق بابه ولم يجبه فيرجع من ساعته ولا يلوم أخيه لأنه ما يعرف في أي أمر هو في تلك الساعة.

لأن قلاية المتوحد هى مغارة الصوان حسب قول آبائنا حيث تكلم الله مع موسى.

والرهبان الغير المتحنكين في العمل ومذاقة السكون الحقيقية ليس يعرفون هذه الأشياء ويدينون أخاهم ويحقرونه لأنهم يريدون أن ينحل معهم بالموافقة لأن ثمة وقت يعرض للمتوحد قتال ما ضروري وتكون في تلك الساعة في شدة وخطر وقد وضع يديه على خده وهو ملقى على الأرض، ويتضرع إلى الله، وليس يقدر أن يسمع صوت إنسان.

يعرف هذه الغيارات الذين قد صاروا في هذا البحر واختبروا الرياح التـي تهـب عليه.

وثمة وقت يتحرك في قلبه فكر توبة وتنجمع كل خطاياه وعثراته القديمة وذكر موته، وتتصور قدامه بغتة وغرقت سفينته بالسقطات الخفية الغير معروفة لكل أحد لأنها تعرض للمتوحد الجالس داخل السكون بغير انتظار لأجل صعوبة حرب الشياطين، وتكون له قلايته بيت النحيب والبكاء.

كثيرة هى غيارات هذا البحر ومن يقدر يعرف أعماله وكثرة ربح التجارة التي فيه، والجواهر الجليلة التي في عمقه والوحوش الضارية التي تصعد منه، طوبى لمَن لا يضطجع ويتهاون في كل مسيرة وتدبيره إلى وقت الموت.

لم يحب أحد شيئاً إلا ويربي سببه، ولا يقدر إنسان يتفاوض بالإلهيات إن لم يرذل ويبتعد من كل الزمنيات ويتغرب من كرامات هذا العالم ولذاته ويقفو محقرة الصاب ويشرب في كل يوم خل ومرارة من الآلام والشياطين والمسكنة والناس.

انشط يا أخي وكن كالتاجر الحكيم واحمل جوهرتك وأنت في العالم لئلا يتسمج حسن بهائها، احترس لئلا تسلب منك برخاوتك وتنزل بالحزن إلى الهاوية.

اجر يا أخي تبع العزاء القليل المقتنى من الأعمال في وقته لتؤهل لذلك العزاء العظيم المتخاف من الأحزان والضغطات الموجودة في هذا المسكن الوجدوي المملوء أحزاناً.

لا ترذل الحقيرات الصغار لئلا تعدم الجسيمات الكبار. ليس أحد يطعم طفل رضيع لحماً، من الصغيرات ينفتح قدامك الباب لتدخل إلى الكبار.

أنت يا أخي كمن يشتم الله تكون، إن اشتهيت أن يدبرك بلا طقس ولا ترتيب.

لا أحد يؤتمن على الكبار إن لم يتحنك أوله ويتجرب بالصغار ..

ضع هذه في قلبك يا أخي - واذكرني في وقتها - إن كل منزلة تصل إليها في هذه الطريقة، طريق الفضيلة ومعرفة الحق تجده أفضل وأعظم من الذي تركته أمس، إذا انتقلت منه وتعجبت من كثرة بهاء حسنه ويبتلع مجد منزل أمس بحسن المنزلة التي تدخلها اليوم.

من هو الذي حس بغيارات الفكر اللذيذ، صل لكي ينفتح قدامك الباب واحذر من قطع الرجاء.

ليس عملك هو مع قاسٍ ظالم بل مع سيد رحوم طيب رءوف وقدامه أنت تجاهد ذاك الذي لم يأخذ منك شيئاً وأعطاك كل الأشياء وإذ لم تكن موجوداً أتى بك إلى الوجود، ومن أجل ابتداعه لنا من العدم إلى الوجود .. من فيه كفؤا أن يوفي تمجيد شكره.

يا للنعمة التي لا قياس لها، من فيه كفاية لتمجيده الذي أعطانا معرفة كل الأشياء، ليس فقط الأمور الظاهرة بل والأشياء الخفية، لكي نعرف الشيء الذي لم نكن نعرفه من قبل،

ليس لأننا مفتقرين أن نسأله أن يعطينا معرفته. من هو الذي عرفك يا ابـن المـوتى أن تتحرك بمحبة طلب الشيء الذي معرفة طلبته ليس هى في طبعك!؟

لا تطلب عزاء موضوعاً خارجاً عن القلب الذي هو معرفة الإفرازات، ابتعد من كل عزاء يحدث بواسطة خدمة الحواس، لتؤهل لذلك العزاء الذي يقتنى من داخل.

المتوحد الذي قد تغرب من العزاء العالمي ولم ينتظر كل يوم العزاء من المسيح هو مائت في حياته.

رحوم هو الله ورءوف ويريد أن يوهب ويعطينا بل يشاء أن نكون نحـن سـبب العطية، ويفرح إذا ما قدم له إنسان صلاة ذات حكمة التي هى دلايل الصحة من المرض والسقم.

وهذه العلامة إذا ما اشتهينا الخفايا، وقد يعوق ويؤخر استجابة طلبتنـا ذلـك أنـه ينتظر الصحة الكاملة، الذي يمل في سؤاله هو رفيق المتضجر إذا ما بطأ عنه، لأن الملك يمنع استجابة صلاته، أما الكسل يمنعه من الصلاة والسؤال، أمـا الـضجر يقطـع دوام السؤال.

أما الانتظار والأمل يقني الصبر ويجذبك إلى الثبات في الصلاة، لأن الأمل يخفف الثقل من الأعضاء ويعرف أن يعطي القلب نياحاً في وقت ضوائقه وضغطاته.

ليس وثقاً أخف وأحلى من العمل مع الرجاء ولا أنيس حلو المفاوضة مثله حتى في السجن السكن معه لذيذ.

اجعل هذا أنيسك أيها التائب ولن تشعر بشيء من الأتعاب في جهادك .. إن كنت في القلاية فليكن معك وإن كنت في وسط الناس لشخص فيه عقلك ولن يطيش فكرك بشيء من الأشياء ويبقى عندك العالم كالغريب هو وجميع ما فيه .. في موعد رقادك اترك سريرك حتى يغلبك النوم، **لتكن مفاوضتك في الرب وليس يدنو من قلبك فكراً وهاجساً سمجاً،** لأن هذا غير هيولي أعني مفاوضتك فيه، وليس يدنو من قلبك فكراً أو هاجس سمج لأن هذا غير هيولي هو أعني مفاوضتك فيه.

لأن الشيء الذي هو حامل صورة هيولي ما يقـدر أن يحـرك بنظـره الفكـر، ولا يظهر هناك.

لأن الفكر الشيطاني خارج عن نظر هيولي ما يعرف أن يظهر ذاته.

مداومة الصلاة وطول الأناة فيها، ثمرة الحياة منها تخرج، والرجاء والانتظار هما معين في الصلاة للمتمسك بهما.

إذا كنت تصلي اذكر الفلاح الذي يلقي بالإيمان بذاره فيحصد أضعاف كثيرة، واكنز سؤالك في طلب ملكوت الله وبره أكثر من الزمنيات وتعطى لك سؤالك حـسب وعـده الآمين.

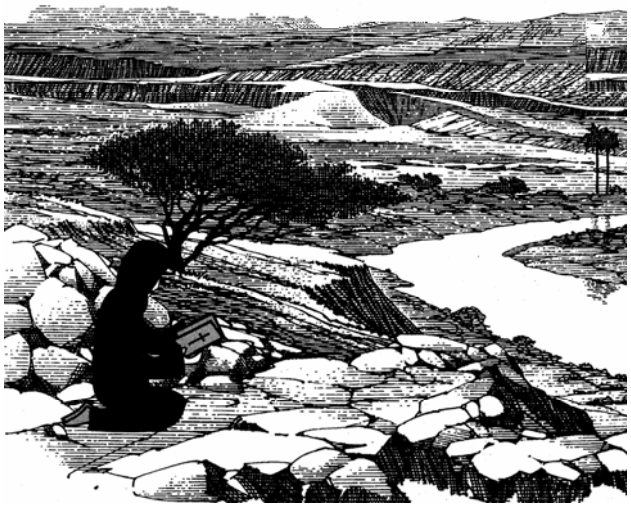

الميمر الحادي والعشرون :

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

عـن حفـظ اليقظــة الخفيــة داخــل الــنفس
وأســباب الكســل والفتــور في الفكــر

♦♦

ليس للغاش الماكر قوة واستطاعة ليضاد ويعوق مشتهين الفضائل، إن لم يجد فتوراً وتساهلاً من محبي الفضيلة، والأمر هو هكذا حسبما أقول أن كل حركة محبة الفضائل من مبدأ حركتها، يقفو بها غيرة حارة كالنار في حرارتها، وهذه الغيرة تحيط بتلك الحركة كالسور وتطرد من قبالتها كل أمر يضاد ويعوق وتمنحها عصمة عظيمة وقوة جسيمة لا ينطق بها وتحصن كل النفس لئلا تتراخى وتجبن من صعوبة الضغوط والضيقات.

أما النوع المتقدم الذي هو محبة الخير إنما يحدث من قـوة الـشهوات المقدسـة القوية المغروسة في طبيعة النفس، وأما هذه الغيرة تتحرك من قوة الغضبية المختلجة في النفس أيضاً، التي من الخالق قد وضعت فيها لتحفظ حدود الطبيعة وتطلق حركة حـدتها لتكميل الشهوات الطبيعية التي للنفس التي هى الفضيلة، فلا يمكن عمل الفضيلة وتكميلها من دون هذه التي تسمى الغيرة لأنها تغير وتحرك وتلهب وتشعل من وقت لآخر، لكـي يجسر الجسد على الإقدام بكل الضوائق والتجارب المهولة التي تصادمه، ويـسلم نفـسه للموت متواتراً ويلاقي قوات العدو المارد، لأجل تكميل الشيء الذي أحبتـه الـنفس أي الفضائل.

وأنبا وغري ذكر هذه الفضيلة أي الغيرة في كتابه وسـماها كلبـا حافظـاً لـسنة الله وشرائعه التي هى الفضيلة أي الغيرة الحسنة، وهذه الفضيلة هـى تكميـل شـرائع الله.

وتعتصم قوة كلاب الحراسة (الغيرة) وتتيقظ وتلتهب لتحفظ البيت بنـوعين مـن الأسباب، وتضعف أيضاً وتنام وتتهاون بسببين آخرين، السبب الأول من يقظته هو إذا ما تحرك في الإنسان خوف من أجل الفضيلة التي قد اقتناها في نفسه أو هو مزمع أن يقتنيها لئلا تسلب منه أو تفسد من حدوث عارض يقفو بها، وهذا الحس يتحرك من العناية الإلهية في كل محبي عمل الفضيلة المحقين لأجل اليقظة، وغيرة النفس على الدوام، لئلا تكـسل النفس وتتهاون، ومتى تحرك الخوف في الطبع - من أجل الفضيلة - فعند ذلك هذا الكلـب الذي ذكرناه آنفاً ينهض ليلاً ونهاراً ليحفظ بحرارة كحرارة التنور المشتعل، وينبه الطبيعة لتكون كالشاروبيم متيقظة، حتى مثل ما يقال ولو عبر قباله طائر تحرك ونبح بحدة قويـة لا ينطق بها.

وهذا الخوف إذا كان لأجل الجسد فهو شيطاني، لأنه غير واثق في عنايـة اللـه، وقد شك في إيمانه، ونسى كيف أن الله يعتني بالذين يهتمـون بعمـل الفـضيلة، ويهـتم بمصالحهم كل وقت حسب قول الروح على فم النبي على الصديقين: **" عَيْنَا الربِّ نحو الصِّدِّيقينَ، وأذنـاهُ إلـى صُراخهم "** (مز ٣٤ : ١٥) وقال أيضاً لخائفيـه: **" لا يُلاقِيكَ شرٌّ، ولا تدْنو ضَرْبة منْ خيمَتكَ "** (مز ٩١ : ١٠)

ومتى كان هذا الخوف من أجل النفس بسبب العوارض المحيطة بالفـضيلة لـئلا تسلب أو تتأذى بنوع من الأنواع، هو فكراً إلهياً واهتمام فاضلاً، فهذا الحزن والضنك من العناية الإلهية.

وأما السبب الثاني الذي هو عصمة الكلاب وتوقده متى كان بزيادة تنمي محبة الفضيلة في النفس، على ذلك الحد تلتهب هذه الغيرة لأجل حفظ الفضيلة.

أما أسباب برودتها ونومها، تكون متى بردت المحبة ونقصت من النفس.

والسبب الثاني متى ما فكر ثقة بنفسه يدخل ويسكن في القلب، ويتكل الإنسان على نفسه، ويثق أن ليس عليه خوف من مكان ولا شيء من الأمور يقدر أن يؤذيه أو يضره وبهذا المعنى يلقي عنه سلاحه الغيرة ويكون كبيت بغير حارس وينام الكلاب ويتغافل عن

الحراسه والحفظ وبالأكثر بهذا المعنى تسلب البيوت المعقولة وهذا يحدث وقت يظلم نقاوة شعاع المعرفة المقدسة من النفس أو من زيادة. من ماذا ينظلم هذا الشعاع؟

إما من فكر شك يدخل ويسكن في النفس، أو من زيادة اهتمام بالأمور الجسدية التي يعتني بها الإنسان، أو ملاقاة متواترة من العالم تتفق مع رغباته، أو من شره البطن سيدة كل الشرور، لأن كل وقت يصطدم المتوحد بأمور العالم التي تصادفه خارج تضعف نفسه وتسبب له في الحال ضعف نفس وارتخاء وبالأكثر عند ملاقاة امرأة.

وأما المغرمين بمحبة المجد الفارغ، والذي يزداد بحدوث ملاقاة كثيرين، ونقول على سبيل الإيجاز إنه يشبه العقل الميال إلى محبة الناس، كل وقت يلاقيه العالم للنوتي السائر في البحر بهدوء، ويقع بغتة بين الصخور.

لأنه بمقدار ما يتهاون الإنسان بهذا العالم ويهتم بمخافة الله، على هذا الحد تدنو منه العناية الإلهية ويحس بمعونتها خفياً وتعطى له حركات نقية ومعان يفهم بها.

على العائشين أيامهم بقرب اللّه بحياة المعرفة:

إن تسيرت بعمل الفضيلة حسناً ولم تحس بذوق معونتها، لا تتعجب من ذلك لأنه إن لم يتضع الإنسان لم يأخذ مكافأة عمله. المكافأة ليس للعمل تعطى بل للاتضاع. والذي قد خاب من الثانية أعني الاتضاع فقد ضيع الأولى، والذي سبق وأخذ فضل العمل تقدم على ذاك الذي أخذ عمل الفضيلة، لأن الفضيلة هى أم الأحزان، ومن الأحزان يتولد الاتضاع، والموهبة تعطى للاتضاع، **فظهر أن المكافأة إنما تمنح للاتضاع وليس للأحزان التي من أجله بل للاتضاع الذي يولد من الأحزان.**

فإن كان الاتضاع عادم فباطل هو نفع الأوائل **لأن عمل الفضيلة إنما حفظ وصايا سيدنا.**

وفضل العمل ونفعه هى تقانة العقل الذي ينقام من الاحتراس والاتضاع وإن كان العمل متعذر هذا أعني الاتضاع يجزي مكانه بل سيدنا يسوع المسيح ليس قصده عمل

الوصايا بل تقانة النفس التي من أجلها وضع الوصايا للناطقين، أما الجسد فبالسوية يعمل باليمين وبالشمال، وأما الفكر حسبما يشاء يتبرر أو يخطئ بالتغير، لأن ثمة مـن يـربح حياته بالأعمال اليسارية بحكمة قد حظى بها من الله، وثمة من يتاجر بالخطية على أنهـا أمور إلهية.

الزلات التي تحدث عرضاً للمحترسين والمتحفظين هى صيانة لعمل البر.

موهبة بغير تجارب تهلك قابليها. فإن فعلت حسناً قدام الله وأعطاك موهبة، تضرع إليه أن يجود عليك كيف تتضع بمعرفة وأن تقيم عليها حافظاً، أو أن يأخذها منك لئلا تكون لك سبب هلاك، لأن ليس كل أحد يحفظ الغنى بغير مرزية.

النفس الحاملة اهتمام الفضيلة وعائشة حقاً بمخافة الله، لا يمكن أن تكـون بغيـر أحزان كل يوم، لأن الأحزان مشتبكة بالفضائل، والذي يبتعد من الأحـزان يخيـب مـن الفضيلة.

إن كنت تشتاق للفضيلة اسلم نفسك لجميع الأحزان لأن الأحزان هم مولدين الاتضاع.

ليس يشاء الله أن تكون النفس بغير اهتمام والذي يشتهي هذا يوجد سائراً بفكره خارجاً عن إرادة الله، وأعني بالاهتمام ليس الجسدانيات بل الأضرار والمؤذيات التي تتبع الفضائل، إلى أن يصل للمعرفة الحقيقية التي هى استعلان الغوامض. بواسطة التجارب ندنوا من الاتضاع، **والذي يوجد بغير أحزان في الفضائل، باب العظمة ينفتح له، وهذا يكون للذي يشتهي أن يكون بغير حزن بأفكاره.**

ولا يمكن الضمير أن يثبت في الاتضاع من غير أسـباب الهـوان والمقـت، **ولا يستطيع بدون الاتضاع أن يثبت في مفاوضة الله والتضرع إليه بنقاء،** فإذا ابتعد الإنسان أولاً بفكره من العمل والاهتمام بالأمور الواجبة الروحية، فعنـد ذلـك يـدنو منـه روح

العظمة، وإن ثبت في هذا ابتعد عنه ملاك العناية الذي مادام قريباً من الإنسان القي فيـه الاهتمام بعمل البر، وإذا ما خالفه الإنسان ابتعد من عنده، وبعد ذلك يـدنو منـه الـروح الغريب ولم يبق فيه اهتمام واحد لعمل البر حسب قول الحكيم: **" قَبْلَ الكَسْر الكبريـاءُ، وقبْلَ السُّقُوط تشامُخُ الرُّوح "** (أم ١٦ : ١٨) وقبل الموهبة الاتضاع.

وعلى قدر العظمة الظاهرة التي في النفس يكون السقوط والكسر بسماح من الله، وليس أعني بقولي عن العظمة إذا ما جازت أفكارها في الضمير، وإذا ما عرض له الانغلاب منها وقتاً ما، بل أعني تلك التي تدوم في القلب وتثبت فيه.

النوع الأول يتبعه الندم، وأما هذا الثاني إذا ما حبه ما يعرف ندماً.

الميمر الثاني والعشرون :

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

في الغيـارات الكـثيرة الـتي تتبـع الضـمير والـتي تـفـرز وتختـبـر بالصـــلاة

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

اختيار عمل الصلاح هو من الإرادة الجيدة، والمشتاق لتكميل هذه هو من الإرادة الفاضلة، إنما يكون من الله، ويحتاج إلى معونة كثيرة ومؤازرة تأتي منه، ومن أجل هذا تزداد الاشتياقات الطاهرة الجيدة المتحركة فينا صلوات متصلة دائماً.

ليس فقط نطلب منه المعونة على تكميل الخير بل وليمنحنا إفراز نعرف به إن كان يوافق إرادته أم لا لأنه ليس كل شهوة صالحة تقع في القلب تكون من الله بل التي هى نافعة، لأن ثمة شهوة صلاح يشتاق لها الإنسان وليس تكون نافعة له.

ويكون حدوث هذه الشهوة من الشيطان التي يظن بها أنها نافعة، ومراراً كثيرة يكون حدوث هذه الشهوة من الشيطان التي يظن بها أنها يفوق منزلته وأن العدو يتحيل بها لأذية الإنسان ويغصبه أن يطلب عملها رغم أنه لم يصل لتدبيرها أو تكون غريبة من رتبة إسكيمه وإن الوقت لا يوافق على عملها، أو أن ليس فيه كفاءة لفعلها وذلك لعدم المعرفة، أو لضعف الجسد أو أن الزمان ما يساعده، وعلى كل حال بوجه الصلاح يزعجه في جسده أو يخفي له فخاً في عقله.

ولهذا ينبغي لنا مثل ما قلت أن نقرب صلوات متصلة بتلك الشهوة التي نرى أنه صلاح وجيدة، وتتحرك فينا، وليقل كل واحد منا: يارب لتكمل في إرادتك لكي أفعل هذا

الأمر الذي اشتهيت عمله، فإن كان هو صلاح ويوافق مسرتك، سهل علي فعله لأن من غير عنايتك ما أقدر أن أفعل شيئاً، لأن الأمرين هما من عندك: الاختيار والفعل، وبدون رضاءك لا أقبل الخضوع لهذا الشيء ولا أريد عمله.

هذه هى عادة المشتهين الصلاح مع إفراز العقل ويتعبون في الصلاة لأجل ذلك الأمر، لكي يأخذوا مساعدة لعمله وحكمة تختبر وتفرز الحق من الغش وذلك بالصلوات الكثيرة والعمل والاحتراس والاشتياق بلا فتور ونطهر بالصلاح بدوام الدموع والاتضاع ومعونة سمائية، لأن فكر العظمة كثيراً ما يقف ضداً وبسببه نخيب من معونة الله، وهذا الفكر لا يبطل إلا بالصلاة.

++++++++++++++++++++++++++++++

على إفراز الفضائل وحد كل تدبير
وعلى عظم محبة الله للبشر وعلى حد التدبير جميعه

++

حد كل تدبير السيرة بهذه الثلاثة يكون: التوبة، والنقاوة والكمال.

وما هى التوبة؟ ترك الأمور السالفة والمتقدمة والحزن من أجلها.

وما هى النقاوة؟ قلب رحوم على جميع طبائع الخليقة.

وما هو الكمال؟ هو عمق الاتضاع ورفض كل ما يرى وما لا يرى بالحواس وما لا يرى بالتفكير فيه دائماً.

وسُئل أيضاً الشيخ في وقت آخر **ما هى التوبة؟ فأجاب**: **هى قلب منسحق**، وما هو الاتضاع قال تضاعف ميتوتة الإرادة من جميع الأشياء، وما هو القلب الرحوم قال هو القلب المحترق حباً لجميع الخليقة، على الإنسان والطير والوحوش والدبابات وعلى جميع الأشياء لكي من ذكرها فقط تفيض عينيه الدموع من شدة الرحمة التي تعصر القلب، من كثرة شفقته يصغر القلب ولا يقدر أن يحمل ولا أن يسمع أو أن ينظر أذية أو حزن يحصل لشيء من الخلائق حتى ولا على غير الناطقين، ولا على أعداء الحق، وعلى الذين يأذونه في كل وقت يصلي عليهم بدموع لكي ينحفظوا وليسمح لهم حتى وعلى طبيعة الدبيب لأجل الرحمة الغزيرة الفائضة في قلبه بغير كيل شبه الله.

وما هى الصلاة؟ الصلاة هى فرغة الضمير من جميع الأشياء الحاضرة، وقلب قد شخص نظره بالكمال لاشتياق الرجاء المزمع، والذي هو مفروز عن هذا المعنى إنما يبذر في فلاحته خليط، وكمثل من يحرث على ثور وحمار معاً.

وكيف يقتني الاتضاع؟ بتذكار الزلات القديمة على الدوام وانتظار الموت قريباً وثياب ذرية وفي كل وقت يختار لنفسه موضعاً حطيطاً وفي كل شيء يسرع لعمل أمر حقير وعدم المقاومة والصمت الدائم ولا يحب ملاقات الجموع ويكون غير معروف وغير محسوب وغير متميز وحده بفعل شيء من الأمور ويبغض مفاوضة الوجوه ولا يحب الربح القبيح ويكون فكره خالياً من علامات وعتاب لكل أحد ومن الغيرة ولا تكون يده على أحد وتكون يد الكل عليه، **ويكون متفرداً بما يختص به كمتوحد، ولا يحمل هَم أحد مما على الأرض ما خلاهم نفسه، وبافتصار يكون غريباً ومسكيناً ومتفرداً بالتصرف هؤلاء يولدون الاتضاع ويطهروا القلب.**

هذه دلائل الذين وصلوا للكمال: إنهم ولو اسلموا كل يوم عشر دفعـات للحريـق لأجل محبة البشر ما يشبعون من حبهم، كمثل ما قال الطوباوي موسى لله: **" والآنَ إنْ غَفَرْتَ خطيَّتهُم، وإلاَّ فامْحُني منْ كتابكَ الذي كَتَبْتَ "** (خر ٣٢ : ٣٢) وكقول السعيد بولس: أنا الذي جميع العالمين مع كل شرفهم لا يقدرون أن يفرزوني عن محبة المسيح (رو ٨ : ٣٥ ، ٣٨ ، ٣٩)، وقوله: أريد أن أفرز من المسيح وبني إسرائيل يدنون من إيمان الحياة إن كان يستطاع هذا أن يكون، لكي ببعدي يكون قـربهم ويؤمنـون بالمـسيح ولا يتغربوا من الله الحي. وكقوله: إني أفرح بالضيقات لأجلكم أيها الشعوب.

وأيضاً الآباء قد قاسوا ميتات كثيرة من أجل محبة البشر. وأكثر من هذا جميعه إن الله سيد الكل من أجل محبته للخليقة أسلم ابنه لموت الـصليب: **" لأنـه هكذا أحبَّ اللَّـه العـالم حتـى بـذل ابنـه الوحيـد، لكـي لا يهلـك كل مَن يـؤمن بـه، بـل تكـون لـه الحيـاة الأبديَّةُ "** (يو ٣ : ١٦).

ليس أنه ما كان يقدر أن يخلصنا بشيء آخر بل أراد أن يظهر لنا بذلك كثرة محبته لكي بموت ابنه الوحيد يقدمنا إليه، ولو كان له شيء آخر أكرم منه كان يعطيه لنا لكي

يخاص به جنسنا.

ومن أجل كثرة محبته لم يشأ أن يغصب حريتنا إذ كان قادراً على ذلك، بل يشاء أن بحسب ضميرنا نقترب إليه. وهو سيدنا أطاع أباه من أجل حبه لنا وقبل على نفسه المحقرة والآلام بفرح حسب قول الكتاب: **" الذي من أجل السُّرور الموضوع أمامهُ، احتمل الصليب مُستهيناً بالخِزي "** (عب ١٢ : ٢).

ومن هذا قال سيدنا في الليلة التي أسلم ذاته فداء عنا على الصليب: **" هذا هو جسدي الذي يُبذلُ عنكُم "** (لو ٢٢ : ١٩) لأجل خلاص العالم يعطى للحياة الأبدية لكل من يتناول منه، وهذا هو دمي الذي لأجل الكل يهرق لغفران الخطايا. كما قال ولأجلكم أقدس ذاتي.

وهكذا أيضاً جميع القديسين وصلوا إلى هذا التمام عندما كملوا وتشبهوا بالله، بحبهم الفائض والرحمة على البشر وبهذه العلامة يدلون على أنفسهم التشبه بالله بمحبته القريب إذا كملوا فيها. وهكذا الآباء المتوحدين كانوا يحملون في أنفسهم دائماً شبه السيد المسيح سيد الكل ومنبع الرحمة.

القديس الأنبا أنطونيوس لم يفعل ما يحب ويصلح لنفسه، بل كان يفعل ما ينفع القريب وكان له هذا الرجاء إن نفع قريبه هو عمل فاضل.

وحسبما قيل عن الأب أغاثون إنه قال أريد أن إنسان مبتلي في جسده فأعطيه جسدي وآخذ جسده.

هل نظرت الفكر التام، حتى والشيء الخارج منه ما كان يحتمل أن لا ينيح قريبه مما يخصه.

وكمثل ذاك الذي كان له ثوب مخيط ونظره واحد وأحبه، فلم يتركه يخرج من قلايته حتى أعطاه له.

وأشياء كثيرة مثل هذه قد سطرت من أجلهم.

وكثيرون أسلموا نفوسهم للنار والسيف والوحوش من أجل أقربائهم، ولكن ما يمكن أحد أن يبلغ إلى هذه الرتبة من المحبة إلا الذي قد حس خفياً برجاء أملـه ولا يمكـن أن يقتنوا محبة البشر. الذين يحبون هذا العالم لأن الذي قد اقتنى الحب قد اقتنى اللـه معـه وبحكم الضرورة أن الذي اقتنى الله ما يرى أن يقتني معه شيء آخـر، وحتـى ومـن جسده يتعرى، وإن كان هو مقتن العالم أو يحب هذه الحيـاة الوقتيـة لـيس يتركـوه أن يقتني الله حسبما شهد هو وقال: " إن لم يرفض كل شيء ويبغض كـل الأشـياء حتـى ولنفسه لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً " (لو ١٤ : ٢٦)، وليس أنه يرفض الأشياء فقط بل ويبغضهم وإن كان من لا يترك العالم، هكذا ما يستطيع أن يكون لي تلميذاً، فكيف يسكن فيه الله.

سـؤال: من أجل ماذا الرجاء فعله حلو لذيذ وأتعابه خفيفة وعمله سهل على النفس؟

جـواب: لأجل الاشتياق الطبيعي المتيقظ في النفس ويسقيها هذا كأس الأمل ويرويها ومن تلك الساعة لم يحسوا بتعب ويثبتون غير حساسين بالضوائق وفي كل جري سيرتهم يظنوا أنهم في الجو سائرين، وبغير أقدام بشرية وليس يظهر لهم صعوبة الطريق وخشونتها، ولا أن قدامهم أودية وروابي وكيمان، بل يصير الوعر قدامهم سهل، والموضع الحرج كالبرية، لأن في كل وقت ينظرون إلى حضن أبيهم وهذا الأمل يشير إليهم كمثل بالاصبع ويوريهم الأشياء البعيدة الغير مرئية كمثل أنه بالحقيقة بأقانيم الأشياء يتفرسون بالمثال بعين الإيمان الخفية.

ولأجل إن كل أجزاء النفس تُحمى كمثل حرارة النار بالاشتياق إلى الأمور البعيدة كأنها قريبة. وإلى هناك يمدوا لواحظ أفكارهم ويسرعوا على البلوغ وإذ ما دنوا من عمل واحدة واحدة من الفضائل ليس جزئياً يعملونها بل كلياً حابسة الكل في دفعة واحدة بأنهم ليس في الطريق السلطانية يسيروا مثل كل أحد بل يختارون سبلاً قاطعة، تلك التي أفراد من الجبابرة والشجعان قدروا على السير فيهم الذين بسهولة يوصلونهم إلى المنزل فإن

الرجاء يشعلهم كمثل النار ولم يهدءوا عن سرعة جريهم الدائم لأجل فرحهم ويعرض لهم ما قال إرميا النبي: **" فقلتُ: لا أذكُره ولا أنطق بعد باسمه. فكان في قلبي كنار محرقةٍ محصورةٍ في عظامي "** (إرميا ٢٠ : ٩) هكذا يصير في قلبهم فكر الله.

الذين قد سكروا برجاء مواعيده وأعنيت بالسبل القاطعة عن الفضائل الحابسة التي ليس فيها تطاوف ودورات ومدة سبل كثيرة في السيرة يوصلوا واحد إلى الآخر ويمكثوا وقت ومدة وتشتت، بل في حال ما يبعدوا من الفضيلة يكملوها لوقتهم.

سـؤال: ما هو عدم التألم البشري؟

جـواب: عدمان الآلام أنه ما يحس بالآلام بل أنه لم يقبلهم لأجل كثرة الفضائل المتواترة التي قد اقتنوها ظاهراً وخفياً ضعفت الآلام ولم يسهل لهم الدخول على النفس وليس يحتاج الفكر في كل ساعة أن يلتفت إليهم لأنه ممتلئ بحركاته في كل وقت من الهذيذ ومفاوضة أنواع فاضلة وإفهام متحركة في العقل وإذا ما بدأ الألم يتحرك اختطف الفكر بغتة من عنده بسبب فهم ما قد ظهر في القلب ويبقى الألم بطال حسب قول القديس مرقس إن العقل الذي بنعمة الله كمل أعمال الفضيلة ودنا من المعرفة شيء قليل يحس من جزء النفس الجاهل لأن معرفته تخطفه إلى العلو وتبعده من جميع أمور العالم، لأن أولئك الذين من أجل طهارتهم تلطف عقلهم ورق وصار مسرعاً ذو حدة، من أجل النسك تنقى العقل بأن الجسم يبس ومن فرغة السكون وطول المدة فيه، ولهذا يلحظ شيئاً فشيئاً وتجذبهم التاؤرية إلى الدهش والتعجب بها.

ولهذا يكون تصورهم متواتراً ومنذ قط لم تعوزهم مادة الإفهام من فكرهم. خلاف أيضاً أن الروح يحرك فيهم أثماره وهى العادة لأجل طول الزمان تقطع التـذكارات مـن القلب، أولئك الذين هم محركين الآلام في النفس لئلا تصطحب مع الآلام لأجل هذيذها بهم لأنها قد انخطفت من هذيذ آخر متواتراً، ولهذا ما تلزق قوة أظافرهم ومخالبهم بحواسـها الروحانية.

سؤال: ما هى خواص الاتضاع؟

جواب: كما أن الظن هو مشتت النفس فتطيش في تخيلات كثيرة، ومن قوة شدة حركته يطيرها بسحابة الأفكار لكي تطوف في جميع الخليقة، هكذا الاتضاع هو قابض ذاته بسكون الأفكار وانقباض النفس داخل منه. كما أن النفس داخل منه. وكما أن النفس ليس هى معروفة ولا منظورة من أعين البشر، كذلك المتضع ليس هو معروف بين الناس وكمثل ما هى النفس داخل الجسد وهى مستترة من نظر وخاطة كل أحد، هكذا هو المتضع الحقاني ليس فقط ما يشاء أن ينظر وينعرف بين الناس من أجل تواريه وانعزاله من كل أحد بل حتى ومن نفسه إن أمكن يكون منقبض ومجموع ويغوص داخل منه بسكون حركاته مع حواسه بالكلية.

كمثل أنه ليس هو موجود في الخليقة، ولا قد أتى للتكوين وحتى ولا من نفسه يعرف أو يحس.

وبمقدار ما يكون منقبضاً من العالم ومخفي ومتوارياً كذلك يكون قريباً إلى سيده.

المتضع ليس يفرح أبداً بالمجامع ولا بكثرة غوش (ضوضاء) الناس والـصراخ والحديث، ولا الاتساع والفرجات والاهتمامات التي منها يكون الطمـوح والتـشتت ولا المفاوضة والحديث الذي منه يكون طموح الحواس بل أكثر من كل الأشياء مختار عنـده الانقباض والانجماع إلى ذاته لكي يهتدي ويسكن مع نفسه منفرداً متوحداً من كل الخليقـة بالبلد الهادئ، وعلى سائر الأنحاء التجرد والمسكنة والاعتياز مستحبة عنده وما يلقى نفسه في أفعال كثيرة وأعمال متواترة، بل في كل حين يريد أن يكون متفرغاً وعادم الاهتمـام وغير مضطرب في الأشياء الحاضرة لئلا تخرج أفكاره خارج منه، لأنـه قـد علـم أن الأفعال الكثيرة تحدث اهتمامات شتى، والاهتمامات الكثيرة يولدوا أفكاراً غزيرة، وبهـذا يخرج من الهدوء.

وأن يكون مرتفعاً من كل هم أرضي بسلامة أفكاره، ما خلا الأمور الضرورية التي لا بد منها، وضمير حامل اهتماماً وهذيذاً واحداً بحركاته الهادئة.

لأنه إن لم يبتعد من المحادثات ما تتركه الضرورة أن لا يؤذي أحد ولا يتأذى من أحد، ومن ههنا ينفتح عليه باب الآلام.

ويبطل هدوء الإفراز ويهرب من الاتضاع، ويستد باب السلام.

ولأجل هذه الأسباب يحفظ نفسه على الدوام من أمور كثيرة لكي يوجد في كل وقت هادئ مجتمع الأفكار منقبض مسالم لبيباً.

المتضع ليس فيه لا انزعاج ولا اضطراب ولا حركات حارة مسرعة معجلة، حتى ولو أن يلصق السماء بالأرض المتضع لا ينزعج ولا يتسجس.

ليس كل لبيب متضع، بل كل متواضع لبيب .. متضع غير لبيب ما تجد، وأما لبيب غير متضع كثير، لأن المتواضع هو هادي، حسبما قال سيدنا: " تعلَّموا منِّي، لأني وديعٌ ومتواضع القلب، فتجدوا راحةً لنفوسكم " (مت ١١ : ٢٩).

المتواضع في كل وقت يكون هادئاً، بأن ليس شيء يحرك بالفكر، ويسهل أن يحرك إنسان جبل ولا يمكنه أن يحرك أو يزعج ضمير المتواضع.

وليس هو ممتنع أن يقال أن المتواضع ليس هو من هذا العالم، لأنه لا في الأشياء المزعجة المحزنة يضطرب ولا في الأمور المفرحة يبتهج ويفرح، بل فرحه وسروره الحقيقي هو مرضاة سيده.

يتبع الاتضاع الرزانة (المتانة) أي الشدة والقوة، وانقباض الذات وازدراء الثياب وصوت منخفض وكلام قليل ومحقرة النفس، ومشي مرتب ونظر مطاطئ، ورحمة فائضة وسرعة الدموع ونفس متفردة وقلب منكسر منسحق وعدم حركة الغضب وقلة طموح الحواس، والقناعة في الأشياء وأيضاً الاستعمال.

ويكون حمولاً صبوراً غير جبان، شجاع القلب التي تحدث من بغضة الحياة الوقتية، التجلد في التجارب حركات هادئة غير مسرعة، قلة الأفكار كتمان السر التعفف الحياء والاستحياء، وأكثر من هذا جميعه الصمت على الدوام، ويدعى بعدم المعرفة.

المتضع ليس تصادفه أبداً ضرورة تجعله يتسجس المتواضع حتى إذا كان وحده من نفسه يحتشم، وأنا أعجب إن كان ثم متواضع يجسر أن يطلب من الله شيئاً في الـصلاة، أو إذا دنا إليها يثق من نفسه أن يؤهل أن يطلب منه شيئاً حتى أنه ولا يعرف ماذا يصلي، بل يكون هادئاً في جميع حركاته وينتظر الرحمة تأتيه فقط وأي أمر يخرج عليه من قدام العظمة المسجود له، وجه منحني إلى الأرض، ونظر قلبه شاخص لباب قـدس الأقـداس المتعالي، الذي إشراقه يبهر أعين الساروفيم وشعاعه يرهب طغمات صفوفهم والـصمت ملقى على جميع رتبهم وينتظروا ظهور الأسرار التي من داخـل خفيتـه (بجـو غيـر فضاوي) وحركة بغير صوت، بحواس غير متجسدة، بإحساس غير متـشبه بـالإعلان عليهم، بجوهر غير منظور المشجع قوة حركاتهم ليتجلدوا تجاه قوة لجة أسراره.

وهذه الأشياء رسمناها بألفاظ بسيطة لم يدرك العقل فحصها، ولم أعتن بذلك لأجل إشهار اللفظ، لأن من القراءة فيهم فقط ينسى العقل تصرف وسيرة هذا العالم وحياته الجسدية وينتقل بفكره إلى عالمه ذاك الحقيقي.

الميمر الرابع والعشرون :

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

عـن الإيـمــان والبســاطـة

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

أيها الإنسان المجاهد إن أردت أن تجد الحياة تمسك بالإيمان والتواضع لكي تجد بهم رحمة ومعونة وكلام من الله في القلب ومع الحافظ بالخفى والظاهر، وإن أردت أن تقتني هؤلاء الذين هم مفاوضة الحياة امسك منذ مبدأك البساطة واسلك قدام الله بسذاجة وليس بالمعرفة لأن الأمانة تقفو بالسذاجة، ويتبع الشكوك لتدقيق الأفكار وترددهم، والظنون(الشكوك) يتبعها البعد من الله.

إذا ما سجدت قدام الله في صلاتك كن في فكرك مثل النمل والدبيب الحقير الذي يدب على الأرض ولغلغ كالطفل الرضيع، ولا تتكلم قدامه بمعرفة بل بقلب طفولي اسلك قدامه لتؤهل لتلك العناية التي تكون من الآباء على أولادهم الأطفال.

قيل إن الرب يحفظ الأطفال الصغار، يدنو الطفل إلى الثعبان ويمسكه من رقبته ولا يؤذيه، ويمشي عرياناً في اشتداد برد الشتاء، وإذ بآخرين لابسين مكتسين والبرد يؤلم جميع أعضائهم، والطفل يكون عرياناً جالساً في وسط الجليد ولا يتألم لأن جسمه قد استتر بسبب سذاجته، هذا يكون من العناية الخفية غير المنظورة - أي العناية الإلهية - التي تحفظ لأعضاء الطفل نعومتها لئلا تدنو منها أذية ما، فآمن الآن وصدق أن ثم عناية إلهية تحفظ الجسد الغض والمعرض بسهولة لسائر المؤذيات وذلك لأجل نعومة وضعف

أعضائه، وقلة ثباته، وينحفظ في وسط المضادات ليس يؤذونه ولا يوجعونه.

الرب يحفظ الأطفال ليس الذين بالجسد فقط بل والذين كانوا في العالم حكماء ورفضوا معرفتهم لأجل ثقتهم بالحكمة الخفية الكافية الكل وصاروا أطفالاً بإرادتهم، وعند ذلك يتعلمون تلك الحكمة الخفية الكافية الكل وصاروا أطفالاً التي ليس تقتنى بتلقين وهجاية. وحسناً قال الحكيم العارف الإلهيات معلمنا بولس: " إن كان أحدٌ يظنُّ أنه حكيمٌ بينكم في هذا الدَّهر، فليصر جاهلاً لكي يصير حكيماً! " (١كو ٣ : ١٨).

اسأل الله أن يجود عليك لكي تصل إلى مستوى كمال الإيمان لأنك إن أوهلت أن تحس بنعمتها في نفسك لم يبق لك شيء يمنعك من الدنو إلى المسيح، وتسبى في كل وقت من الأمور الأرضية وتنسى هذا العالم الضعيف من جميع أموره، من أجل هذا صل في كل وقت بلا ملل ولا كسل وأطلبها بدموع وحرارة وتضرع باهتمام كثير لكي تحظى بها ولم تعد تشقى وتؤهل لها إذا ما غصبت نفسك لتلقي همك كله على الله، وتبذل عنايتك بعنايته.

وعند ذلك إذا ما نظرت إرادتك أن بكل ضمير نقي قد ائتمنت الله على أمورك كلها وغصبت ذاتك للاتكال عليه أكثر من نفسك فيجود عليك بقوة ما كنت تعرفها وتحل عليك وتحس بقوته محسوس بغير شك ولا ارتياب.

هذه هى القوة التي لما حسوا بها كثيرين جسروا على النار بغير خوف ومشوا على الماء ولم تنقسم أفكارهم إنهم يغرقوا.

لأن الإيمان يشجع حواس النفس كمثل أن تمنحها قنوع ما غير منظور وتحسن به لئلا يضعف الفكر ولا تتلفت لنظر الأمور المخوفة المرعبة بل تلحظ الأشياء بنظر ما مرتفع عن الحواس.

احذر لئلا تظن بالكلية أن المعرفة الروحانية تقبل بهذه المعرفة النفسانية حتى ولا بالحس يؤهلون أن يحسوا بها الذين قد تدربوا بهذه المعرفة، وإن كان أحدهم يريد أن

يدنو من اقتناء معرفة الروح إن لم يجحد كل أبواب دقة هذه المعرفة وعيون شباكها ويقوم بطفولية الضمير لا يقدر على الدنو من تلك لأن عوائد هذه وحركاتها الملتوية تعوقه جداً إلى أن يستأصلها قليلاً بقليل.

لأن المعرفة الروحانية، بسيطة هى وليس تشرق بالأفكار النفسانية إلى أن ينعتق الضمير من الأفكار الكثيرة ويأتي إلى بساطة النقاوة، لا يقدر أن يحس المعرفة الروحانية وترتيب هذه المعرفة هو أن يحس الإنسان بتنعم حياة العالم الجديد من ههنا في هذه الحياة وعند ذلك يرذل كثرة الأفكار لأن المعرفة النفسانية خارج عن أفكار متواترة ما يمكنها أن تعرف شيئاً آخر الشيء الذي يقبله الضمير البسيط كلمة سيدنا ما تتغير لأنه قال: **" إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السَّموات "** (مت ١٨ : ٣). فكثيرون لم يصلوا لهذه البساطة ولكنهم من أجل أعمالهم الحسنة لهم نصيب في ملكوت السماء جزئياً مع سيدنا كمثل ما تفهم من معنى الطوبى الذي وضع في بشارته بغيارات مفروزة وبين فيها إفراز تدابير سيرة كثيرة ومعاني مختلفة في الطوبى لكي كل أحد بأي منزلة وفي أي طريق منها يريد أن يتدبر ينفتح قدامه باب ملكوت السماء.

وأما قوله إن لم ترجعوا وتكونوا كالأطفال أظهر أنه ههنا يحس الإنسان بتنعم الملكوت.

لأن ملكوت السماء قالوا هى التاؤريا الروحانية وهذه ليس تحصل في عالم الأفكار بل من النعم يذوقها الإنسان، وإلى أن يتطهر الإنسان ويتنقى لم يكن فيه كفاية ولا للسماع بها لأنها لم تقتنى من التعليم والتلقين.

فإن كنت بلغت يا ابني إلى النقاوة التي تقتنى من القلب والسكون من الناس، وتنسى معرفة هذا العالم من غير أن تعلم تجدها داخلك بغتة من غير بحث عنها ولا فحص .. أقم لك قائمة (عموداً مثل يعقوب) واسكب عليها دهناً وتجد الكنز في حضنك.

فإن كنت مرتبطاً بعيون شبكة المعرفة النفسانية ومقيد بها يكون سهل عليك أن تنفك من قيود الحديد أكثر من تلك، وليس أنت بعيد على الدوام من اشتراك ومصائد الطغيان

وليس تتمكن أبداً أن تجد دالة وثقة في القلب، ويكون سيرك في كل وقت كأنه على فم السيف، ولا يمكنك أن تكون بغير ألم ولا حزن أبداً.

اسلك بالعجز والضعف وسر بالبساطة لتحيا قدام الله حسناً وتكون بغير هم.

كما يلصق الفِيء (الظل) بالأجسام على هذا الحد تلصق الرحمة بالاتضاع.

فإن كنت تريد أن يكون تصرفك بهؤلاء لا تسمع أبداً لأفكار الرخاوة والجبانة، ولو إن أحاطت بك سائر المحزنات والضواغط وأمور خطرة ويهددونك ويخيفوك، لا تلتفت بنظرك إليهم ولا تحسبهم.

فإن كنت قد آمنت بالله تماماً ووثقت به أنه فيه كفؤاً أن يحفظك ويدبرك وأنـت تفيء وراءه وتتبع أثره، لا ترجع تهتم بشيء من هؤلاء بل اقنع نفسك وقل لها إنه فيه كفؤاً الذي أسلمت نفسي إليه في دفعة واحدة هو الذي يعرف كيف يدبرني وعنـد ذلـك تنظر أعمال الله وكيف هو قريب خلاصه في كل وقت لخائفيه وعنايتـه محيطـة بهـم وليس تُبصر.

وليس من أجل أن حافظك غير منظور لعين الجسد تشك بأنه غير موجود، لأنه ثم وقت يظهر لعين الجسد أيضاً لأجل تثبيتك لتتحقق.

إذا رفض الإنسان كل مساعدة منظورة وترك الأمل في البشر والتصق بالله الإيمان ونقاوة القلب فمن ساعته تتبعه النعمة، وتُظهر فيه قوتها بمعونات مختلفة أولاً بالأشياء الجسدانية ظاهراً توري قوتها بعنايتها به، لكي بهؤلاء بالأكثر يقدر يحسب بقوة العناية الإلهية لكيما يفهم هؤلاء الظاهرات، يتفهم على الذين يكونون بالخفى، وذلك حسبما يوافق بساطة الأطفال التي في فكره، وعدم تدربه، وكيف يعد له احتياجاته من غير تعب ومن غير عناية منه، ويزول عنه، عوارض كثيرة قريبة منه.

وكم من وقت مملوء من خطر ومن غير أن يتحفظ هو منهم – الأخطار – نجد أنه لم يشعر بحدوثهم وتدفعهم عنه النعمة بعجب عظيم، ويحرصه كصيانة المربيـة التـي

تفرش جناحيها على أولادها لئلا يدنو منهم أذى ما، ويميز بعينيه أنه كان قد قرب هلاكه وتدرجه في الأشياء الغامضة الخفية وتفضح قدامه الأفكار والهـواجس العـسرة الإدراك لكي بسهولة يدرك فهمها وتواصلها بعضهم لبعض، وصل ضلالتهم وكل واحد منهم يقفوا – أي يتبع – وكيف يتولدوا من بعضهم بعض ويهلكوا النفس وتشهر قدامه كـل كمينـات الشياطين وأفكارهم المنحجبة.

وما يتبع لكل واحد من هؤلاء وتوضع فيه فهماً ليتميز بالشيء الذي يحدث، وتشرق داخل بساطته نوراً خفياً ليحس بكل شيء وبقوة هواجس الأفكار الدقيقة وتشير إليه كمثل بالإصبع إن لولا هذه ما كان يعرف ما هو مزمع أن يظهر له ويتولد عنده.

عند ذلك إن كل شيء كبيراً أو صغيراً يطلب بالصلاة من مدبره، وإذا ما حققته النعمة بهؤلاء جميعهم وثبت ضميره بالثقة بالله عند ذلك تبدأ تدخله التجارب قليلاً وتسمح أن ينطلقوا عليه حسب كمية مقدرته تجارب وهو كفء لحملها وتظهر له معونتها محسوساً لكي يتشجع ويتخرج قليلاً قليلاً ويقتني حكمة ويجسر على أعداءه بثقة بالله.

لأن من دون هؤلاء لا يمكن أن يتحكم الإنسان بالقتالات الروحانية، ويعرف مدبره ويحس بإلهه، ويثبت بأمانته خفياً بالقوة التي نالها في ذاته من التجربة.

وإذا نظرته قد بدأ يتحرك فيه فكر الظن قليلاً وبدأ يتفكر بالعظائم على نفسه، تترك التجارب أن يتقووا عليه ليعرف ضعفه وعجزه ويهرب إلى الله ويلتجئ به الأشياء يبلغ الإنسان إلى منزله الرجل الكامل بالإيمان والرجاء بابن الله عجيب يظهر حب الله وينعرف إذا ما تحصل الإنسان في وسط أمور مملوءة قطع رجاء، وهناك يظهر الله قوته بخلاصه منهم.

ليس يتعلم أحد ويعرف القوة الإلهية بالاتساع والراحة، ولم يظهر فعله محسوساً قط إلا في بلد قفر هادئ، وبرية ومواضع خالية من المحادثات وبسجس مساكن الناس.

لا تتعجب إذا ما بدأت بعمل الفضيلة وانطلقت عليك ضوائق ومصاعب مـن كـل

ناحية بأنها ليست تحسب فضيلة التي لم يقفوا بها مصاعب وتعب وعناء في فلاحتهـا لأن، الفضيلة بهؤلاء دعيت وسميت حسبما قال القديس يوحنا التبايسي إنه مـن عـادة النشاط والنجاح أن يحدث له مصاعب مرذولة وهى الفضيلة إذا ما كانت مرتبطة بالراحات.

قال القديس مرقس: " إن كل فضيلة تكون صلب تسمى لأنها تكمل وصية الروح لأجل هذا حسب قول الرب: **" وجميع الذين يُريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطهدون "** (٢تي ٣ : ١٢)، من يريد أن يتبعني يجحد نفسه ويحمل صليبه ويتبعني، ومن يريد يخلص نفسه يهلكها ومن يحيي نفسه بالراحات إنما يهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها " (مر ٨ : ٣٤) ، (مت ١٦ : ٢٥) ، (مر ٨ : ٣٥) ".

من يمتع نفسه بالراحات يهلكها، فلهذا سبق سيدنا ووضع أمامك الصليب لكي تفرض الموت على نفسك ثم بعد ذلك تطلقها لتسير في أثره.

لا شيء أقوى مما تغلب على اليأس، هذا لا ينغلب من شيء إن كان بالضربات اليمينية أو الشمالية، لأن الإنسان إذا مات عن الحياة الدنيا بفكره لا يوجد أشجع منه، ولا حكيم مثله، ولا يقدر عدو على لقائه، ولا تضعف أخبار الضيقات فكره، لأن كل ضيقة هى دون الموت أما هذا فقد وضع على نفسه الموت.

في كل أمر وفي كل فعل وكل وقت بكل أمر تريد تفعله، ضع لفكرك انتظار التعب والشقاء، وليس فقط توجد لبيباً وغير ملول، بل وتجسر على كل صعوبة تحدث وشجاعة أفكارك تهرب منك.

كل فكرة مرخية جبانة التي من عادتها أن تتولد في الإنسان إذا ما كانت أفكاره تنتظر الراحة، حتى وجميع الصعوبات المضغطات المصادفة إياك تراها سهلة هينة، وكم من وقت الأمور الضدية توجد لك موافقة في الشيء الذي تنتظره، حتى أنهم لا يعرضوا عليك.

ِاعلم إن انتظار الراحة يخيب الناس من خيرات كثيرة وتذكارات فاضلة، حتى

والذين هم متصرفين في هذا العالم بالأمور الجسدانية لن يبلغوا لتكميل إرادتهم إلا إن قطعوا في أفكارهم أن يحتملوا صعوبات، وإن التجربة هى الشاهدة على هؤلاء، ولا حاجة لفنوع الكلام.

وفي سائر الأجيال المتقدمة وإلى يومنا هذا ليس شيء آخر من أجله يرتخي الناس ويخيبوا من الظفر والغلبة ويتهاونون على الأعمال الفاضلة.

وباقتصار عن الدخول إلى ملكوت السماء بشيء إلا بانتظار الراحة القريبة النذرة، وليس هذا فقط، بل وهذا الانتظار على أكثر الأوقات يعد لهم تجارب صعبة وعوارض مؤلمة لسائر من يوضع قصد فكره لهذه الأمور وإليهم يصوب إرادته، لأن مدبر هذا الشيء هو إرادة الشهوة، ولعلك تذكر أن الطائر الذي يطمع في الراحة يقترب من الفخ، أو لعل معرفتنا نحن أقل من معرفة الطائر الذي يستتر في مواضع خفية بعيدة عن المساكن والبلدان لأن الشيطان هو أيضاً منذ البدء بخداع وطمع الراحة من عادته أن يصيدنا.

ولهذا قلت أنه ينبغي لنا في كل وقت أن نوضع قدام فكرنا انتظار الضيقة في كل أمر نريد أن نفعله في الطريق التي توصل إلى سيدنا، لكي آخرتها تبلغ إلى كمال حزن حسن بنشاط كم من وقت يسأل إنسان إذا ما أراد أن يبدى بفعل ما لأجل المسيح هل فيه راحة هذا لشيء أو عمله سهل، وما يكون فيه شيئاً يضغط الجسد ويحزنه، انظر كيف طلب الراحة موجود.

ماذا تقول أيها الإنسان الذي تريد أن تصعد إلى السماء وتنال تلك الملكوت والشركة مع الله والراحة مع القوات الروحانية وتلك السعادة والخلطة مع الملائكة والحياة التي لا موت فيها وأنت تسأل إن كان في هذا الطريق تعب ..

يا للعجب الذين يريدون أن يقتنوا أمور هذا العالم الزائل يجسرون على أمواج البحر الصعبة وعلى السلوك في الطريق الوعرة المخيفة وما يقولون أن في هذا الأمر

صعوبة أو هول ما لأجل قصد وغرض إرادتهم.

ونحن في كل شيء نسأل عن الراحة ونفتش، فإن كنا نأخذ في ضميرنا أن نـسير في طريق الصلب كل وقت ونفكر بحمل الصليب كل حين، أي حزن أو ضغط ما يكـون سهل عندنا إلا أن يكون إنسان ما يخبر (يعلم) هذه، أنه ليس أحد يظفـر فـي القتـال ويأخذ الإكليل الغير فاسد أو ينال شهوة إرادته في الأمور الممدوحة، أو يكمل شيء مـن أمور الفضيلة إن لم يصبر على الأتعاب والضوائق ويبعد عنه كل فكرة منحلة مزعجـة تحرضه على الراحات، وتولد فيه الملل والجبن الذي منه يتكون الانحلال، والرخاوة فـي كل شيء.

إذا ما العقل غار لأجل الفضيلة فالحواس الظاهرة التي هى الشم واللمس والسمع والنظر والذوق، لا تقهر من مصادمة الأشياء المنظورة والأفعال الغريبة التي خارج من العادة وحدود قوة الطبيعة في الوقت الذي تحرك الغضبية فعلها بالطبع، عند ذلك تبقى حياة هذا الجسد عنده كالزبل، لأن القلب إذا ما غار بغيرة الروح ليس يتوجع الجسد بالضوائق ولا يتألم بالعذاب ولا يرعب من الأمور المخفية الهائلة بل يقيمه العقل مقابل التجارب كمثل المغنطيس.

إذا كنا نغير غيرة الروح من أجل تكميل إرادة ربنا يسوع المسيح يبتعد عنا الملل الذي يلد الفكر المنحل، لأن الغيرة تلد نشاط الجسد وحرص النفس.

أي قوة للشياطين أمام النفس إذا تحركت غيرتها الطبيعية مقابلهم، لأن الغيرة تتولد من الغضب الطبيعي ـ تجاه الشياطين ـ وتقوي النفس وتعصمها إذا أظهرت قوتها للفعل الصالح، وتثبت لها أكاليل الاعترافات التي يقبلها الشهداء المنتصرون بصبرهم، تلك الأكاليل التي تكون لهم من الغيرة الروحية والأخلاق الحسنة والتجلد، هذه التي تتولد من قوة الغضب الطبيعي، وتكون بغير إحساس ولا ألم من شدة العذاب.

الميمر الخامس والعشرون :

عــن : منفعــة الهــروب مــن العــالم
والفــرار منــه
الــذي اختــبره الآبــاء وحرصــوا عليــه جــداً

صعب هو جداً، وخطر بالحقيقة الجهاد الذي يكون بواسطة الأمور، ولو أن يكون الإنسان فاتك شجيع جداً لأنهم إذا ما كانوا قريبين من الإنسان حركوا عليه القتال من غير معاندة الأعداء والخوف والرعب لاصق به والسقطة متسهلة عليه أكثر من أن يصاوف الشيطان هو بذاته بالحرب الظاهر إذا ما ظهر العدو تجاه عينيه.

لأن كل ما كان الإنسان قريباً من الأشياء التي يخاف منها القلب دائماً، فالعدو يجد له فرصة، وفي الوقت الذي يكسل فيه، ويتعرض قليلاً للإهمال لكي بسهولة يستطيع هلاكه أما في البعد فيخاف من أذية تحدث للجسد. وعلى كل فأسباب الخطية ستكون بعيدة عنه، وأما في القرب من الأمور تقبل النفس جرح غير منظور وليس يتعب العدو بالجهاد معها بأن مباشرة الأمور من ذاتها فيها كفء لتحريك السجس والاضطراب في كل وقت وبالإرادة ينساق بالسير معهم، ويسبى من دون أن يقاتله العدو بالقتال من خارج، لأن هو الإنسان جاب لذاته الحرب بمجاذباته الأشياء الموضوعة تجاه حواس الجسد حسب قول القديس يعقوب السروجي: " إنه إذا انضبطت النفس بمصادمة العالم المؤذية المخسرة هى

المصادمات تكون لها شماته ".

وبالطبع تقهر النفس وتغلب إذا وافقت الأمور التي تصادفها تجاه العين، ولهذا عرف القديسون الأوائل الذين صاروا في هذه الطريق إن العقل لا يكون واعياً في كل وقت، ولا يقدر أن يثبت بغير ميل. محتفظ بذاته لأنه في أكثر الأوقات تكون النفس في ظلام ولا تقدر أن ترصد الحركات المؤذية.

ولهذا بحكمة تميزوا الآباء وتسلحوا بالتجرد كمثل ليس لأنه يعتق من جهادات كثيرة وينجى حسبما كتب إن ثمة من يفلت من الخطأ من أجل فقره، وكذلك هربوا إلى البراري والقفر حيث لا يوجد فيها الأمور التي هى أسباب السقطة، لأنه إذا ما عرض لهم وقت ينغلبوا في القتال، تكون أسباب السقطة غير موجودة أعني بهذا عن الشهوة والغضب والمرآة والمجد الفارغ .. إلخ.

لأن هذه الأشياء عادمة بسبب القفر واستتروا فيه كمثل حصن منيع لا ينكبس ولهذا استطاع كل واحد واحد منهم أن يكمل جهاده في السكون، حيث لا تجد الحواس فسحة ليكونوا خصوماً في الجهاد بمصادمة الأشياء المؤذية، **ينبغي لنا الموت في الجهاد ولا الحياة بالسقوط.**

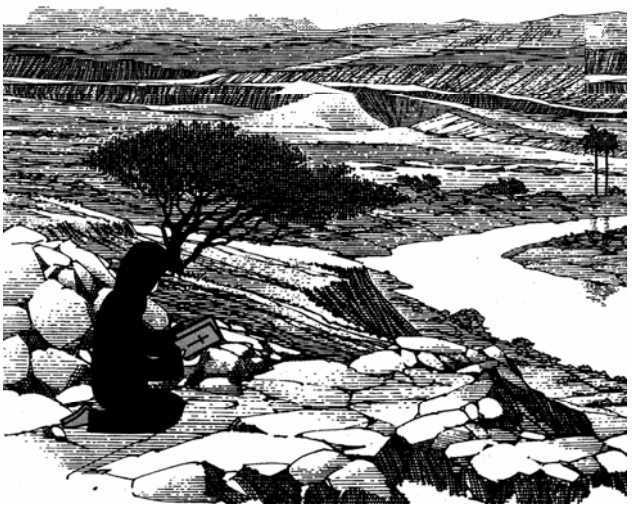

الميمر السادس والعشرون :

في أنـــه كيــف يقتنـــى غيــار الحركـــات الخفيــة مــع تغــيير الســيرة الــتي مــن خـــارج

كل ما كان الإنسان متجرداً، فالانتقال من هذه الحياة يتحرك في قلبه باستمرار، وبتلك الحياة التي بعد القيامة يهدس في كل وقت واستعداد إلى هناك يتحايل أن يقتني والصبر عن كل كرامة وراحة ينشئوا في قلبه. ويستهين بهذا العالم، ويصبح حكيماً في أفكاره ويقتني قلباً شجاعاً في كل حين، ويجسر على كل أمر مخيف، وعلى كل شيء خطر ومميت، وإنه حتى ولا من الموت يخاف، لأنه في وقت ينتظره كأنه قريب منه، ويلقى همه على الله بثقة وبغير شك ولا ارتياب.

وإذا ما صادمته العوارض الصعبة والضوائق كمثل أنهم يعدوا له أكاليل يعرف على تحقيقه ويحتملهم بفرح وتسر نفسه بقبولهم بأنه يعرف أن بأمر الله سمح حصولهم له من أجل منفعة ما وسبب غير معروف بسياسة غير ظاهرة، وإذا ما اتفق له سبب أن يحصل بيده شيء من الأمور الزائلة وأقتنا بغواية ذلك الحكيم بكل الشرور، أعني الشيطان، يبدأ أن يتحرك في فكره محبة الجسد ويتفكر بحياة طويلة وأفكار لا تنبغي لنياح الجسد تحرك في قلبه، ويحتفظ بجسده إن أمكن لا تدنو منه أذية، ويتحايل بما يليق بنياحه، وتبعد منه كل فكره حرية غير متعبدة لشيء من أفكار الخوف.

ومن هذا الموضع في كل حركات الخوف والرعب وأسباب الخوف يتفكر ويهدس بأن قد أخذت منه تلك الشجاعة القلبية التي كان قد اقتناها في نفسه بارتفاعه من العالم بسبب التجرد وإن قد صار وارثاً للعالم بحسب كيفية الذي كان قد اقتناه في ذاته، قد أخذت

منه إما بالخوف حسب سياسة الله، وترتيب أحكامه وشرعه أو بغير ذلك، ولأي ناحية اتجهت أفكارنا لفلاحتها نصير لها عبيداً ونخضع بخوف وانكسار كقول الحكيم: **" قبل الكسر الكبرياء، وقبل السُّقوط تشامخ الروح "** (أم ١٦ : ١٨).

ويتقدم كل الفضائل احتقار الإنسان للراحة، فالذي يغذي جسده من أجل الراحة في وقت السلام تضغطه الضيقات والذي يتنعم في شبابه يكون عبداً في شـيخوخته وفـي آخرته يتنهد.

وكما أنه لا يتمكن من قد غطس رأسه في ماء داخل بئر عميق أن يستنشق الهواء النقي الذي في الجو، هكذا لا يستطيع من قد غطس ضميره باهتمامات الأمور الحاضرة أن تقبل نفسه استنشاق وإحساس العالم الجديد.

وكما أن رائحة السم المميت تفسد لمزاج الجسد، هكذا المنظر السمج يخبط سلامة الضمير.

وكما أنه لا يستطاع أن تكون الصحة والمرض في جسد واحد ولا ينفسد الواحد من الآخر، هكذا لا يمكن البغضة والحب أن يسكنوا في بيت واحد ولا يفسد أحدهما رفيقه.

وكما أنه لا يثبت الزجاج بتقلبه مع الأحجار ولا ينكسر هكذا لا يمكن أن يكون أحد طاهراً وهو مداوم النظر والكلام مع امرأة وتثبت طهارته بغير دنس.

وكما أنه تنقلع الأشجار من شدة جريان الماء، هكذا محبة العالم تنقلع من القلب بحدة التجارب الحادثة على الجسد.

وكما أن الأدوية المسهلة تنقي الكيموس الرديء من الأجساد، هكذا شدة الضوائق تقلع الآلام من القلب.

وكما إنه لا يمكن أن يحس المائت بأمور الأحياء، هكذا المتوحد المدفون داخل السكون كمثل في قبر تكون نفسه خالية من راموز المجمع ومن إحساس الأمور المتصرفة فيما بين الناس.

وكما أنه لا يمكن أن يكون بغير مؤذية الذي يشفق على عـدوه المختـصم إيـاه في مصاف القتال، هكذا لا يكون ممكن أن يشفق المجاهد على جسده وتنجو نفـسه مـن الهلاك.

وكما أن الطفل عندما يخاف من المناظر المرعبة يجري ويلتجئ بأذيال أبويه، هكذا النفس كلما تُضايق من رعب التجارب تزاحم أن تلتجئ إلى الله بتواتر الصلاة والتضرع، وكلما تكثر التجارب تكثر هى التضرع، وإذا أرادت الفسحة طلباً للراحـة، وقعـت فـي الطياشة.

وكما أن الذين يسلمون لأيادي الولاة لكي يعاقبوا لأجل شرورهم، فـي حـال مـا يبدءوا بجلادهم يتضعون وتصغر نفوسهم ويقرون بما فعلوا، فيقـل جلـدهم ويتخلـصوا بضوائق قليلة عاجلاً. وإن كان فيهم من هو جاهل ويقسي قلبه وما يقر يكثر جلادهم، وفي الآخر بغير إرادتهم يقرون بعد جلد كثير، وبعد تقطيع اجنابهم ولا يربحون شـيئاً، هكـذا أيضاً نحن إذا ما تركنا زلاتنا بغير تقويم نسلم من أيادي المراحم الإلهية لحكـم العدالـة وتصدر الحكم علينا أن يمدونا قدام عصا التجارب لئلا تتصعب عقوبتنا هناك، وفي حال ما يدنو منا الجلد بعصى الحاكم، فإن كنا نتضع ونذكر ذنوبنا ونعترف قدام المنتقم ننجـو سريعاً بتجارب قليلة، وإن كنا نتقسى في الضوائق ولا نعترف إننا كنا سبباً لهذه الأمـور ونستحق أكثر من هذه بل ونحتج بالناس، وفي وقت بالشياطين، وفي وقت بـسياسة اللـه وعدالته ونقيم أنفسنا مزكيين إياها بلا لوم وإنه ليس لنا ذنوب تستوجب هؤلاء، ولا نفكـر أن الله أخبر منا ويعرفنا أكثر من معرفتنا بأنفسنا، لأن أحكام الله هى في سائر الأرض، ومن دونه وأمره ما يتأدب أحد .. تكثر أحزاننا وتشتد ضوائقنا ويسلمنا من واحـد إلـى واحد كمثل بالحبل حتى نعرف أنفسنا ونتضع ونحس بخطايانا لأنه من دون ما نحس مـا يمكننا أن نتقوم وفي الآخر إذا تضايقنا كثيراً، عند ذلك نعترف بجهلنا اعترافاً لا منفعة فيه ولا يحصل لنا شيء من العزاء. لأن إحساس الإنسان سريعاً بخطاياه هى موهبة من الله تقع في الضمير.

لأنه نظر إلى كثرة شقاءنا في التجارب المتنوعة التي نقاسيها، لئلا ننتقل من هذا العالم بلا منفعة، وأننا لسنا من القساوة بل من عدم المعرفة ما نفهم.

وثمة من ينتقل بهؤلاء التجارب من هذا العالم ولم يعترف أنه أذنب وأخطأ بل يقاوم ويلوم والله الرحوم ينتظرهم لعلهم يتضعون فيغفر لهم وينجيهم، وليس أنه يبطل التجارب منهم فقط، بل ويغفر خطاياهم باعتراف قليل من قلوبهم.

الذي قد اقتنى في صلاته دموع، هو كإنسان يقدم قرباناً عظيماً للملك وقد اقتنى عنده وجه بهج، كذلك الدموع قدام الله الملك العظيم سلطان كل العوالم، ويزيل كل أنواع خطاياه ويقتني عنده وجه بهج.

كالنعجة التي تخرج من الدوار وتطيش وتمضي تقوم على جحر الذئاب، هكذا هو الراهب الذي يترك الموافقة مع رفقاءه ويحتج باسم الجلوس في الوحدة، ويداوم المناظر والطياشة في الخليقة.

وكمثل من هو حامل جوهرة ثمينة ويمضي في طريق قد شاع عنها أخباراً سمجة، وفي كل وقت يكون مرعوباً من السالب، هكذا يكون الذي قد اقتنى موهبة العفة وهو يسير في العالم الذي هو طريق الأعداء إلى أن يدخل منزل القبر الذي هو بلاد الثقة، له رجاء أن يفلت من اللصوص السالبين.

وكما أنه لا يمكن ذاك أن يخاف هكذا أيضاً ولا هذا يعرف بأي بلاد وبأي وقت يخرجوا عليه بغتة ويفقره من جميع أمله ويخيب من رجاءه كله، لأن ثم من يسلب في باب داره الذي هو زمان الشيخوخة وكإنسان يشرب خمراً في وقت الحزن ويسكر وينسى كل حزنه، هكذا والذي يسكر بحب الله في هذا العالم الذي هو بيت الأحزان والندب وينسى وجع أحزانه جميعها ويكون في غير وعيه لأجل سكره في كل آلام الخطية، ويسند قلبه بثقة الله وتكون نفسه كالطير الخفيف الذي في كل وقت يرتفع فكره من العالم وفي علو السماء يطير بهذيذ أفكاره.

الميمر السابع والعشرون :

++++++++++++++++++++++++++++++++

إيضـــاح وتفســـير
بالأدلـــة علـــى إفـــرازات المعقـــولات
وأي اسـتعمـال لكـل واحـد منهـا

++++++++++++++++++++++++++++++++++++

العقل هو شعور روحاني قد جعل لقبول القوة الناظرة، وهو مثل حدقة العين الجسدانية التي بها يعاين النور المحسوس.

والنظر المعقول هو المعرفة الطبيعية التي بقوة به امتزجت مع تقانة الطبيعة تلك التي يسمونها النور الطبيعي. والقوة المقدسة هى النعمة والشمس المفرزة التي وضعت بين النور والنظر، والطبائع هى وسائط منبعثة من النور المنظور.

والآلام أي الميول الشهوانية هى جوهر وليست مادة تكون حائلاً أمام النور فتمنع تميز الأمور.

والذكاوة هى انصقال الجو المعقول الذي في وسطه يطير الطبع السامي الذي فينا.

إن لم يكن العقل صحيحاً في طبعه ليس تفعل فيه المعرفة كالحس الجسدي إذا مـا تأذى من أسباب ما يؤخذ منه النظر، فإن كان العقل صحيحاً والمعرفة ليست هى موجودة فالعقل لا يميز شيئاً من الروحيات بدون المعرفة، كالعين الصحيحة تماماً ولكنهـا تنبهـر من شدة النور فلا تبصر وقتاً ما فإن كانت هذه جميعها محتفظة بما يخصها ولكن النعمة بعيدة يبقوا بلا فعل من كل خدمة إفرازاتهم، كما أن في أوقات الليل لأجل عـدم وجـود الشمس يبقوا بلا فعل، وإن كان جميعهم أصحاء وتامين بما يخـصهم، أعنـي بـذلك أن العين ونظر الأمور ليلاً لا يفرزون ولا ينفرزون وهذا هو الذي قيل أن: **" بنـورك نعـاين النور "** (مز ٣٥ : ٨).

وإن كانت نعمة الشمس المعقولة أي الروحية قريبة وتجذب وتخضع وتوقظ وتعمل، والذكاوة ليست في النفس كمثل الجو الفارغ القاتم من عبوقة السجس والمواد العالقة المظلمة التي تحجب نور شعاع الشمس، وبالنور الحسن المشتهى المنعم بحلاوة النظر في كل روحانية يتعطل النظر من الإفراز، ويبطل الطبع من الفعل، وتخيب النفس من الحس بلذة الشمس الثانية التي تشرق على الكل لأجل حاجز ما جسدانياً، ينحجب إشراق الحق لئلا يمتدوا إلينا.

ولهذا بحسب الضرورة نحن مضطرين لهؤلاء الذين ذكرناهم جميعاً، ولأجل أنه بعد جهد يوجد هؤلاء في إنسان واحد بغير نقص، لأن كثيرين ما يستطيعون أن يبلغوا ولا للكمال الجزئي من المعرفة الروحانية، والعوز الذي يكون مثل هذا يكون من أن العقل ليس فيه كفء، ومن أن القصد ما يكون مستقيم ومن قلة قطع الهوى ومن عوز الذكاوة ومن عدم وجود المرشدين، ومن امتناع النعمة، لأنه ليس يليق الغنى للجاهل، ولا السعادة، ولا أن يحكم أشياء عظيمة، ومن تعويق المعلمين.

وأيضاً فصول محدودة في المعنى: اعلموا يا إخوتي أن العين المحسوسة لأجل قوتها الناظرة، كمثل شيء يشبه القناة من المخ يتسيب لها ومن دون اشتراكها مع نور آخر ما تقدر أن تقبل إفراز الأمور وجميع محسوسات الطبيعة التي للعقل معرفة نفسانية ومن دون أن تقبل النور الإلهي ما تقدر النفس أن تشترك بتصورها مع الحق، الشيء الذي من السيرة الفاضلة بعد أن تبنى به الصحة الطبيعية جزء النفس المتألم ويقتني، وكثيرون جسروا مع الآلام النفسانية والجسدانية من أهل رتب الفلاسفة باستنادهم على هذه وزاغوا من الحق الذي كانوا ماسكين وعدموا أيضاً من نظر العادة كمثل الأعين التي تبصر الخيالات في الجو لأجل ضعف بصرهم المتغشى من المواد الرطبة التي هى فيهم وكل واحد واحد منهم الشبه الذي تخيل قدامه ظن إنه هو الحق، ولما اجتمعت إلى واحد ظهر عوض واحد أشكال كثيرة موضع الحق، وعرض لهم هذا الشيء لأجل أنهم لم

يسألوا عن شعاعات النعمة التي تشرق على التطهير النفساني فالحق هو الإحساس بالله الذي بشعور حواس العقل الروحانية يتذوقه الإنسان في ذاته.

زهرة معرفة الروح هو الحب الإلهي الذي بالإفهام المتوقدة بواسطة الروح بالصلاة يكون وجدانهم (وجودهم).

الحب هو ثمرة الصلاة الذي بالتصور الذي يكون منها ينجذب العقل بلا شبع لمحبة الله إذا ثبت فيها بغير تضجر، إذا كانت تلك المحسوسة بالجسد أو تلك التي بحركات الضمير الهادئة يصلي بحرارة وحده.

الصلاة هى ميتوتة حركات الإرادة من الحياة اللحمية، .. الصلاة الحقيقية والموت من العالم على سوى .. وهذا هو جحود الإنسان بنفسه أعني أن يكون مداوماً الصلاة ومعروف هو لجميع من ينظر في الكتب ما هو طلب الصلاة الحقيقية، ومعلوم أيضاً أن الذين قبلوا عليهم الضمير الوحيد الفريدي لكي يقتنوا صلاة فريدية بسؤالهم، وأن يكون ألا يضادون ما يريدونه بذواتهم أعني يثيرون السجس على ذات أنفسهم بسبب الآلام الضدية التي بعد فروع الصلاة تتحرك في أنفسهم.

فظهر الأمر أن حب الله بجحود النفس يوجد، **كما أنه من بذار عرق الصوم ينبت سنبل العفة، كذلك أيضاً يتولد من الشبع الفسق ومن الامتلاء النجاسة، وعلى البطن الجائعة الذليلة منذ قط ما تجسر الأفكار الشغبة.** كل مأكول نأكله يكون منه زيادة في كيموس الزرع الطبيعي المجتمع في جسدنا، وإذا امتلأت الأعضاء التي هى أواني الزرع من النذير الذي من جميع الجسد يسيل إلى هناك إذا عرض له أن ينظر جسد ما أو تحرك فيه ذكر شيء من غير الإرادة مع ما يتحرك في الفكر في ساعته، مادة لذيذة تتحرك من هناك وتنطلق في جميع الجسم، حتى ولو كان الفكر شجيع جداً وعفيفاً ونقي بحركاته، لأجل ذلك الإحساس الذي في الأعضاء من وقته تضطرب إفرازه وكمثل من علو ما

ينحط من الموضع الذي هو فيه قائم، وعفة أفكاره النقية تتسخ وطهارته تتـنجس لأجـل اضطراب ذلك الألم الذي تحرك في القلب من توقد الأعضاء، وفي الحال نـصف قوتـه يذهب وينسى قصده وغرضه الأول ورجاءه وأمله، ومن قبل أن يدخل لمصاف الجهـاد يوجد مغلوباً مخصوماً من غير قتال، وما يتعب عدوه في الجهاد معه لأنه انغلب تحـت إرادة الجسد الفشل.

كل هذا يفعله الشبع الدائم ويؤذي إرادة الإنسان الجيدة، والمتدبر بالتقانة في ميناء العفة، وينحني ويخضع للشيء الذي منذ قط ما صعد على باله، وإذ هو راقد وحده مجمع أفكاره ملتبسة أشكال شغب تحيط به، ويبقى سريره الطاهر فندقاً للزواني ومقام المناظر ويفعل ويتكلم معهم بسكر الأفكار، وتتدنس أعضاؤه الطاهرة من غير أن تدنو منه امرأة.

أي بحر يضطرب هكذا ويتسجس من الراموز كمثل ما يضطرب العقل المتقن السديد بقوة الأمواج السائرة عليه في جسده من امتلاء البطن.

أيتها العفة ما أنقى حسنك بالرقاد على الأرض وألم حزن الجوع الذي يشتت النوم عنه لأجل نشوفة الجسد وخلو البطن التي مثل الجب العميق بين الأضلاع للأمعاء من قلة الأكل ونقصان الغذاء.

كل مأكول وكل نياح يتحصل داخلنا أشكال مرذولة وصور شغبة تتـشكل مـنهم، ويخرجون يظهرون لنا في بلاد عقلنا الخفي ويجذبونا إلى الشركة معهـم خفيـاً بأفعـال الفسق.

خلو البطن تكون كمثل برية قفرة للضمير، خالية من الأفكار وهادئة من كل شلس الحسابات، وأما البطن المملوءة من الشبع هى بلاد الفرجات والمناظر ومحضر السماعات السمجة تكون للنفس، حتى ولو أن تكون في البرية والقفر وجدنا الشبع يشتهي أشياء كثيرة مثل هذه.

إذا ما أوهلت من نعمة الله لعدم التألم النفساني تفهم ذلك أنه ليس ما تجوز فيك الأفكار الدنسة أو اختلاج الأفكار في الحركات في الجسم، بل إنهم لم يتمكنوا لأجل أنـك لا تقبلهم بسهولة وأن الفكر لا يتسجس ولا يضطرب بالكلية، وإن كانت هذه هى عاليـة مرتفعة جداً بل تتحقق ذلك من عمل العقل الفاضل واشتغال الفكر فيه، ما يتخلى الـذهن ليقاتل معهم ويبيدهم بل مع ما يبدءوا والأفكار ليتحيلوا ينخطـف العقـل مـن عنـدهم بتغصب ما خارج عن الإرادة، لأجل العادة ومن النعمة قد مسك ضميره في القلب الـذي هو بيت العقل.

شيء آخر هو العقل المجاهد، وشيء آخر هو ترتيب الكهنوت.

الضمير الذي بالرحمة السمائية قد مات من العالم أفكاراً سانجة فقط تكون فيه على الأمور العالمية من غير جهاد القتال، وإن كانت من حركات الأعـضاء هـى إحـساس الموت.

الكمال المرتبط مع اللحم والدم هو مملكة، ويملك على الأشياء التي من اللحم والدم يتولدوا ويفيضوا، وليس تبطيلاً يبطل خاصيات الطبيعة ما دام في الحياة التي من العناصر تختلج حركة حريتها، وأساس عقله من الأربع كيموسات يأخذ الغيار في كل لمحة.

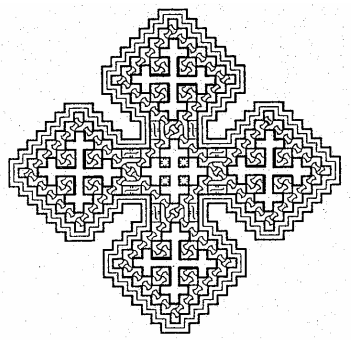

الميمر الثامن والعشرون :

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

مشـورات مفيـدة
في أنـواع التـدابير الـتي بهـا يقتني الإنسـان تـدبيراً حسـناً لذاتـه
وتحـذيرات جيـدة تفيـد في الاحـتراس وترتيـب أنـواع التوبـة

♦♦

التوبة هى أم الحياة تفتح لنا بابها بواسطة الفرار من الكل، نعمة المعمودية التي ضيعناها بانحلال سيرتنا تجددها فينا التوبة بواسطة إفراز العقل. من الماء والروح لبسنا المسيح ولم نحس بمجده.

بالتوبة ندخل لنعيمه بنعمة الإفراز التي بنا تظهر. العادم من التوبة هو خايب من النعيم المزمع. القريب من الكل هو بعيد من التوبة، والمتبعد من الكل بإفراز هو تائب محق، لأن في حال ما يبعد الإنسان من البشر وينقبض إلى ذاته من وقته يرتسم في عقله حركات التوبة وتقبل زرع الحياة من النعمة، وكمثل الجنين يتحرك فيه حزن الإفراز ويختلج بقلبه ذكر حياة العالم الجديد وانتظار القيامة، وهم الدينونة.

لا تظن أنه من دون النعمة الإلهية يقع الحزن في القلب، الذي بواسطة الموهبة يقبله خفياً برحمة الله بالندم الحار لاكتساب الحياة كقول مار أوغريس: إن العقار المطهر هو ندم النفس الحار الذي من الرب يكون بواسطة الملائكة الأطهار يعطى بالتدبير والعناية لمن يتوبون للتطهير من الآلام على نوع السياسة والعناية.

وأيضاً قال إن نار الكور هو ندم النفس الحار الذي بنعمة المسيح يصير للنفس في وقت الصلاة ويدركه الذكر بالتصور وهو ماء الحياة الذي يمنح الشفاء.

مبدأ التوبة هو الاتضاع الذي بلا تذوكر (غير المصطنع) ولا زياً كاذباً مسجساً.

التوبة هى لباس الثياب الحسنة الضوية. طريق الحكمة هـى ترتيـب الأعـضاء. طموح الجسد هو تخبط. الحكمة الحقيقية هى النظر بالله، والنظـر باللـه هـو صـمت الأفكار.

سكون الضمير هو هدوء الإفراز، اضطراب الحواس هو ينبوع الأفكار، الإحساس بالله هو عمق الاتضاع، ثاؤرية تصور الحق هى ميتوتة القلب، القلب الذي بالحقيقة مات من العالم يجعلك متحداً كلية بالله، الميتوتة الحقيقية هى التي تتحرك بالحق. أفضل لنا أن نستنشق الحياة بالبعد عن الكل، من أن نعزي الأحباء باستنشاقهم هم الحياة.

الذي يبني نفسه أخير له من أن ينفع المسكونة جميعها، أخير له أن يأخذ الحياة من أن يقسم الحياة، الذي قد ماتت أعضاؤه الخارجة فقد عاشـت أعـضاؤه الداخليـة، **المتواضع بإفراز هو معرفة الحق ومعرفة الحق هى ينبوع الاتضاع، المتضع بقلبه هـو متضع بجسده، والمنتفخ بجسده هو منتفخ بقلبه، والمضطرب بجـسده هـو مـضطرب بقلبه،** والمضطرب بقلبه هو جاهل بعقله، والذي هو جاهل بعقله رديئة هى طرقه، والذي طرقه رديئة هو مائت بالحياة.

إن كنت محباً للتواضع لا تكن محباً للزينة، لأن الإنسان الذي يحب الزينة ما يقدر يتحمل الازدراء ولا يسرع إلى الأعمال الحقيرة، لأن صعب عليه جداً أن يخضع لمن هو أنقص منه ويخجل بذلك. المتعبد لله ما تزين بالجسد، واعلم أن كل من يحب زينة الجسد هو ضعيف بفكرته، ولو أن يكون له حسنات.

وكل من يحب الربح المنظور ما يقدر أن يقتني حباً حقيقياً مع أحد، وكل من يسرع إلى الكرامة هو متعبد لهذا العالم.

إن كنت تكره فاعلي هؤلاء فابعد من فعلهم ..

الاتضاع والعفة نوع واحد يعاضدهما الذي هو المحقرة، والذي يحب الزينة والكرامة لا تطلب منه تحقيق هؤلاء.

إن كنت تحب العفة لا تكون محباً للطياشة، لأن الملافاة التي تعرض لك بواسطة الطياشة ما يتركونك أن تمسك باحتراس العفة في نفسك، لأن كل من يحب الطياشة ما يكون عفيفاً، وكل من يتشبك بالعلمانيين لا تصدقه أن يكون متواضع، وكل من يحب الله يحب الحبس والثبات في الفلاية.

إنسان طائش ما يمكن أن يحفظ الحق في نفسه بغير دنس. كثيرون يوعدون ويتظاهرون بالتوبة، وليس أحد يقتنيها على التحقيق إلا المحزون بقلبه وكثيرون يسرعون للحزن ولا يجدونه بالحقيقة إلا الذي قد اقتنى الصمت على الدوام.

كل من هو كثير الكلام ولو أن يخبر بأمور عجيبة، اعلم أنه فارغ من داخل.

الحزن الداخلي هو لجام الحواس. **إن كنت تحب الحق كن محباً للـصمت،** كمثـل الشمس يجعلك الصمت أن تنير بالله ويخلصك من تخايل عدم المعرفة والسكوت يخلطك مع الله.

في الوقت الذي فيه تحلو لك ضرب الميطانيات، احرص أن لا تجعل له انقطاع، لعله ما ينقطع منك ما دمت في هذه الحياة.

وفي الوقت الذي فيه ينجمع فكرك لا تقطع صلاتك ولا تحسب أنها باطلـة، داوم الصلاة القلبية ولا تعتبر أنها باطلة لأجل تركك المزامير، وأكثر من نطق الألفـاظ حـب ضرب الميطانيات إذا ما أعطتك هذه يد تكفيك عوض الخدمة، وإذا مـا أعطيـت فـي الخدمة موهبة الدموع، لا تحسب أن التنعم بهم أمراً باطلاً، لأن كمال الصلاة هى موهبة الدموع.

لا تتعجب إذا ما كنت جاثياً في الصلاة وفكرك فيها مجموع وحسباتك هادئة، لأن هذه تجدها وقت الخدمة ووقت القراءة، **في الوقت الذي يتشتت فيه فكرك اثبت في القراءة أكثر من الصلاة.**

الهذيذ الروحاني هو المفاوضة الدائمة في ذاك الأمل الذي من بعد القيامة.

حد التوبة هو مبدأ حركته، ضابط التوبة في النفس هى الهذيذ الدائم بالأمور المزمعة. إذا ما تحرك بالتوبة انتقل بأمله إلى للعالم الجديد والذي ينسى هذه ضميره ثابت في العالم.

الذي يحب الحديث مع المسيح يحب أن يكون وحده، والذي يريد أن يكون مع كثيرين هو محب لهذا العالم.

التوبة هى الحزن الدائم في القلب بهذيذ دائم بتلك الهيئة التي تكون في العالم الجديد، بتلك الهيئة العظيمة التي لا تفسير لها، ويفكر كيف يصل لذاك المدخل الغير منطوق به.

إن كنت تحب التوبة حب السكون لأن خارج منه ما تكمل التوبة، وإن يقاومك أحد على هذا لا تلاججه لأنه ما يعرف إيش يقول، لو كان يعرف ما هى التوبة، لكان يعرف أيضاً موضعها، إنها ليس تكمل في السجس.

إن كنت تحب السكون أبو التوبة حب أيضاً أن تقبل بلذة الخسارة الجسدانية والملامات النابعة عليك من دون هذا الاستعداد ما تقدر أن تعيش في السكون حراً بغير اضطراب، فإن كنت تحتمل أولئك فأنت تقتني السكون كإرادة الله.

إن كنت تُظلم أو يستهزأ بك أو تعدم ما هو لك وما يشاكل هؤلاء، لأجل محبة السكون، لا تنزعج لأن محبة السكون هى انتظار الموت على الدوام، والذي من دون هذا الاهتمام يدخل للسكون ويكون له فكر آخر ما يقدر يحتمل الأشياء التي من أجلها نضطر أن نصبر ونقاسي في كل مكان وأن نموت لأجل الله لكي نحيا بالله.

كمال الحياة هو الهذيذ بالموت لأجل الله، وهذه هى التي تدني عقلنا إلى الاتحاد بالله.

قال القديس أوغريس: اعلم أيها العارف ذو الإفراز إنما نحن نطلب الانقباض مع أنفسنا في الوحدة والسكون والحبس وليس من أجل عمل القوانين بزيادة، لأنه معلوم أن الشركة مع الكثيرين في المجمع تساعد على حفظهم لأجل نشاط الجسد، لأن الذي قد حس بخطاياه أخير له من أن ينفع الخليقة بمنظرة، والذي يتنهد على نفسه كل يوم أخير من أن يقيم الموتى بصلاته وسكنه وسط كثيرين.

والذي قد استحق أن ينظر خطاياه أخير من الذي ينظر الملائكة، لأن هذا بعين الجسد يشارك نظرهم وذلك بعيني النفس، والذي بالنوح يتبع كل يوم المسيح بالوحدة أخير من الذي يمدح في المجامع.

الميمر التاسع والعشرون :

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

في أنــه :
مــن أيــن يولــد في الــنفس الإحســاس الروحــاني
وإلى أيــن ترتــفــع منزلــتــه

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

ثمة إحساس روحاني يولد من الهذيذ وينعم ويفرح ويبهج النفس، وآخر من ذات نفسه ويقع في الإنسان في مبدأ هذه المعرفة التي من الهذيذ تكون ومن محبة العلم والدربة والتخريج بمفاوضة مخافة الله يهدس ويتفاوض الضمير على الدوام بشيء شيء في وقت ومن الهذيذ الحسن الذي لأجل حب الله والهم بالإلهيات.

المتفاوض بمحبة التدريب يهتم لتقويم عمله في نفسه، يولد فيه على الدوام نظرة الأمور بالروح، وإذا ما تنقت نفسه قليلاً في خوف الله، والاحتراس، فعند ذلك من ذاتها تحل في النفس من غير أن يكون له عناية بها، أعني التاؤريا الروحانية.

وفي كل وقت يصادف الإنسان في ضميره فهماً ما، من وقته يقوم الضمير بلا حركة بغتة كمثل بسحابة ما إلهية تذهله وتصمته، وثمة وقت من غير إفهام وفي وقت يقع على الإنسان بغتة وينقبض ويغوص الضمير داخله بذهول لا ينطق به.

وهذا هو ميناء كل الراحات الذي ذكره آبائنا في كتبهم: إن في وقت وقت يدخل الطبع إلى هناك، وإذا ما دنا لقرب تدبير المسيرة الروحانية، هذا هو مبدأ الدخول للمنزلة الثالثة التي هى التدبير الروحاني، ولهذا الميناء ينظر كل عمل الجسد والنفس والإفرازات المختلفة التي بهم يشقى المتوحد من مبدأ رهبنته وإلى القبر.

إذا ما قرب المتوحد إلى ههنا وصل إلى المينا ودنا من التدبير الروحاني، وهنا تعطى له أشياء مدهشة ويأخذ العربون بنعمة ربنا يسوع المسيح.

الميمر الثلاثـون :

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

كيــف ينبغــي للعــارفيـن ذوو الإفــراز الجلــوس في الســكـون

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

اسمع أيها الأخ الحبيب ..

إن كنت تريد أن لا تكون أتعابك فارغة وأيامك باطلة وعادمة من المنفعة التي يترجى العارفون ذو الإفراز لكي ينالوها في السكون.

فيكون دخولك إلى السكون بإفراز ومعرفة وليس كيفما اتفق ولا بحـسب جـري العادة لئلا تكون مثل كثيرين بل يكون لفكرك غرض وقصد وإليه صوب وقوّم كل عمـل سيرتك.

واسأل من الذين يعرفون هذا من التجربة في ذواتهم وليس من القراءة فقط، ولا تهدأ حتى تتخرج في جميع طرق أعمالك وكل قدم تضع فتش وافحص إن كنت في الطريق سائر أو زغت لبعض من السبل التي توصل إلى التوهان، ولا تصدق إن من الأعمال الظاهرة فقط يكمل تدبير السكون الحقيقي، فإن كنت تريد تعرف التجربة في نفسك وتكون لك علامات وإشارات ودلايل خفية في نفسك، كل قدم تضعه منهم تستعلم حقيقة آبائنا أو ضلالة الشياطين، وأنا أضع لك منها قليلاً لكي تتحكم في طريقك ..

إذا ما كنت في السكون وتنظر فكرك يستطيع بالحرية أن يستعمل حركاته في اليمينية (أي النافعة) بلا تغصب ولا بمحاولة التحكم في أي من نزعاته، فاعلم أن سكونك مستقيم.

وإن كنت في وقت خدمة المزامير تصنع خدمته بإفراز خارجاً عن الطياشة حسب الاستطاعة، وتنقبض الألفاظ في لسانك فجأة ويلقى على نفسك قيود الصمت خـارج مـن

الحرية، وهذه تحدث على الدوام، فاعلم أنك متقدم ناجح في سكونك وبـدأت تتـضاءف بساطته.

لأن السكون الساذج بالعدل مرذول هو، التدبير الساذج هو كمثل العضو الفريد الذي ليس معاضدة من عضو آخر محسوب عند ذو الإفراز، وإن كنت تنظر نفسك بكل فكر يتحرك فيها كل تذكار وكل منظر بالسكون تمتلئ عيونك دموع ويمطر على خديك منهم بغير غصبية، اعلم إنه قد بدأت أن تكون الكسرة في عسكر الأعداء، وإن كنت تجد ذاتك في وقت يغطس فكرك داخلك من غير أن تقتني أنت به خارج عن ترتيب العادة ويثبت دقيقة أو ساعة أو أقل أو أكثر وبعد ذلك تنظر أعضاءك كمثل أنهم في ضعف كثير، وقد ملك السلام على جميع أفكارك وهذا على الدوام، اعلم إن بدأت السحابة تظلل على المسكن، وإن كنت تمكث في السكون زمان وتجد نفسك قد تسلط عليها أفكار مشتتة وتنساق فيها بالغضب كل وقت وينجذب فكرك كل حين بالأشياء المفعولة منك قديماً، وتشتهي أن تفتش وتبحث في الأمور الباطلة، فاعلم أنك على باطل تشقى في السكون والطياشة متسلطة على نفسك ولها أسباب من خارج. أو أنك متهاون في الأمور الواجبة من داخل، فاستعمل السهر والقراءة واصلح أمورك.

وإن كنت في حال دخولك ما تجد سلامة لأجل كثرة شدة الآلام، لا تعجب من ذلك لأن حس هذا العالم إذا ما غابت منه أشعة الشمس، بعد مدة كبيرة تثبت سخونتهم.

ورائحة الأدوية وبخور اللبان إذا ما انسكب في الفضاء يثبت زمان حتى يتشتت ويبطل، فكم يا ترى بالأكثر الآلام التي هى مثل الكلاب قد اعتادوا أن يلعقوا الدم في دكان الجزار إذا ما انقطعت عنهم عوايدهم القديمة.

وإذا ما بدأ الإهمال يخلد في نفسك خلسة، وتحس بالرجوع إلى الوراء بالظلام، وقرب أن يمتلئ البيت ظلام بهذه العلامات العاجلة تحس في ذاتك خفياً إن إيمانك بدأ يضعف، وفي الأشياء الظاهرة تشره، وثقتك تنقص وتخسر قريبك، وبكل نفسك تكون

مملوءة ملامة بالفم وبالقلب على كل إنسان وعلى كل أمر وكل شيء تلاقيه إن كان بالأفكار أو بالحواس، وحتى على الرب العالي، وتخاف من مؤذيات الجسد التي من أجلها تتسلط عليك صغر النفس.

وفي كل وقت ترعب نفسك بالخوف حتى ومن خيالك تخاف وتجبن.

وقولي الإيمان لست أعني أمانة العامة التي هى أساس بل إنما أقول عن القوة المعقولة التي تنور الفكر وتسند القلب بشهادة النية، وتحرك في النفس ثقة كثيرة واتكال على الله. وإن الإنسان ليس هو الذي يحمل هم نفسه بل على الله يلقي همومه في كل شيء.

وإذا ما تقدمت أيضاً في العمل هذه العلامات والدلائل تنظر في نفسك وتحس في ذاتك بالرجاء وتتشجع في كل أمر وفي الصلاة تنجح ولا تعدم مادة المنفعة من فكرك على الدوام وفي كل شيء تصادفه تحس بضعف وعجز الطبع البشري لكي بالناحية الواحدة من هذا تنحفظ من العظمة وبالناحية الأخرى زال قريبك يهون عليك، وتشتهي النقلة من الجسد بشهوة قرب الأشياء التي نحن عتيدين أن نكون فيها.

وفي كل عارض من المحزنات المصادفة لك بالظاهر أو بالباطن تجدهم بالعدل قد عرضوا عليك بكل تحقيق مبتعد من الظنون وعلى الجميع تشكر باعتراف.

وهذه الإشارات والأدلة وضعتها للمتوحدين المحترصين المداومين في السكون الذين يريدون أن يبلغوا إلى تحقيق السيرة بتدبيرهم، أما ذوي الانحلال والمتهاونين ليسوا محتاجين إلى الدلايل الدقيقة وكمينات السقطات لأنهم بعيدين من الفضائل الخفية.

وإذا ما بدأت واحدة من هؤلاء تظهر في نفسك تميز في الوقت لأي ناحية قدمت، وفي الحال تعرف أيما نوع هى، وإلى أي ناحية قد ملت، وتعرف منزلة تدبير سيرتنا من غيار فكرنا فقط لفهمه وعلى كثرة الغيارات التي لأعمالنا لا نتكل كالبله، بل منزلة أنفسنا نعرفهما كالحكماء من التجديد الذي بالخفى نحس به يوم وعلى رتبة المعرفة.

الميمر الحادي والثلاثون :

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

عـن درجــة المعرفــة

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

أيها الأخ الحبيب ..

تفرس في ذاتك على الدوام في جميع تواتر أعمالك والضوايق العارضة لك، وبلد تصرفك القفر، ودقة لطافة عقلك مع حدث معرفتك وطول مدة سكونك مع أدوية التجارب الكثيرة التي من الطبيب الحقيقي تتواتر عليك لأجل صحة الإنسان الداخل: في وقت من الشياطين، وجبر النعمة والحرارة والدموع الحلوة والفرح بالروح، وفي وقت من الأمراض وأوجاع الجسد وفي وقت بالتخاوف والرعب بحركات نفسك بذكر الأمور المحزنة المزمعة أن تكون في الآخرة، وباقتصار متى بهؤلاء جميعهم تنظر جرحك قد بدأ يختم ويلتئم، أعني أن الآلام بدأت تضعف، فضع لك أدلة وعلامات وتعمق داخل نفسك دائماً وانظر أي من الآلام قد ضعف قدامك وأي منهم قد بدأ يسكت، وأيما هو الذي اضمحل وانقطع بالتمام، وهذه تتحققها من صحة نفسك وليس بسبب عدم المحركين لها، وعدم وجودهم ومن الفكر الذي قد تسبب وليس إلى انعدام المسببات.

وافحص أيضاً جيداً وابصر إن كانت نتونة جرحك بدأ يطلع عليها لحم حي الـذي هو سلامة النفس، وأي الآلام إلى الآن يضغط متواتراً، أو في وقت وقت وإن كان هم آلام جسدانية أو نفسانية وإن كان يتحركوا أو بضعف متوارياً أو بقوة يقومـوا علـى الـنفس بشجاعة، أو كانت ببساطة أو يتحايل للسرقة وكيف ينظر فيهم العقل الملك سلطان الحواس إذا ما قرعوا على باب الفكر إن كان يقاتلهم ويكسرهم بقوته أو إنه ما يلتفت إليهم بالكلية ولا يحسبها شيئاً، وإن كانوا فضلات الأشياء القديمة أو قد تشكلوا من جديـد، إن كانـت

الآلام بالأشكال يتحركوا أو الحس بغير أشكال أو تذكار بغير تألم أو حركة بلا دغدغـة ومجاذبة.

لكي من هذه الأمور نقدر أن نعرف منزلة أنفسنا وأين هى قائمة إن كان في المعنى الأول لا تنجح الأفكار الشريرة ولكن القتال ثابت للنفس ولو أن يظهر عليهم شجاعة وقوة نعرف معنى هذا كقول الكتاب إن داود جلس في بيته لأن الرب أراحه من جميع أعداؤه المحيطين به **" والآن فقد أراحني الرب إلهي من كل الجهات فلا يوجد خصمٌ ولا حادثةٌ شرٍّ "**

(١مل ٥ : ٤)، (٢صم ٧ : ١).

وهذا ليس من ألم واحد نفهمها بل ومع الآلام الطبيعية أعني الشهوة والغضب، ألم محبة المديح الذي يصور الوجوه ويحيل ويجذب، وألم محبة الفضة ومادة تحصيل القنية الذي تشاركه النفس خفياً، وإن لم تخضع بالفعل بل صور الأشياء بمحبة الفضة ومادة تحصيل القنية يتصور في العقل ويخدع النفس لتهدس فيهم وتوسوس بمقتناهم مع ما تبقى لأنه ليس كل الآلام يقاتلون بالمجاذبة، لأن منهم من يضغط النفس ويحزنها بالضوائق كمثل الملل والضجر والكآبة.

هؤلاء ليسوا بمجاذبة ولا بخداع ولا بالنياح يقاتلون بل أنهم يوضعوا على النفس ثقل فقط، وأما نشاط النفس ما يظهر إلا بالقتال والغلبة على الذين بخداع وملق يقاتلون.

وينبغي للإنسان أن يكون له معرفة دقيقة حاذقة وأشاير بهؤلاء ليحس بكـل قـدم يوضع إلى أين قد وصل وفي أي بلاد بدت نفسه تسلك إن كان في أرض كنعان أو ما قـد عبر الأردن.

وتفرس أيضاً من أجل استضاءة نور نفسك إن كـان فيـه كـفء لمعرفـة هـذه الإفرازات أو متعبشن (مظلم) في فهمها وإفرازها، أو بالكلية عادم معرفة هذه الأمـور لأنك تجد كلما يبدوا الأفكار بالنقاوة يخلا لطياشة العقل، موضع في وقت الصلاة.

وانظر أيضاً أي ألم يسجس إذا ما دنا العقل من الصلاة وتحس أنت في ذاتـك أن

قوة السكون قد حلت على النفس بذهول وسلامة من غير العادة تولد في الفكر وينخطـف العقل بالدوام من غير الإرادة بحركات غير متجسمة التي لم يؤذن للحواس أن تـشرحها، ويتوقد فيك فجأة فرح يجعل اللسان يصمت من شدة تنعمه بلا حدود، وتفيض من القلـب دائماً حلاوة تجذب كل حواس الإنسان بشدة ومن غير أن يحس يحـدث تـنعم وسـرور لا يستطيع لسان بشري أن يصفه، وذلك من وقت لآخر.

لكي جميع الأرضيات تكون عنده مثل الرماد والزبل ولا في ذكره يكونون، أما تلك الأولى تكون في وقت الصلاة وفي وقت القراءة، ووقت في الهذيذ الـذي هـو متـواتراً بامتداد على الدوام بهذا الفكر، ويحتر العقل. أما هذه الأخرى بالأكثر خارج عن هـؤلاء، وكم من وقت في أي عمل كان وفي الليالي بهذا القصد بين النوم واليقظة، ويكون هو نائم كمثل غير نائم، وإن كان مستيقظاً كمثل غير مستيقظ.

يتحرك هذا التنعم في جميع أنحاء جسمه حتى يظن الإنسان في ذلك الوقت أن ملكوت السموات ليس هي شيئاً غير هذا وتميز بنفسك إن كانت النفس قد اقتنت قوة لتدرك التذكارات المحسوسة بواسطة قوة الرجاء والأمل الذي قد ملك على القلب ويشجع الحواس الداخلة بقنوع لا تفسير له وإن كان يتيقظ القلب من غير اعتناء ليسبى من الأرضيات لسبب المفاوضة بغير انقطاع من العمل الدايم مع مخلصنا واقتنى أيضاً معرفة إفرازات دعوات المفاوضة.

إذا ما سمعت السكون الذي بلا انقطاع بسهولة يذوق هؤلاء للنفس بـدوام عملـه، ويبدءوا أيضاً ويضيعوا من بعد أن وجدناهم لأجل تهاون وإهمال قـابليهم، وبعـد مـدة يوجدوا. بهؤلاء يجسر الإنسان أن يقول بشهادة النية معقولاً بثقة تلك التي قالها بولس الرسول إني واثق إنه لا موت ولا حياة ولا الأشياء الحاضرة ولا المزمعة مع باقي الأشياء (رو ٨) لا تقدر أن تفصلني عن محبة المسيح، ولا ضيق ولا عري جسد ولا جوع ولا عدم أنس ولا حبس ولا سيف ولا شيئاً خطر ولا ملائكة الشيطان ولا جميـع قواتـه وصـنائعهم

المملوءة نثراً ولا المديح الباطل بخداعه وملقه الجذابة، ولا المزمات والهوان مجاناً.

فإن كان هؤلاء يا أخي يتجزءوا بقليل أو بكثير ما بدءوا أن يظهروا في نفسك، اعلم إن عملك وضوائقك وسكونك كلها شقاء وتعب مجاناً (بدون فائدة).

ولو أنك تصنع العجائب وتقيم الموتى لا تقاس بهؤلاء. وينبغي أن تعرف ذاتك وتسأل محي الكل بدموع ليرفع الحجاب من الباب لكي تنقشع سحابة ظلمة الآلام من الرقيع الداخل (السماء العليا) لتؤهل لنظرة إشراق الشمس لئلا تكون جالساً في الظلمة إلى الأبد كالميت.

السهر الدايم مع القراءة وضرب الميطانيات متواتراً فإنها بلا إبطاء تمنح هذه الصالحات للحريصين، والذين نالوا هذه بتلك قد وجدوها، والذين يريدون أن ينالوها بهذه يمكنهم نوالها، وذلك إذا استمروا في السكون مع العمل بهذه، فالعقل لا يرتبط بشيء ولا بإنسان خارجاً عن ذاته فقط بل ترتبط بأعمال الفضيلة التي من الداخل يكون عملها.

بهذه الأعمال التي تكون بذواتنا عن قريب تؤهل لهؤلاء ونجدهم في نفوسنا بالإحساس الحقيقي الذي يكون من هؤلاء جزئياً تتحقق بثبات على البقية والذين بثباتهم في السكون أخذوا تجربة طيب الله ليس محتاجين إلى قنوع كثير وليس تضعف نفوسهم بقصد عدم الإيمان كالمنقسمين على الحق شهادة ضميرهم فقط فيها كفء لتقنعهم أكثر من ربوات كلام بغير تجربة.

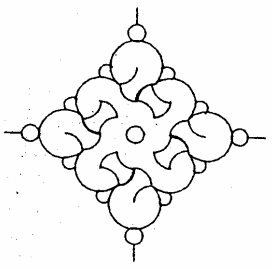

الميمر الثاني والثلاثون :

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

في المعرفة الحقانية والتجارب التي منهم ينبغي أن نعرف الحقيقات

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

ليس فقط أناس ضعفاء ومنحلين وغير دربين بل والذين وصلوا لعدم الآلام الزمني وبلغوا إلى الكمال الضمير ودنوا من قرب الذكاوة الجزئية هى التي مرتبطة مع الميتوتة ووصلوا إلى الارتفاع من الآلام كلما هم في هذا العالم بأمر الله بارتباط الحياة مع الجسد المتألم لهم الجهاد والقتال موجود ينضغطوا من الآلام بسبب الجسد وتحصل لهم على الدوام التخلية بالرحمة لأجل الخوف من حرب العظمة، فيذلوا كم من وقت بشيء شيء ويشفون أنفسهم بالتوبة ونعمة الله تقبلهم.

في جميع الطبع الناطق تحدث الميالة بغير فرز وتحدث على كل أحد الغيارات في كل الأوقات لأجل كثرتهم.

يقدر العارفون أن يفهموا بالتجارب التي تحدث لهم كل يوم وهم يحكموه بزيادة إن كانوا هم محترسين متحفظين بذواتهم وبمقتناه.

كم من غيار هدوء وذهول يقبل الفكر في كل يوم وكيف ينقلب من هدوءه وسلامه بغتة إلى الاضطراب دون أن يكون له سبب ويقع في أمر خطر عظيم لا ينطق به. وهذه كتب عنها القديس مكاريوس بعناية شديدة واهتمام لتذكرة الإخوة وتعليمهم لئلا يميلوا لقطع الرجاء في الغيارات الضدية.

الذين في رتبة الذكاوة هم قائمون يحدث لهم في أوقات مثل غيار الهـ واء، إذ لـ م

يكونوا متهاونون أو منحلون، بل إذا كانوا سائرين بحميتهم تحصل لهم عـوارض تفيـد أغراض وقصد نياتهم، ويشهد على هذه القديس مرقس من التجربة الحقيقية التي وضعها في كتابه لتثبيت الحق بتأكيد زائد، لئلا يظن أحد أنه كيفما اتفق وليس باختيار حقيقي قال الأب مكاريوس في رسالته على كل حال على فم شاهدين مثل هذين يقنع الفكـر بغيـر تشكك وانقسام لكي يتعزى في وقت الحاجة والضرورة، قال: إن الغيارات تحدث لكل أحد كمثل الرياح، افهم قوله: لكل أحد لأن واحد هو الطبع البشري، ولا تظن أنـه للـضعفاء والحقيرين فقط قاله أنه يعرض، أو إن الكاملين هم خالصين منعتقين من التغييـر وهـم قائمين في رتبة واحدة وعدم المبالة، وليس تتحرك فيهم الآلام حسب قـول المـصليين، (أصحاب بدعة) لأجل هذا أوضحها بقوله لكل إنسان.

وكيف تقول أيها القديس في وقت برد وبعد قليل حرارة، ولعل يكون برد وبعده صحوا صافياً، وهذا لتدريجنا وتدريبنا، وقت قتال ووقت معونة من النعمة، وفي وقت تحصل النفس في راموز (اضطراب وهياج) وتتواثب عليها أمواج صعبة، وأيضاً يحدث التغيير وتفتقدها النعمة، وتملأ القلب فرح وسلامة من الله وأفكار عفيفة سليمة.

وأوضح ههنا بإفصاح بقوله: أفكار عفيفة، يدل ويشير بها على الأفكار الوحشية والنجس الذي حدث قبلها، وحدد قائلاً: إن بعد هؤلاء أفكار عفيفة سليمة، وإذا تواترت العوارض على العقل لا نحزن ونقطع الرجاء، وفي وقت افتقاد النعمة لا نفتخر، بل في وقت الفرح ننتظر الضيقة.

وقوله لا نقصر إذا ما تواترت علينا العوارض، ليس أنه ما نقوم قبالهم أو أن نقبلهم بفرح فكرنا، قال ذلك كمثل أن هذا الشيء هو لنا طبيعي، بل إنه لا نقطع الرجاء كإنسان يطمع وينتظر أنه يكون بلا قتال ويحصل في نياح كامل ما فيه غيار، ولم يبقى له جهاد ولا تعب وشقاء ولا حركة بشيء من الأمور الضدية.

هذه لم يرى سيدنا أن يعطيها لطبعنا في هذا العالم لئلا نكون بطالين من التعب

والجهاد بالكمال، وبهذا الرأي الفاسد ترتخي بقطع الرجاء وتتخلف عن سيرك وجريك، بل تيقن بالحقيقة أن جميع القديسين موجودين في هذا التعب طالما هم في هذا العالم، فإنه عزاء زائد يكون لنا في الخفاء وسط الضيق، لأن في كل يوم وكل وقت ينبغي أن نظهر تحنك محبتنا لله بالجهاد مقابل التجارب. وهذا هو معنى قوله: لا نحزن أي لا نقصر، أعني لا نتضجر في المجاهدة. لأن هكذا هو ترتيب طريقنا، والذي هو مختلف عن هذه هو من نصيب الذئاب.

يا للعجب من قول هذا القديس، كيف بكلمة صغيرة حصر هذا الفصل الكثير بالإفهام؟ وطرد الشك بالكمال من فكر القارئ؟ لأنه قال: " المتخلف عن هذا هو من نصيب الذئاب " أعني يريد أن يسلك في غير طريقه، وفي دينونة هذا الحكم يقع، فإنه يريد أن يسلك وحده في طريق لم يسر فيها القديسين والآباء، فليخف لئلا تكون الذئاب القديمة المرتدين بلباس الحملان لئلا يخطفوا النفوس الجاهلة بشكل الحق لشرورهم.

وأما قوله: " في وقت الفرج ننتظر الضيقة " : هذا معناه أنه إذا وقع فـي أنفـسنا من فعل النعمة بغتة حركات ومعان عظيمة ودهش بنظرة العقل على الأشياء التـي هـى فوق الطبع حسب ما قال القديس مكاريوس: " إذا ما دنوا منا الملائكة المقدسين يملأونـا من النظرة الروحية، وجميع المضادين يهربون ويكون لنا عند ذلك سلام وهدوء لا ينطق به ".

وفي الوقت الذي تكون فيه في مثل هذه الأشياء والنعمة قد حلت والملائكة القديسين محيطين، ولأجل هذا ابتعدوا عنك جميع المجربين، لا تتعظم وتظن بنفسك كمثل أنك قد بلغت إلى الميناء الغير متحرك والجو الغير متغير، وقد ارتفعت بالكمال من وسط هذه الحوطة (المحيطين بك) وليس لك منذ الآن شيء يضاد ولا رياح منقلبة ولا بقى عدوا ولا ملاقات شيء رديء. كثيرون ضمروا هؤلاء وسقطوا في أمور خطرة كمثل ما قال القديس نيلس: لا تظن أنك أرفع من كثيرين وإنك باستحقاق مستوجب لهذه الأشياء

وآخرون بسبب حقارتهم وعدم استحقاقهم ونقص سيرتهم، إذ لا توجد عندهم الحكمة والمعرفة الكافية قد عدموا هذا وأنك أنت قد استحققت، وأنك قد وصلت إلى العفة الكاملة والدرجة الروحية والفرح الذي لا يتغير.

هنا أحضر على بالك الأفكار النجسة والصور السمجة الذين ارتسموا في ضميرك في وقت الراموز (كثرة التحرك والاضطراب) واضطرابات الأفكار السمجة التي وثبت عليك قبل قليل والظلام القائم، وكيف بسهولة خضعت للآلام وتفاوضت معها وقت تكدر الفكر، ولم تخجل من النظر الإلهي ومن المواهب ومن العطايا التي تلتها.

واعلم إن هذه لأجل توضيعنا ولكي نتضع أتت بهم علينا العناية الإلهية المدبرة كل واحد واحد بسياسة تليق به، وإن تعظم في مواهبه تخلت عنه وتركته ويسقط بالكمال في الأشياء التي بالفكر فقط كان يمتحن بها.

واعلم أن قيامك هذا ليس من حرصك، ولا من فضيلتك هو بل من النعمة حاملتك على راحات يديها لئلا يتحرك فكرك وتزل.

احضر هؤلاء على فكرك وقت الفرح، وإذا تعظم فكرك، قل أبانا الذي في السموات، وأبكِ واحزن وانتحب وتمرغ على الأرض بوجهك لأجل ذكر زلاتك في وقت التخلية لعلك (تنجى) تنجو بهذا وتقتني الاتضاع.

ولا تقطع رجاء نفسك بل بأفكار التواضع أو بتواضع الفكر تغفر خطاياك، لأن الاتضاع من غير عمل يغفر خطايا كثيرة. وأعمال بلا اتضاع تصنع ضد هذا. وهم بلا منفعة بل ويعدون لك شروراً كثيرة، ولهذا: " اغفر خطاياك كما قلت لك بالاتضاع ".

كما أن الملح يصلح لجميع المواكيل (الطعام) هكذا هو الاتضاع لكل الفضائل. خطايا عظيمة صعبة يقدر أن يمحو، ولهذا نحن في احتياج شديد له، لكي يتذلل الفكر على الدوام باتضاع وحزن وإفراز، وإن كنا نقتني هذه تجعلنا أبناء الله وبغير أعمال فاضلة

تقيمنا قدام الله، لأن من دونها باطل هو كل عمل وكل فضيلة.

ولهذا يسمح الله للعقل بالتغير، لأنه بالفكر نتفاضل وبالفكر نتنجس، وهذه وحدها كفء بدون غيرها لتقف قدام الله وتعتذر عنا. اعترف لله بغير فتور، كيف أنك طبيعة ضعيفة سهلة الميل وبمعونة النعمة سنرى إلى أين سترتفع من وقت لآخر، ولأي مواهب تؤهل؟ وكيف تصبح بما يفوق طبيعتك.

وإذا حدثت لك التخلية فإلى أي هوة تسقط؟ ويصبح لك عقل البهائم والحيوانات واذكر حقارة نفسك وطبيعتك وسهولة التغيير اللاصق بك.

حسب قول أحد الشيوخ: إذا ما أتاك فكر عظمة بنوع تذكار فضيلتك قُل لنفسك: " يا شيخ اذكر زنا فكرك الذي كان في وقت التخلية، أعني التي بالأفكار يتجرب بهم حسب سياسة النعمة إن كان بالقتال أو بالمعونة حسب ما يوافق ويليق بنا.

أنظرت هذا الشيخ العظيم كيف قيل له هذا بإيضاح: " إذا ما أتاك فكر لأجل ارتفاع سيرتك قُل: يا شيخ انظر زناك، والأمر واضح إنه إلى إنسان عظيم وجه إليه هذا التوبيخ، فإنه لا يمكن أن يتأذى بأفكار العظمة إلا الذين هم في رتبة عالية وسيرة تستحق المدحة قائمين. بأن ألم العظمة من بعد عمل فضائل كثيرة يوثب للنفس لكي يفقرها بالكلية، وتعرف هذا من بعض رسائل القديس مكاريوس: إن أردت أن تعرف في أي رتبة هم قائمين الذين يتخلى عنهم لكي يتجرب بها القديسون.

وهذا هو مبدأ الرسالة: الأب مكاريوس يكتب لجميع أولاده الأحباء وأوضح فيها بإفصاح كيف تتدبر بسياسة من الله الحروب ومعونات النعمة التي حسن بنعمة الله أن يتدربوا بها كل من هم في هذه الحياة لأجل الفضيلة بالجهاد مقابل الخطية، لكي في كل وقت إليه يشخص نظرهم، لكي بالنظر الدائم إليه ينشأ فيهم حبه المقدس وبالخوف على الدوام من هجوم الآلام ورعب الميالة يسرعون إليه ويثبتون: بالإيمان والرجاء

والمحبة.

وهذه إنما قيلت وسطرت ليس لأجل الذين هم على الدوام مباشرين الناس ويطيشوا بالدوران في كل موضع بالأفعال والأفكار الدنسة، وبالحقيقة قيلت، ولا لأجل الذين يصنعوا البر بأعمال ظاهرة خارج عن السكون الذين يصادون بالحواس في كل وقت، وفي كل حين تقيمهم في خطر السكوت بحكم الضروريات التي تصادفهم بغير إرادتهم، وبالعوارض من غير أن يفهموا أولئك الذين ليس فقط أفكارهم بل وحتى حواسهم ما يستطيعوا حفظها بالكمال، بل إنها قيلت لأجل الذين باحتراس عظيم يحفظون أجسادهم وأفكارهم ويبتعدوا بالكمال من السجس ومحادثات الناس ويرفضوا كل شيء حتى أنفسهم ويتفرغوا لكي يحفظوا عقولهم في الصلاة.

فبهذه الغيارات التي تكون من سياسة النعمة في داخل السكون الكامل، وتحت ذراع معرفة الرب يتدربون ويتحكموا من الروح خفياً بالسكون من الأفعال والنظر في كل الأشياء، واقتنوا ميتوتة الضمير من العالم.

الآلام ليست تموت بل الفكر يموت منهم، بالبعد عن الأمور ومساندة النعمة.

الميمر الثالث والثلاثـون :

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

عــن التــوبــة
في معنـــى الفهــم والتوبــة والصـــلاة

♦♦

التوبة حقيقة هى: التضرع بحزن في كل وقت بالصلاة المليئة بالندم، التي نقدمها لله من أجل غفران خطايانا الماضية، وطلب حفظنا في الأمور المستقبلة.

ولأجل هذا سيدنا أسند ضعفنا على الصلاة بقوله: **" صلُّوا لكي لا تدخلوا في تجربةٍ "** **(لو ٢٢ : ٤٠)، " ينبغي أن يُصلَّى كل حين ولا يُملَّ " (لو ١٨ : ١) " اسهروا وصلُّوا لئلاَّ تدخلوا في تجربةٍ " (مر ١٤ : ٣٨) " وأنا أقول لكم: اسألوا تُعطوا، أطلُبوا تجدوا، اقرعوا يُفتح لكم " (لو ١١ : ٩). " لأن كل مَن يسأل يأخذ، ومَن يطلب يجدُ، ومَن يقرع يُفتح له " (لو ١١ : ١٠).**

وأيد قوله بوضوح زائد وشجعنا كثيراً بالأكثر في المثل الذي ضربه: **" مَن منكم يكون له صديقٌ، ويمضي إليه نصف الليل، ويقول له يا صديق، أقرضني ثلاثة أرغفةٍ " (لو ١١ : ٥)** وقال الحق أقول لكم: **" إن كان لا يقوم ويُعطيه لكونه صديقهُ، فإنه من أجل لجاجته يقوم ويُعطيه قدر ما يحتاجُ " (لو ١١ : ٨)** هكذا علمنا أن نصلي كل حين ولا نمل **(لو ١٨ : ١).**

يا للتشجيع الذي لا ينطق به، إن الذي يعطي يجذبنا قائلاً: اسألوني فأعطيكم المواهب، وإن كان هو يدبر حسبما يوافق ويليق، ولكن كلامه هنا مملوء من كل ثقة وتشجيع عظيم، لمعرفة سيدنا أن الميالة ما قد رفعها الآن قبل حدوث الموت، وكلما هى موجودة، الغيار من الفضيلة إلى الرذيلة حاصل لأن الطبع هو قابل العوارض، ولهذا حرضنا على التضرع الدائم.

لو كان موضع الثقة في هذا العالم لكي إذا بلغ إليه الإنسان عند ذلك يرتفع إليه الطبع من التغيير ويتخلص عمله من الرعب لم يكن يحرضنا على الصلاة ويوحي بعناية.

كمثل ما في العالم الجديد ليس يقدم الناس لله صلوات وتضرعات لأجل شيئاً ما، لأن ذلك بلاد الحرية لا يقبل فيه طبعنا غيار ولا هو مسجون تحت رعب المضادات، بل هو كامل تام في كل شيء لأجل هذا ليس من أجل الصلاة فقط وعلى الاحتراس يحرضنا.

بل ومن أجل دقة ولطافة عدم إدراك الأشياء الحادثة علينا بالدوام التي تفوق قوة معرفتنا، تلك التي فيها نوجد دفعات كثيرة بغير إرادتنا كل وقت، ولو أن ضميرنا ثابت جداً ويشاء بالصلاح كل حين.

على إسقيط التجارب القتني سياسته حسب قول السعيد بولس لكي لا أتعظم بكثـرة الاستعلانات أُسلم جسدي لشماتة ملاك الشيطان ليكون يمقتني، وسألتا سيدي من أجل هذا ثلاثة دفوع ليبعد عني التجربة قال: " تكفيك **نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل " (٢كو ١٢ : ٧ - ٩)**.

لهذا يا سيدي إن كانت هذه إرادتك وهكذا هى محتاجة طفوليتنا للمعلم يؤدب وينبه، بحيث أنه لم يكن إنسان قد شغف هكذا بمحبتك مثله، ولا قد تلهف للصلاح، حتى أن العالم لم يرى أي أي له (لم يرى له نظير) بالكلية لأجل سكره فيك. الذي من أجله أوصـلته لمناظر واستعلانات ليس يقدر لسان الجسد أن يشرحها، ولكي ينظر ويسمع صوت وخدمة

الروحانيين، ولنظرتك المملوءة قدساً بالروح، ومع هذا جميعه ليس فيه كفؤاً أن يحـرس ذاته، هذا الرجل الكامل بالمسيح.

وثم شيء بعد لأجل دقة لطافته يفوق قوته هذا الذي اقتنى فكر المسيح، ولهذا كان يقول: **" لذلك أُسرُّ بالضَّعفات والشتائم والضَّرورات والاضطهادات والضِّيقات " (٢كـــو ١٢ : ١٠)**

إن كان من الطبع البشري أو من أولاد الطبع أو من أعداء الطبع، بفـرح يـصبر علـى الأمراض، أعني التجارب لتحل عليه قوة المسيح.

وإن كان مع هذا جميعه هو محتاج لعصى التجارب لكي بها ينموا بحلاوك عليه وينحفظ بالقرب منك، لأنه عارف إنه ليس عندك شيء محبوب أكثر من نفعه، بأنك رفعته أكثر من كثيرين لأجل ما أعطيته، أعني معرفة تمجيدك، شيئاً لم تعطه لأحد من الرسل رفقاءه، ودعوته إناء مختاراً مؤتمن على حفظ رتبة محبتك، ولأجل هذا كله حتى وإن عمل البشرى ينمي ويزيد إذا كان هو حراً من رباطات التجارب، ويعلم أنك تمنحه الحرية لأجل هؤلاء ولو كان هذا يوافقه.

ولكن لم تشأ أن يكون في العالم بلا ضيقة ولا هم ولم تعتن أن يزيد عمل البشرى ومناداتك في العالم أكثر من انتفاعه هو بالتجارب لكي تحفظ لك نفسه صحيحة.

انظر أيها المفرز ما أعظم موهبة التجارب، حتى ولو ارتفع الإنسان إلى الغاية في الروحانية كرتبة القديس بولس هو مفتقر إلى الاحتراس والتحفظ، والمنفعة التي ينالها من مصادمة التجارب.

من هو الذي وصل إلى بلد الثقة في هذا العالم الميتوتة المملوءة من اللصوص السالبين وحظى بعدم المبالاة التي لم تنالها الملائكة القديسين لئلا يكملوا دوننا، وهذا يتخيل أنه قد قبل هذه رتبة الروحانيين والجسدانيين لكي بلا غيار يريد أن يتدبروا ولا يدنوا منه ولا تجربة واحدة بالفكر.

لأن ترتيب هذا العالم حسب رأي جميع الكتب المقدسة هو أنه ولو أننا كل يوم نخرج ألف دفعة لا تصغر فكرتنا ولا نضجر ونتخلف من الجري في المصاف لأنه يتفق لنا أن سبب أمراً واحداً صغيراً، نأخذ الغلبة والفتك بالأعداء ونتوج بإكليلنا.

هذا العالم هو مصاف الجهاد وميدان الجري والسير، وهو وقت الجهاد وفي بلد المجاهدة وزمان الحرب والقتال لم يوضع فيه ناموس، أعني الملك على جنده، ولم يقطع فيه حد حتى تنقضي الحرب ويجتمع الكل إلى باب ملك الملوك، ويظهر هناك من الذي ثبت في الحرب ولم ينل الانغلاب، ومن الذي أعطاه قفا، لأن كم من وقت يتفق الإنسان ما يصلح لشيء وعلى الدوام من قلة دربته يوجد مطعون ملقى وفي كل وقت يكون مغلوباً، ويتفق له أن يخطف العلم من يد عسكر الجبابرة ويشتهر اسمه أكثر من الشجعان الفاتكين والمعروفين.

ويأخذ الأكاليل والهداية والمواهب أكثر من رفاقه وأجل.

من أجل هذا لا ينبغي أن يقطع الإنسان رجاءه ويقع في اليأس ما خلا أنه لا يتهاون من الصلاة ولا يمل من طلب المعونة من سيدنا، ونضع هذا في ضميرنا أنه ما دمنا في هذا العالم وسكان في الجسد ولو أننا نرتفع إلى علوا السماء لا يمكن أن نكون بلا تعب وشقاء واهتمام، وهذا بإيجاز واقتصار وما زاد عن ذلك هذه هى الخرافة.

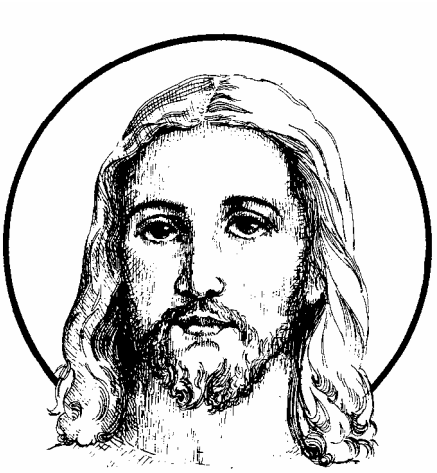

الميمر الرابع والثلاثـون :

علــى وجــع الزنــا الــرديء

الطبع المخلوق الميال إذا ما بطل وتخاف من العمل اليميني لم يثبت هادئاً، بل يرجع إلى الأمور اليسارية.

البطال من الاهتمام بالفضيلة والتسير بها بتخيل الخطية يهدس، حسبما قال واحد من الفلاسفة في سيرتنا هذه، لأنه قال: إن العقل الناطق ما يقدر أن يبطل، حتى ولو أن يكون متكمل بالعمل اليميني، حتى ولو أنه من أجل الكمال إذا بطل من عمل الصلاح، من كل بد أنه يرجع إلى الأمور اليسارية وإذا ما ابتعد من اليسارية وينجذب بالطبيعة إلى اليمينية.

وقال آخر: الذي ما يريد أن يعمل أعمال البر يضطر ليفعل أفعال الإثم.

ويساعد أيضاً في ترتيب المجاهدة والتخلف عن السقطة الظاهرة: بعد السكن، والابتعاد من الأشياء ..

ولو أنه ينجرح الحر العفيف من تسلط الأفكار ويوجد مغلوباً مخصوماً في خفيته، لأنه أوفق لنا أن نمتحن بالأمور السمجة بالفكر ولا نتنجس بالسماجة بالفعل وبالجسد لأجل عدم الشيء أو القرب منه. لأنه حسب ما نكون بعيدين من الفعل لأجل عدم وجود المادة، ولو أن الضمير يغلب ويرتخي، بسهولة نرجع إلى التوبة ونتذمر على كسلنا ونحزن ونلتفت بحرارة إلى عملنا.

فإن كنا بقرب الأمور حاضرين، وعلى اللقاء الدائم مدمنين، لأجل الأسباب التي نتصورها في أذهاننا أو بنوع العارض يستعد لنا ذلك. ولا واحدة من هؤلاء نتمكن أن نفعل، حتى ولا من الفعل نقدر أن نتمسك ولا على سقوطنا نندم، ولا لعملنا نرجع لكي نندب ذواتنا ونحزن وبالتوبة نتجدد ونطهر الفكر بالحزن الحاد.

كم من نفع ومعونة تحصل للذي هو وحده وبالتفرد يتصرف ومع نفسه وحده يسكن، ولو أنه كل يوم يسقط من الضعف بالأفكار، كل يوم ينهض ويقوم، وإذ كل يوم ينغلب، كل يوم يندم، والمعونة الكائنة من السكون يجود بها الله عليه بقوة لكي يقوم قبال أفكاره ويبعد عنه الإنضجاع ويطهر ذاته بالنقاوة لله.

لهذا ليس شيء أصلح من أن لا تنظر امرأة كلما تقدر، وإذا ما وفق لك العارض أن تصادفها لا تتفرس فيها، وحيث تكون جالسة لا تتهاون أن تقف، لأن الذي ينظر متفرساً بوجه امرأة وبتركيبها قد خضع قلبه للألم النجس، إن كان يريد أن يعترف بالحق أو لم يريد.

بكل احتراس احفظ قلبك، لأن كثيرة هى حيل هلاكك تجارتك شريفة ولصوصك

جبابرة مكرين خبثاء، وطريقك مخوفة، وطبيعتك رخوة منحلة.

ولأجل هذا يقوم عليك قتال الزنا قاتول الرهبان. ولهذا تفرس في ذاتك أيها الأخ وانظر نفسك، إن كنت تحس إن قد مات بالحقيقة إلى الانقلاب وتأملت في ذاتك إن فكرك قد ضعف في الجهاد وارتخى، وقرب من الخضوع للعدو بالسقطة مع جسد أو بتلك الأخرى التي تكون بلمس اليد لتكميل نياح الشهوة المتوقدة، أو النظر بلذة في شيء من الصور التي ارتسمت في الفكر، ويريد أن يسبيك بمداومة الكلام معها.

والنفس الشقية قد ثبتت في تغيير الأفكار وبالتراكيب السمجة التي تجذبها باختلاف الأنواع والأشكال المرخية مع ما تبقى. الأشياء التي يعرف الشيطان أن يعملها للنفس التي ارتخت للقبول باللذة.

يا أخي انظر نفسك إن كنت قد انغلبت بالأفكار، اعلم أنك ما تقدر أن تقوم مقابل الأفعال، وفي حال ما تنظر أن بالغصب أو بالإرادة دخلت الأفكار إلى البيت وبداء الطبع يتوقد ولو قليلاً، وقد حرك الأعضاء وأوقدها، أدرك ذاتك قبل أن يجزمك (يخرجك) من عقلك، والق نفسك داخل كهف ولا تتأخر.

اذكر القديسين القدماء الذين ما كانوا يشفقون على أنفسهم إذا ما عرض لهم مثل هذا في هذه الحالة. وإن كان في الشتاء والوقت ليلاً اصلب نفسك عارياً تحت السماء، وإن كان صيفاً وفي عز النهار عذب نفسك بالحر، وإن لم يكن واحد من هؤلاء ولا يساعدك الوقت على فعلها، السع الأعضاء بالنار بلا شفقة. وقل أنتم الذين تريدون أن تفعلوا النجس احترقوا بهذه النار، لأجل أنكم توقدتم خفياً بنار الشهوة تستحقوا أن تحرقكم هذه النار بالظاهر، وإن وافقك الوقت عذب جسدك بالجوع والعطش وقلة النوم.

ينبغي أن نعيش بالضيقة مع حب المسيح ولا نتنعم دفعة واحدة بالخطية التي النوم لاصق بها من قبل فعلها نحس به وابصر ما هو السبب إن كان الفعل من العارض أو من العادة، أو أنت مرتبط بأمر ما وبسببه يعذبك هذا الألم، أو من الإهمال بالسيرة، أو من ذكر قديم، أو من سماع مستجد، أو من تخيل حديث بطال لأجل عشرتك بالمعتادين

بالحديث العالمي، أو ملاقاة دائمة، أثاروا عليك الراموز (الأهوال) من عدم موافقة المسكن الذي أنت فيه، لأن الأسباب تتوافر فيه على الدوام.

تميز إن لم يكن شيء من هؤلاء .. اعلم إنها تخلية من الله حصلت لك لأجل فكر ما أو ظنون توسوست فيك أو لكي يظهر نشاطك ويختبر صبرك، سمح للشيطان أن يجربك بتلك البلايا، التي أنت بعدها عتيد أن تنال نياح كامل إن كنت تتجلد وتثبت ههنا بنشاط.

فإن كان الأمر على المعنى الأول: قوم أمرك واصلح الأشياء ولا تتركها، وليس لأجل هذه الأسباب تهلك نفسك بتدبيرك فساير أمور السقوط التي هى من عندك ويمكنك إصلاحها، اقطعها من ذاتك.

العالم جميعه معرض للهلاك لأنه محفوظ للهلاك والفساد وعفة سيرة المتوحـدين لا تتنجس ولا للمحة صغيرة، فإن كان لك زمان وأنت مستريح من هذا الألم وأنت سـائر بالعفة انظر لا تثق بعملك التعب أو كانت معيشتك في البرية القاحلة ولا تـنس ضـعف طبيعتك حتى إلى باب القبر لا تكن لك ثقة حتى ومن نفسك خف أيهـا الأخ. وإذا كنـت وحدك احذر بالأكثر ولا تهدم قلبك أبداً ولا تبعد منك الندب والحزن.

وإذا قرب وقت النوم بالأكثر اغصب نفسك للصلاة واملأ عينيك دموع وحاول واهتم لكي إذا اضطرك النوم تكون مفعم من الصلاة، وفي هذا الوقت لا تترك هذيذاً آخر في قلبك إلا الصلاة فقط لئلا يجوز في عقلك ذكر رديء أو هذيذ سمج يظهر بغتة وينظر إليه القلب بدالة.

كثيرة هى حيل السقوط، فاحذر من الثقة بنفسك لئلا إذا تحرك هذا فيك مع ضعف البشرية وحيال العدو وتحصل لك التخلية بسماح من العلو، ولا يعود يبقى لك رجاء

ولا أمل، وماذا تعمل بعد هذا العمل والاحتراس سنين كثيرة، أواه .. أواه .. إن كان بعد هذا التعب جميعه والشقاء والعمل والتضرع والبعد من جميع الراحات والتنهد الدائم في الصلاة والتضرع المتواتر إلى الله مع الدموع لأجل العفة .. وبعد هذا كله السقوط .. الويل لنا ثم الويل .. يا للحزن العظيم.

صـلاة:

" أيها الرب المملوءة رحمة يا خالقنا الشفوق .. لا تدخلنا في مثل هذا أعني تجربة السقوط فنموت بيد الشياطين، تأكلنا الوحوش، يضمحل جسمنا من الصوم والجوع، يكون سكنا القبور، نصبر على التجارب والمضغطة لأجل الحق ولا ننظر سقوطنا من الله ".

الميمر الخامس والثلاثـون :

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

علــى روح التوبــة
وكيـف تحـل في الأنفـس وتسـكن في التـائبين المحقـين
وكيـف تـفعـل فيـهـم

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

روح التوبة: إذا ما سكنت في الإنسان هذه هى فاعليتها تملأ النفس ندم وفرح .. ندم على الزلات القديمة وفرح على الخيرات المنتظرة، وتكون للتائب كمثل الأم المربية، وتشير إليه إن كنت بالحق أعطيت نفسك للتوبة باغتصاب: جميع خطاياك القديمة يغفرها المسيح برحمته ويقطعها بالكمال.

تفعل الرحمة في التائب إنه ليس يصدق بهؤلاء لئلا من أجل ثقته بالغفران يتولد فيه رخاوة وانحلال ويتخاف عن العمل ويهلك، ولكن قليلاً قليلاً حسب العمل والتوبة ومدة وقته فيهم.

وأوقات تخوفه بالرعب المحزن وبتهديد الله المخوفة وقطع القضية في الجحيم، وفي وقت تبهجه بالفرج كمثل الشعاع الذي يظهر على الأرض من وسط قتام السحاب، وتظهر له إن كان صبوراً، حد الآلام الداخلية والخارجية، وتورية الخطايا الخفية التي تعمل في الخفاء. والخطايا الظاهرة والخزي والخجل.

وتعلمه إن كنت دفعة واحدة تغصب ذاتك بالقسر وتقطع من القلب أصول الآلام الداخلة التي منها يتولد الآلام الخارجية، تنعتق بسهولة من الآلام والخطايا وتؤهل للذكاوة وعدم التألم الذي قالته الآباء.

وتحرك في قلبه حيل بها تنقهر الآلام من الفكر وتجعله يقاوم نفسه ليكمل بالغصب **جميع أعمال الفضيلة: الصوم، السهر، النسك، السكون، الحبس، وما تبقى من غيـر أن يشاء القلب.**

ويستهين بنفسه ويمقتها في كل وقت خفياً وظاهراً، ولو أنه يكمل الفضائل على الدوام، يرى نفسه كمثل كسلان ومغضب لله، وتعلمه احتقار النفس وازدراء الذات اللاذين هم سياج وحصن كل الفضائل.

هؤلاء وما يشبههم تصنع روح التوبة في قلب التائبين الحقيقيين وبهذه الاغتصابات الخفية والظاهرة وأكثر منها تفعل التوبة في القلـب، وتنقـي التـائبين وتعـدهم لقبـول روح القدس.

وأنا أشير عليك أيها التائب المتضع لأجل الحب ومن التجربة إن ظفرت بالرحمة ونقيت بالتوبة، وبدأت تلج بإدراك المنزلة الثانية، تلك التي ليس بغير معرفة وإيضاح، بل بدلائل ظاهرة تريك ذاتها محسوساً، وتؤهلك لانفعال الروح.

احترس أن لا تسيب حواسك وحفظ قلبك ونسك بطنك بل بزيادة كن محترساً بالحفظ والوداعة التي فيك، لئلا يكون ظفرك انغلاباً، وسقطتك تحذير ونهوض وقيام كثيرين، وبالأكثر احتفظ بلسانك وتضرع بدموع للمسيح أن يحرسك بغير فتور خفياً وظاهراً، ورتل مع داود بن يسى على الدوام روحك القدوس لا تنزعه عني، وبقية الكلام ..

ولو أن يتقدس القلب بحلول الروح ويؤهل لاستعلان أسرار المعرفة، فمتى أصاب الإنسان الانحلال وعدم الاحتراس ويتهاون في التدبير، وبالأكثر الشبع، ويرجع إلى قيئه الأول، يظلم أيضاً القلب بالتخلية، ويخيب من النور والحياة والنعمة.

الميمر السادس والثلاثـون :

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

علــى إفــراز المنــازل

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

جهـاد المبتدئين:

الأول: هو الطاعة بانبساط (أي سرور) ورضى وتنفيذ جميع ما نؤمر به.

أما الثاني: هو تغيير العوائد والأنواع والخفيات والتصرف المتقدم الذي بغير ترتيب الطبيعي إلى النظام الطبيعي.

وأما الثالث: هو الصبر والاحتمال بالتغصب قبال الآلام بواسطة حفظ الوصايا لكي ينسحق القلب ويتضع وينقى.

وأما الرابع: البعد عن الاضطرابات الكثيرة المفسدة والحرارة المخبلة، ويبدأ بعمل الإفراز، لكي مع الأعمال الخارجة يهدس الفكر أيضاً ويتفهم بالقوات الخفية الفاعلة في طبائع المخلوقات، ويميز بفهم الكتب.

ومن ههنا تنفتح عيني العقل ليحس بحكمة الله وعنايته وسياسته في هذا الكون.

الخامس: عقل يهذ بالتاؤريا العالية الغير متجسمة.

السادس: عقل يهذ ويتسارر بالأسرار على اللاهوت المسجود له.

السابع: عقل يؤهل لفعل النعمة بسر يفوق الكلام. وفي وقت وقت يُبتلـع بالحـب الإلهي.

كل تدبير نمسكه ينبغي لنا أن نحتر بمحبته لكي ندخل إليه بحرارة، وبهذا نذوق الحلاوة المخفية فيه.

ومن ههنا نفهم أن كل ألم قد ارتبط القلب بمحبته وشغف به بألف حيلة من الأعمال وربوات صلوات ودموع وبعد جهد تنعتق منه.

كتب القديس غريغوريوس للقديس باسيليوس إن الأفكار تنبع من الكلى من حيث تنبع الشهوة، وتتصاعد من القلب حتى تصل إلى المخ نسيب القلب بشبه بخار ماء، وهو القلب يشكلهم بتميز كالرسوم له إن كان لليمين أو للشمال.

فلهذا ينبغي علينا أن بكل احتراس نحفظ قلبنا لأن منه مخارج الحياة والموت حسب الكلمة السيدية إن من داخل القلب تخرج الأفكار الردية وبقية الأفكار الردية وبقية الكلام **(مت ١٥ : ١٨)**.

قال الغيور أعني غريغوريوس في أمور سيدنا: الذي اغتذى بالشهد وجرب أن مع الأقوال والقوانين، هو الذي يسكب جواهر الدموع على الأوراق المبهجة. وينبغي لنا ههنا الإفراز والاحتراس لنحفظ حراسة القلب من سرقة الأفكار لكي تهديهم بالسلامة، ونحفظ بيت القلب الذي هو بيت المسيح بغير أذية لعل يظهر الزهر الذي يكون منه الثمر.

إذا عرفت السكون الكامل والتدبير الملائكي، احترس من الظنون والأفكار الباطلة التي تشعل النفس إلى الأمور المرتفعة، يعرف هذه الذي جربها بذاته وإنه اسقط بها كثيرين وتأذوا بعقولهم.

واحترس بالأكثر من التدابير الشمالية المتشبهة بالتدابير اليمينية كالزوان المتشبه بالحنطة.

إن كنت تحب معرفة الحق، أنا أريك الطريق .. قوم غرضك من الكل إلى الواحد، وإذا أنت موافق وساكن مع كثيرين، انقطع من كل أحد، ولا ترتبط بشيء ما ولا بإنسان من غير ضرورة، ولا تطلب ربح زمني، حتى ولا جبتك ومئزرتك لا تشفق بل ارفضها من وقت لآخر وتكون نفسك كالصلومية (الحجر الصوان) التي كتب عنها الأب إشعياء.

أمرونا الآباء أن ليس يوافقنا ملاقاة كثيرين.

إلى أن تنصبغ بالصلاة كلية وتحل علينا قوة السكون حسب القـول أنـت يـارب تسكنني في الهدوء وحدي (مز ٤ : ٥)، إلى أن يجوز الاضـطراب والـضجر ويملـك العزاء والنعمة.

وهذه هى دلائل وأشاير الرحمة ..

إنها تهدي الحواس الخارجة والآلام الداخلة وتنبه حركات الروح، وتنقـي عينيـك من أن تنظر الشرور، ومن أثمار فردوس البيعة تستطيع أن تغتذي بالسوي من غيـر أن تكره صورة الله، وتكون كلك الجميع ملح ونور الإنجيل لجميع من يلاقيك، وتظهر فيـك أثمار الروح التي كتبها بولس الرسول (غل ٥ : ٢٢ ، ٢٣) (أف ٥ : ٢٩)، حتـى وإن ملائكة النور في وقت وقت يدنوا إليك ويملؤك فرحاً وسلاماً وعزاء وسروراً، ويعلنـون لك أسرار المعرفة.

فإن كنت قد أعطيت قفا بالإهمال والضجر وتخلفت حرارتك اجلس مع نفسك واجمع أفكارك وتميز بدقة ولطافة ما هو سبب الإهمال ومن أين بدأ وما هو الذي يبطلك من مفاوضتك الروحانية، وإن كان الموضع موافقاً للتقويم، قومه بمعرفة وإن كان ينبغي أن تقطعه اقطعه منك في الحال، ولو كانت معيشتك منه لا تشفق عليه أبداً.

وإن كنت ما فيك كفؤاً وليس معلم تشاوره في جهة أمور سيدنا، ارجع إلى أول الطريق التي منها بدأت، واعمل الفصح بمرارة، وذكر إسرائيل بخيانته وانقلابه، واضرب الغيظ بمرارة وأوجعه، وأعطه كتاباً يهذبه، وضع له صلوات الأب أوغريس مع مرارة الفصح، وفي زمان يسير يحتر وتحس بالحق وتصعد إلى الموضع الذي منه زغت وزليت، وتنظر بصعودك الثاني المنازل التي عبرت عليها في الصعود الأول.

الويل لنا إذا لم يكن للحق جولنا، أعني إذا كان القلب يميل ناحية الشمال، وحذر أيضاً آباؤنا عن هذا الذين ليس هم مشاركيك في السيرة والتدبير والغرض والفكر في ينبوع الهذيذ لا تتفاوض معهم لأنهم يعوقونك عن سيرك، وتبرد حرارتك ويتخلف جريك،

وهم ليس يلامون لأنهم يسيرون في طريق أخرى للملكوت في سيرة الرهبنة، وأنت لأجل تغير واختلاف طريقك يخيبوك من سيرك.

إن كنت محتاجاً إلى معرفة الحق المزدرعة في الكتب، تكون قراءتك الكتب بفهم وإفراز، فإننا نعلم إنه إذا انفتحت أعين ضمائرنا فكل عبارة من الكتب من اللفظ لها مجلد، وإذا ما هدسنا فيها مع صلوات ينفتح قدامنا فهمها.

وإذا قرأنا في كتب الآباء فنجد المكتوب فيها على معرفة الحق لا تطغي ونظن أن بقراءة الكلام فقط وهدسنا فيه بمعرفة نفسانية نصير بغتة داخل من أسرار سيرتهم الروحانية

لأنهم أولاً احتملوا ضوائق كثيرة مدة كبيرة، وصلبوا أنفسهم بالأعمال لأجل المسيح، وطهروا قلوبهم من جميع دنس الجسد والروح، وأشرق لهم الشعاع الممجد الروحاني، ونظروا قدس الأقداس الذي المسيح ساكن فيه، واتحدوا به بكلية الرجاء، وفرحوا به بعربون الطوبى النور الموعود به القديسين في العالم الجديد.

وكمثل رحومين كتبوا لنا أدلة وعلامات ساروا هم عليها ووجدوا كنز الحياة، ونحن الضجورين إذا ما قرأنا في كتبهم من الأدلة والإشارات التي نجد فيها، نُركب (نؤلف) تشابيه تشابه ما ذكروه، ونحن نظن أن هذا هو الحق الذي قال الآباء عنه.

وعن المسيح نادى الأنبياء وأنذروا بالسر على الحبل به وميلاده وعلى جميع تدبيره، ومن قبل ظهوره لو كان أحد يقول على الإيمان بالآب والابن والروح القدس كان عندهم صفة مجنون وعابد وثن، وكذلك نحن النفسانيون أن يقول لنا أحد على ذخيرة الحياة وعلى أسرار آبائنا الخفية نهزأ به ويكون عندنا كجاهل وكمن زاغ عن الحق.

فبالواجب كتب الرسول بولس إن الإنسان النفساني ما يقدر أن يقبل الروحانيات فهي عنده جهالة **(١كو ٢ : ١٤)**. الويل لنا من أي نعمة نحن خائبين (خاسرين)

بإرادتنا.

إذا ما فرزت نفسك للتوبة كل يوم ما يصادفك فيها محفرة لا تحسبه تام. وكل يوم ما تجلس فيه ساعة بينك ولنفسك وتتفكر بأي الأشياء أخطيت وبأي أمر سقطت وتقوم ذاتك فيه لا تحسبه من عدد أيام حياتك.

الويل للذي ما يبكي ويتضايق وينقي عيوب نفسه مادام للتوبة وقت، لأنه هناك بغير إرادته بأمواج النار.

الذي يتهاون بالصلاة ويظن أن ثمة باب آخر للتوبة هو محل الشياطين.

والذي لا يداوم قراءة الكتب .. في التيه سائر لأنه إذا أخطأ لا يشعر ولا يحس.

والذي هو متنسك في المواكيل وشرب الخمر وفي قلبه نخفي حقد وأفكار رديئة على أخيه هو آلة وأرغن الشيطان.

احذر من هذه الخلة أن تكون جالساً وأنت تهذ في أخيك لأن هذا يقلع جميع بنيان الفضيلة العظيم ولو أنك وصلت إلى حد الغاية، لأن القلب إذا هوس في الشر قسى جداً ويبقى كمثل الباب الحديد الذي ارتج.

القلب المتضع من ذات نفسه ينفتح بالرحمة.

حرية ما يتقدمها خضوع إرادي وعبودية اختيارية هى عبودية الآلام، ويسقط فيها ويقوم ولم يظهر عليها سيداً أبدياً.

كل من لا يحتر في المبدأ بعدم المعرفة ما يصل إلى عمل المعرفة، كل من لا يصل إلى الحرارة المخبلة، ويهزأ به الجهال في المبدأ ما يبلغ إلى قامة الرجل الكامل بالمسيح.

هذه منازل ومقادير تربية إنساننا الداخل الروح القدس رتبها ووضعها هكذا كمثل تربية مقادير الإنسان الخارج، هؤلاء بالطبيعة وأولئك بالإرادة.

الذي قد اقتنى الفضائل العظيمة مثل الصوم والسهر والنسك وما اقتنى حراسة

القلب واللسان في الباطل يتعب في العمل.

إذا وضعت كل أعمال التوبة في ناحية والحفظ في ناحية، الحفظ يرجح، لأن المسيح وضع فأس الوصايا على أصل الأفكار القلبية، وموسى على الأعمال المحسوسة.

إن حفظت عينيك وأذنيك لئلا يدخل ماء كدر على نقاوة نفسك لم تخطيء بلسانك.

الذي بإرادته يسهر في الخدمة والصلوات وأفكاره تطيش في أفعال أُخر فإنه باطلاً يشقى ويعمل.

طوبى لمن يكون حاضراً حيث يصلي ويخدم .. طوبى لمن اقتنى تصور الكتب وهذ فيها بفهم. طوبى للنفس التي أكلت الخبز من مائدة الله.

طوبى للذي على الدوام يحسن للناس المتألمين لأن من ههنا يشرق في قلبه نـور وحياة.

الويل للذي له وقت وإمكان ويساعده جسده ويتهاون بأعمال التوبة، لأنه يبكي وينتحب لما ينتبه ويطلب زمان الراحة ولا يجد.

زبل وماء التوبة هو الضوائق والمحقرات، وموتها حب الأرباح والكرامة والراحة.

حد تدبير سيرة المعرفة هو أن يعرف المتوحد أن يحفظ جسده مع تدبيره بإفراز لئلا يتعطل ويعثر ويسقط فيتأخر عن رفاقه.

الذي يريد أن يبتدئ بسيرة الفكر أولاً ينبغي له أن يقاس المقدار والتربية وكفءُ العقل، وعند ذلك يبدأ، فإن كان نجح وانتفلح بالسيرة الخارجية، لأني نظرت حقيقة إن من تدبير السيرة الخارجية يتولد تدبير سيرة الفكر، ومن الضوائق الخارجة تولد الراحة الداخلة، ومن الحزن والكآبة لأجل الله يتولد الفرح وعزاء النفس، وبإيجاز السلامة التي لم تتولد من الأعمال هى ضلالة.

إذا لم يبطل لساننا من تلاوة المزامير وتهليل الروح في الوقت، لم يحصل

الشيطان فسحة أن يلقي فينا سهامه الموقدة.

النفس المملوءة بالأثمار هى التي تعرت من الكآبة والضيق والعناء والضجر، ولبست اتساع النفس والسلام والفرح بالله وربطت أبواب الفكر المخبلة، وفتحت باب الحب لسائر الناس وصبرت وتجلدت ليلاً ونهاراً على باب قلبها، وطردت من داخلها قوله هذا صالح وهذا شرير، هذا بار وهذا خاطئ، وجلست على باب قلبها على الكرسي العالي، وتبصرت في أقويائها ومساعديها الذين هم العقل والضمير والمعرفة والتمييز، ورتبت وأصـلحتهم بالنقاوة لئلا يهدس أحدهم بالغضب أو بغيره وشر وإظلام النية بقتام السجس.

النفس العاقر هى التي قد لبست الحقد والغيظ وضيق الأفق والكآبة والضجر والاضطراب، وتدين قريبها بجيد ورديء.

أساس تدبير الوحدة هو الصبر والاحتمال بالتغصب وبها ينشوا ويبلغ إلى كمال تام، وهى تصلح قدامه سلم يصعد به إلى السماء.

إن كنت تخاف من الطياشة اقطع عنك الهذيذ الرديء الذي قد انجمع من انحلال السيرة، وسد طيقان الحواس التي تدخل الصلاح والشرور للقلب، لأن القلب هو ميناء لكل جيد ورديء، هذا الذي تجمعه الحواس التي تدخل من خارج ولا يقدر أن يكتم شيئاً مما قيل وألا يعطيها للذهن والأفكار لتتغذى بها.

العقل هو الينبوع الذي يروي القلب، ولا يهدأ من طياشة العادة، فإن كنت تحب استنارة الضمير التي تأتي من جمع الأفكار، فهذا يكون أولاً بالصبر القسري والتغصب، اقطع عنك كل هذيذ رديء وفلحه زماناً طويلاً، وعود عقلك بالغذاء الروحاني الذي هو تلاوة المزامير بالروح، والهذيذ بالتماجيد وتصور ما في الكتب وتفهمها، واربط عقلك بمحبة العلم الروحاني.

وكلما أنت متحفظ مصان: دربه بالهذيذ في الإلهيات، حتى إذا ما هرب من التلاوة يمضي وحده بالغصب بحكم التعود من إرادته يطيش بأمور الروح التي قد تعود بها.

رباطات النفس هى العوائد التي بها يعتاد الإنسان إن كان بالجيد أو الرديء.

سُئل شيخاً: بماذا تشبه رهبنة القدماء ورهبنة زماننا هذا؟

أجاب: إنه كان إنساناً غنياً موسراً وحكيماً، وكان يطلب المسك الخالص، ولما لم يجد الحق حسب إرادته، قطع جبالاً وبراً وبحاراً كثيرة ومضى إلى الصين وقدم هدايا للملك الذي هناك، وسأله أن يعطيه مسكاً، فأمره أن يقطعه هو بيده. وأحضر المسك وجاء وأعطاه لأولاده، وقليلاً قليلاً غشوه وخلطوا فيه الدغل، وأسلموه بعضهم لبعض حتى بقى الغش موضع المسك، وعدم رائحته، ولم يبق غير الاسم فقط.

كذلك الآباء القدامى جسروا على الحياة والموت، وذاقوا كل التجارب واحتملوا كل الضوائق، وأسلموا ذواتهم ذبيحة روحانية، وتضرعوا للمسيح بدموع حتى جاد عليهم بمواهب النعمة، وأؤهلوا لمعرفة الروح، وصاروا مسكناً لله، وصنعوا العجائب وأحسوا بالأسرار والاستعلانات واتصل السر شيئاً بعد شيء حتى وصل إلينا نحن الذين بالاسم والشكل فقط.

ليس زمان الثاؤريا هو زمان العمل وإن كانوا متصاحبين ومؤازرين بعضهم لبعض، بل إن وقت يساعدوا على التاؤريا ووقتاً على العمل، ووقت بهجة وفرح، ووقت كآبة وضجر، ووقت مرض ووقت صحة هكذا هم متوفرين الصالحات والشرور في هذا العالم.

أمور سيدنا: مريرات تتبعها حلوات، مظلمات تتبعها نيرات، محزنات تتبعها مبهجات.

وأمور العالم: حلوات مريرات، نيرات مظلمات، مبهجات محزنات.

يعرف الحق الذي في ذاته ذاق تجربة هؤلاء، وليس من سماع الأذان فقط.

الميمر السابع والثلاثـون :

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

في عظـم مقـدار التواضــع
وارتفــاع درجتــه عنــد اللــه

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

أريد أن أفتح فمي يا إخوتي وأتكلم على خبر الاتضاع الشريف، ولكن أنا خائف كمثل من يريد أن يتكلم على الله، لأن التواضع هو حُلة اللاهوت لأجل الكلمة الأزلي، الذي تجسد ولبسها وتكلم بها معنا بواسطة الجسد الذي أخذه منا.

وكل من يرتدي هذه بالحقيقة - الاتضاع - قد تشبه بالذي نزل عن ارتفاعه، وأخفى شعاع عظمته، وحجب شرف مجده لئلا تضمحل الخليقة بمنظره، فإن الخليقة ليس فيها استطاعة أن تنظر إليه من غير جزءاً منها، الشيء الذي أخذه منا وبه تكلم معنا، فإننا لم نقدر أن نسمع منطق فاه وجه تجاه وجه، الذي لم يقدر شعب بني إسرائيل أن يسمعوا صوته لما تكلم معهم من الغمام،

وكيف تستطيع الخليقة الآن أن تقبل نظره، حتى قالوا لموسى: فهو يتكلم معك وأنت أسمِعنا كلماته، ولا يتكلم معنا هو لئلا نموت. وكان هذا المنظر مخوفاً جداً، حتى أن الذي كان وسيطاً قال إني خائف مرجوف، لأنه لما ظهر على طور سينا شعاع مجده دخن الطور جميعه وتزلزل لأجل ظهور استعلانه عليه، حتى أن الوحوش لما دنت لأذيال الجبل كانت تموت (**خر ٢٠ : ١٩**).

واستعد جميع شعب بني إسرائيل بأمر موسى وطهر كل واحد واحد منهم نفسه ثلاثة أيام لكي يؤهل لصوت كلام الله ولنظر استعلاناته، ولما بلغ الوقت فما قدروا أن

يقبلوا نظر نوره وشدة صوت رعده (عب ١٢ : ٢١). والآن أفاض إنعامه على العالم بمجيئه بلا صوت ولا نار ولا بصراخ مرعب شديد، بل نزل كالندى على جزة الحملان وكالندى المنحدر بهدوء على الأرض، لأنه برأي آخر أراد أن يتكلم معنا، يعني أخفى عظمته بحجاب الجسد، لكي منا وبنا يتكلم معنا، هذا الذي نسجه خفية في بطن العذراء والدة الإله القديسة مريم، حتى إذا نظرنا المتكلم معنا هو جنسنا ما نرعب من نظرته.

ولأجل هذا كل من يتردى بهذه الحلة - الاتضاع - التي بها ظهر خالقنا بالجسد، الذي لبس فهو يلبس المسيح. لأن بالشبه الذي به ظهر لخليقته وتصرف به معهم، اشتهى هذا أن يلبس على إنسانه الداخل وبه يظهر لرفقائه.

وعوض لباس الكرامة والمجد الظاهر تزينه بالاتضاع ولهذا كل من تنظره الخليقة لابس هذا الشبه إن كانت الصامتة أو الناطقة. يسجدون له كمثل الرب لأجل كرامة سيدهم، لأنهم نظروه قد لبس هذا وتصرف به في العالم.

أي من الخليقة الذي ما يستحي من نظر المتواضع ..

حتى إلى الوقت الذي ظهر مجد التواضع، المملوء من القدس محقورة من كل أحد، والآن لم أظهر عظمته تجاه العوالم كلها كل أحد يوقر ويكرم هذا الشبه في كل موضع ينظره، لأن بهذه الوساطة استحقت الخليقة أن تقبل منظر خالقها، ومن أجل هذا أيضاً ولا على أعداء الحق هى مرذولة، ولو يكون لابسها أحقر من كل الناس، كمثل بتاج وأرجوان يتكرم بها الذي قد عرفها.

المتواضع ليس يبغض أحد ولا يحزنه بكلمة ولا يزدري به لأن سيده جعله محبوباً عند الكل وكل أحد يحبه، وكل موضع يحضر فيه كمثل بملاك نور ينظرون فيه، ويفرزون له الكرامة.

يتكلم الحكيم والمتفلسف ويسكتوه ليعطوا فرصته للمتواضع ليتكلم، وأعـين وأذان الجميع منصتة لمنطق فاه وتكون ألفاظه عندهم كمثل ألفاظ الله وسـذاجة منطقـه كمثـل

منطق الحكماء. المتفلسفين يفتشون على معنى فهمه، كلامه حلو في مسامع الحكماء أكثر من الشهد لذوق آكليه، وعند كل الناس محسوباً كالإله، ولو أنه يكون أُمياً في كلامه حقيراً في منظره.

الذي يتكلم على المتواضع بالاستهزاء والازدراء لم يحسبوه من الأحياء وكإنسان قد أطلق لسانه على الله.

وكلما يحقر هو ذاته ويُرذل في عيني نفسه تتوافر كراماته عند سائر الخليقة.

يدنو المتواضع من الوحوش الكاسرة، وفي حال ما ينظروه تهدأ وحشيتهم، ويدنون منه، ويلتجئون إليه كمثل خالقهم، يحركون قدامه أذنابهم ورؤوسهم ويلحسون يديه ورجليه لأنهم يشمون فيه الرائحة التي كانوا استنشقوها من آدم في الفردوس قبل أن يتجاوز الوصية حين تجمعوا إليه ووضع لهم أسماء في الفردوس الذي أخذ منا. وعاد سيدنا جدده ومنحه لنا بتجسده لأن هو الذي طيب رائحة جنس البشر.

وإن دنى المتواضع من الدبيب المسموم القاتول في حال ما لمسته يده أو تلمس أجسادهم، يبرد سم شرهم القاتل ويفركهم بيديه كمثل الجراد، وإذا ما قرب من الناس ينظرون إليه كمثل في سيد.

ولماذا أقول الناس، حتى والشياطين مع جميع شرور مرارتهم وافتخار قلوبهم، إذا هم دنوا من المتواضع صاروا كمثل التراب وبطل شرهم جميعه وكل حيلهم وصنائعهم.

والآن بعد ما نعتنا عظم كرامة الاتضاع عند الله والقوة المخفية فيه، نُظهر الآن ما هو التواضع وأي وقت يؤهل إليه الإنسان ويقبله بالتمام كمثل ما هو، ونصنع أيضاً فرزاً بين المتضع بالوجه، للذي قد استحق الاتضاع الحقيقي.

الاتضاع هو قوة سرية بعد تكميل كل الفضائل، يقبلها القديسين الكاملين، وليس تعطى هذه القوة إلا للذين قد كملوا جميع تدبير الفضيلة في ذواتهم بقوة النعمة، وحسب ما في الطبع من كفاءة لذلك، فإنها فضيلة جامعة كل الفضائل.

ولأجل هذا ليس ينبغي لنا أن نحسب كل إنسان متواضع كيفما اتفق بل الذين قد

أوهلوا لهذه الرتبة التي ذكرنا.

وليس كل من هو من طبعه هادئ سكين وديع مسالم. قد بلغ إلى درجة الاتضاع، بل إن المتواضع الحقيقي: هو الذي له في نفسه شيء مخفي يستوجب الارتفاع وليس يتعظم بل هو في أفكاره كالتراب والرماد.

ولا الذي يذكر زلاته وخطاياه لكي يتواضع، إذا ما ذكرهم لكي ينسحق قلبه وينحط عن حركات العظمة، ندعوه أيضاً متواضع، وإن كان هذا الأمر ممدوح جداً ولكن له بعد إلى الآن فكر العظمة، وما قد اقتنى الاتضاع بل يتحيل أن يدنو منه، وإن كان حسب ما قلت إن هذا ممدوح، ولكن ما اقتناها إلى الآن، بل إنه يسعى في طلبها.

وأما المتواضع بالكمال هو الذي ليس بمحتاج أن يتحيل بفكره أسباب لكي يتواضع، بل قد أكمل جميع هؤلاء، وقد اقتناها طبعه بلا تعب، وإذ هيَ موهبة طبيعية عظيمة ليس في الخليقة جميعها كفاية لها، وهو بالطبع قد اقتناها في داخله، وكمثل خاطئ وحقير ومرذول بعيني نفسه، وإذ هو متداخل بكل أسرار الطبائع الروحانية وكامل بحكمة كل الخليقة يعرف هذه على تحقيق، وهو عند ذاته لا يعرف شيئاً. وهذا ليس يتحيل أن يكون هكذا بل بغير تغصب بكل قلبه.

سـؤال: هل يمكن أن يكون إنسان هكذا؟ ويستطيع الطبع أن يغير ذاته هكذا؟ ولأجل هذا؟!

جـواب: لا تشك إنه قد نال قوة سرية وهى التي كملته في جميع الفضيلة بلا تعب. هذه هى القوة التي قبلوها الرسل القديسون بمنظر النار، ولأجل هذا أوصاهم سيدنا أن لا يبتعدوا عن أورشليم حتى يقبلون القوة من العلاء، الذي هو الباراقليط الذي تفسيره روح العزاء، وهو روح المناظر.

وهذا هو الذي سطر عنه في الكتب: إن الأسرار تنكشف للمتواضعين، أعني هذا روح الاستعلان ومظهر الأسرار يؤهلوا المتواضعين أن يقبلوه داخلهم، ولأجل هذا قال

واحد من القديسين: إن الاتضاع يكمل النفس بالمناظر الإلهية.

ولهذا لا يجسر أحداً يظن على نفسه إنه قد أدرك ووصل إلى منزلة التواضع في ذاته من أجل فكر واحد يصعد له في وقت ما بنوع الندم، أو بقليل فيض الدموع يخرج من عينيه.

أو من أجل حسنة واحدة في طباعه أو قد اقتناها بتغصب وقصر يظن إنه قد نال ما هو حابس كل الفضائل وحدها، وبأعمال قليلة اقتناها، بل إن كان أحد غلب لجميع الأرواح المضادة، ولم يفته ولا واحد من أعمال الفضائل جميعها، بل لأجل كل واحد منهم تعب وغلب وهدم كل الحصون الشامخة، وبعد ذلك حس في نفسه بالروح إنه قد قبل هذه الموهبة، لأن الروح يشهد لروحه حسب قول الرسول **(رو ٨ : ١٦)**. فهذا هو منتهى الاتضاع وطوبى لمن اقتناه لأنه في كل وقت يحتضن صدر يسوع.

وإن سأل إنسان وقال ماذا أصنع وكيف اقتني الاتضاع وبأي نوع استحق أن أقبله، وهوذا أغصب نفسي وأظن أني قد اقتنيته وهوذا أنا أحس بحركات عظمة تضاده تطيش (تسرح وتتجول) في قلبي. ولهذا أنا واقع في قطع الرجاء.

نجاوب من يسأل هكذا: إنه ينبغي للتلميذ أن يكون مثل معلمه والعبد كمثل سيده **(مت ١٠ : ٢٥)** انظر الذي أمر بهذه وكيف هو المانح إياها؟ وبماذا اقتناها وتشبه به، لأنك تجده يقول إنه يأتي أركون هذا العالم وليس له في شيء **(يو ٤ : ٣٠)**.

انظر إنه كيف بكمال كل الفضائل يقتني الاتضاع. تشبه بالذي أمر بها إن للثعالب جحور ولطائر السماء أوكار وابن البشر ليس له موضع يسند رأسه **(مت ٨ : ٢٠)**

الذي له المجد من جميع الذين كملوا وتقدسوا وتكملوا بالأسرار، مع الآب مرسله، والروح القدس الآن وكل أوان وإلى الأبد. آمين.

الميمر الثامن والثلاثـون :

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

في ترتيــب الســكون

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

يا ابني اغصب نفسك في الخدمة الليلية وزد فيها مزامير.

وهذا هو العمل الذي تتدبر به، أعني الاهتمام بالصلاة والخدمة، والفرغة الدائمة من العالم، والصمت بالسكون من كل الأعمال، لأن مبدأ كل شيء هو الهرب من محبة الأرباح لأن محبة المنظورات والجسد ما تترك الصلاة تتوفر.

أخير قدام الله: الهادئ المتواضع المعترف بعجزه من تكميل كل قـانون أعمـال الجسد بالانقباض إلى ذاته، وعايش بالعوز والمسكنة ومجتمع إلى نفسه، وحامل ثقـل نفسه بشكر وحزن قلب، هو أفضل من تكميل القوانين مع حياة منحلـة وانطـلاق الفـم وطموح الحواس وتسيبها.

تكون تعلم يا أخي إنه ما يستطاع لنا أن نثبت في خدمة المسيح كما يجب، إن لـم نغصب أنفسنا على هؤلاء في كل وقت وبالتصرفات التي ترضي الله. طوبى لمن يغصب ذاته على الدوام، لأن التغصب هو مبدأ الصناعة التي بها يستغني النشطاء الفائزين فـي طريق الملكوت.

الذي هو مرتبط بالآلام العالمية ليست تقبل صلاته .. كن مائتاً لكل رجاء وأمل هذا العالم وجميع آلامه، وتزين بالأعمال الجيدة، وفي وقت الصلاة يحل على نفسك وذهنك قوة الروح ورائحة طيبة تكون خدمتك قدام الله.

بمقدار ما تلقي همك على الرب وتتهاون بأمور الجسد لئلا تتعطل بسببهم من الأمور الواجبة عليك قدام الرب، على هذا الحد يظهر اهتمامه بك بزيادة.

الجبن إنما يكون حدوثه عن البرودة - الروحية – والذي يغير قبال نفـسه يـضعف أعداءه.

المشفق على ذاته يشجع الخوف على نفسه، والذي يبعد الغيرة عن نفسه يقع في البرودة، والذي يقع في البرودة يسلم لكل سيرة وتدبير ذي انحلال.

خمسة أبواب يدخل فيها الإنسان إلى إدراك كل حكمة روحانية:

الأول: القراءة والهذيذ في الكتب.

الثاني: الاهتمام بعمل الفضيلة، تلك التي تعمل في السكون المعتوق من سائر الهموم حسب الإمكان.

الثالث: تجربة الحروب لأجل الفضائل.

الرابع: قبول تجربة عناية الله الظاهرة في وسط هذه التجارب والعوارض المؤلمة، وتغير الأمور بغتة بنوع السياسة وغيرها.

هذه الأربعة أبواب بالمادة التي من خارج تقرب الإنسان من معرفة الله.

وأما الباب الخامس: (بدون واسطة المادة الخارجة) يوصل إلـى معرفـة هـى أفضل التي هى موهبة تعطى من روح القدس داخل القلب، فالذي يبحث في الكتب بإفراز، باب الفضيلة ينفتح قدامه، والذي يدخل في باب الفضيلة، باب التجـارب ينفـتح قدامـه، **ومن يدخل في باب التجارب لأجل الفضيلة، تجربة عناية الله يأخذ، ومن يدخل في هـذا الباب بالعزوات والمجاذبات التي يصادف يأخذ تطهير النفس، هذا الذي به يؤهل لنعمـة الروح القدس.**

الذي هو عادم الأوليات يخيب من الثانيات، والذي يمل من الدخول في هذه الأبواب يخيب من الذي يأتي بعدهم بلا شك.

العمل الأول هو: السكون، والعمل الأول في السكون هو الصوم، وكثيراً يصلح الصوم لعمل الله.

السكون هو: انقباض وحل الحواس من العالم والصوم هو علامة الفعولية مع الله.

العمل الثاني في السكون: هو الصلاة.

حب النوم الهادئ في السكون لأن تخيل أحلامه أخير من أفكار اليقظة التي تكون خارج عن السكون.

الملافات والجموع والمحادثات ينقضون احتراس الفكر.

لا تتكل على إنسان لئلا تخيب من النعمة، إن ألفيت اهتمامك على الرب دفعة واحدة أفقو به إيمانك.

وفي كل إفرازات تدبير سيرتك تكون متوفرة فيك عفة الجسد، فإن الجسد إذا ما عف بكل أعضائه ليس يتسخ القلب ولا يقبل أفكاراً مضادة.

هذه هى أسس فضائل القديسين، وإذا ما هى فسدت ليس يعود الإنسان يدعى إنسان الله. أكثر من حياتنا ينبغي أن نحترس بهذه ونعتني بها، ولأجلها نقاسي سائر الضيقات والأتعاب لئلا نتغرب منها.

من خمسة أسباب تتكون الفكرة الجبانة في الإنسان.

الرجل المنحل في سيرته يكون جبان، والمرتبط بهذا العالم يكون جبان، والمحب لجسده يكون جبان، والخالي من الأمانة يكون جبان، والعادم من معرفة الحق يكون جبان.

وحد جميع الكلام اسمع: لسرعة غيار طبيعتك، اذكر في كل وقـت، ولا تـتعظم بفضائلك إن كان لك فضيلة أو عمل أو موهبة أو فعل من الله، اذكـر فـضائل كثيـرين الذي غيار الطبيعة أخرجتهم من جميعها بلمح البصر.لا تثق بشيء ما، ولا تتكـل أبـداً أن لك شيئاً، ولا على ثبات تجادك في الشقاوات ولا على نار حرارتك، بل بـذكر حيـاة خائفة.

كن متضع ومحزون ومحترس من التهاون حتى من أقل الأشياء.

لتقويم السيرة يصلح السكون الدائم، الذي لم يكن مع نفسه وحده ليس يأتي إلى تقويم ذاته بالكمال.

كون الراهب مع الناس، وملاقات العالم يجب الاحتراس الزائد بالحواس، ولتعليم الجلوس والسكون في القلاية، يلزمه احتراس القلب.

الضوائق والصبر عليها يتقدمهم الغربة والتجرد والسكون والاعتياز الجسداني والوحدة، وهؤلاء يساعدوا على الصبر بسهولة، لأن الروح يعضد ضعفنا، لأن الله ينظر في اتضاع قلبنا ولا يتركنا أن نقع في شيء رديء، أو نضل منه ونهلك.

يقفوا التعب من أجل الله المعونة .. والذي يعتفي من الضوائق التي لأجل الفضيلة هو منحل وفاشل وعادم من الفضيلة ومغلوب من الشهوات، والذي يعتفي من الضوائق يعتفي من حياة البر، أعني يعتفي من الحياة الأبدية.

وباقتصار .. بالضيقات كملوا جميع القديسين وبلغوا لدرجاتهم المرتفعة.

واحدة هى المطلوبة في كل وقت أيها الإنسان التي ينبغي أن نصنع كل شيء من أجلها وهى أن نحرص لكي نرضي الله ونجده فقط، ونضيع كل شيء ونزدري بكل شيء، ونبغض كل شيء لكي نجد الواحد الذي هو لنا كل شيء.

نهتم بأن نجد الله وذلك بأن نقمع أجسادنا كما قال الرسول، وعند ذلك نجده، أعني على الحقيقة، لأن قمع الجسد من أجل الله هو مبدأ هذا الذي قلناه.

كل موهبة تكون الهذيذ المتواتر في الكتب هو المحرك عليها والمنبـه، وإن كـان من قبل أن تكمل ويثبت الضمير بالله يتخلف عنه هذا الغـذاء والمـشروب الـدايم مـن الكتب، يبرد ويضرس ويؤول إلى الملل ويرجع للرخاوة والانحلال، تميز وانظر بلطافـة ودقة بهذا، كيف يوم واحد واثنين إذا بطلت من قراءة الكتب يبرد فكرك ويـضرس مـن محبة الضيقات والأعمال وبقية الأشياء أو الفضائل، وهذا معروف عند جميـع الخـائفين من الله.

وقالوا أيضاً الآباء: إذا ما بطلنا من التذكار النافع ولو إنها ساعة واحدة، نمل من ثقل الفضيلة والسكون، وبدون الأسباب الضرورية تدخل التذكارات الشريرة علينا

ويحرضون بنا ما يخصهم، يعرفون هذه الذين جربوا التذكارات الردية والسماعات والملاقات الدائمة الغريبة من الطرق التعبة التي سار فيها القديسون، يرتخي الضمير ويظلم ويضعف.

النفس التي تسير في مصاف ميدان الفضيلة يكون معها قتالات ونعمة، ووقت نور، ووقت ظلام، وقت حرارة، ووقت ملل وبرودة. وأيضاً غيارات حسب ما قالوا الآباء ومع هؤلاء الجميع نغصب أنفسنا في هذه الأوقات لضرب الميطانيات ولخدمة المزامير والقراءة ولو لم يحلو لنا ذلك، ولو أنه يثقل علينا العمل، ولو أن أفكارنا باردة ومملوءة طياشة وأفكار غير نافعة، وبهؤلاء الجميع نغصب أنفسنا فتأتي لنا قوة من الله ونمتلئ حرارة وأفكار عفيفة وينيحونا، والمتغير عن هذا هو طريق ملئ بالذئاب.

إذا ما في طريق الفضيلة نشتهي أن نبدأ، أمرين من الأشياء نحن مضطرين إلـيهم لأن بهم ترتفع من قدامنا كل التعاويق، هؤلاء كل واحدة واحدة منهم على كل حال إن لـم تقفوا لطريقنا، ما نقدر أن نسير بثقة في طريق الله بغير تعويق وهما: **إما معرفة ضوئية نيرة، وإما حرارة حادة، من دون واحدة من هؤلاء ما يقدر الإنـسان أن يجـسر علـى الرعب التي من الأسباب العارضة على الدوام والاهتمام،** وهذا غير مستطاع بالكمـال، لأن المتراخي تخيفه أفكاره في كل وقت، المنحل هو ضعيف الإيمان يكون على الـدوام الرجل المؤمن، المعرفة تعتقه من كل خوف.

خمسة فضائل من دونهن كل رتب البشر لا يمكن أن يكونوا بلا لوم إن كان راهباً أو علماني، لأن الإنسان إذا ما اقتنى هؤلاء تخلص من كل ضرر وكان على الله محبوباً وعلى الناس، وهم: **جسد عفيف – لسان محترس – البعد من الشره والرغبة - كتم الـسر على كل أمر بغرض مستقيم إلهي – وأن يكرم كل مقادير ومنازل الناس برتبـة تفـوق منزلة ذلك الوجه، لأن من يكرم الناس يتكرم من الناس، ومـن اللـه يأخـذ المكافـأة، لأن الكرامة تجلب كرامة، والمحقرة تجلب محقرة، ومن يكرم الله يكرم من الله.**

علامتين حقيقتين أعطيك يا أخي: في الوقت الذي يؤهلك الله أن تنير من داخل تحس بهم على نور نفسك وهما فيهما الكفاية أن يدلونك على الحق، إذا ما بدأ أن يظهر في نفسك بنعمة ومراحم ربنا يسوع المسيح، استنارة الفكر الذي يقولوا عنه الآباء، فهاتان العلامتان يحققوك عليه، وكل وقت ما تجد في ذاتك هؤلاء، ولو إنك تظن أنك سائر حسناً اعلم أنك بعيد منه.

العلامة الأولى: إذا ما بدأ هذا النور الخفي يظهر في نفسك إن كل وقت تخرج من القراءة ومن الصلاة ينضبط فكرك بلفظة ما ومادة من هناك ويهدس ويفحص ويفتش من تلقاء نفسه على غرضهم الروحاني، وهكذا يرتبط بهم ولا يخرج من هناك ليطيش بشيء من الخليقة ولو لم يكن له عناية كثيرة على هذا الأمر، بل هو من تلقاء نفسه يعرض هذا الشيء للعقل إما بكثرة كليا، أو بقليل جزئياً من كل بد.

العلامة الثانية: المحققة مثل هذا أيضاً، إذا ما خرجت النفس من الظلام واستنارة من داخل: ضرب الميطانيات على الدوام يعطي للمتوحد ويحلو له الثبات فيها حتى ولو أنه يلبث ثلاثة أيام جاثياً على الأرض في الصلاة ما يعرف تعب من الحلاوة واللذة، ولا يريد أن يقوم من على وجهه لأن كل وقت يرفع رأسه ويقوم من تلك الحلاوة المتحركة في قلبه ينجذب أيضاً ويخر جاثياً وجزء قليل يكون له من الصلاة.

لأنه ما تجوز الصلاة في قلبه هكذا يحس بالمعونة ويكثر تنعمه، حتى يلتجم لسانه ويصمت قلبه ويمسك في قلبه وأعضاءه ذاك السكون الحلو حتى يظن أن ملكوت السماء ما يفاس تنعمها لسكون هذه الصلاة، لأنه يكون ملقى على وجهه ليلاً ونهاراً وهو ساكن هكذا حسب مداخلته في استضاءة العقل على هذا الحد يؤهل لضرب الميطانيات.

وأعني بقولي هذا يا إخوة ليس كالذين يستهزئون بهذه الأمور التي تكون من الله مع القديسين بسر لا ينطق به، ما هى الضرورة التي تلجئنا أن نقول الشيء الذي لا يمكننا نعته لأنه يفوق العقول.

اعط نفسك لعمل الصلاة تجد الشيء الذي لا تقدر أن تسمعه من أحد، لأنه ليس في كل أحد كفاية لسماعه، ولا كل أحد يصل لهذه: نعمة الصلاة النقية والقوة التي فيها، وإنما يكون وجودها بعد أتعاب كثيرة.

وكل وقت يتأخر عن الأسباب التي سبق أن قلناها، فيخيب أيضاً من المسبب، ولا يمكنه أن ينظر هاتين العلامتين في نفسه.

فينبغي لك أيها الراهب أن تطلب هذين الأمرين في نفسك.

كل وقت يصعب عليك ضرب المطانوات وعملهم مستثقل عندك وإذا ما خرجت من الكلام الإلهي والصلاة تكون بلا ثمرة، ولا ذكر شيء منهم يكون في فكرك وأنت طايش، اعلم أن ظلام عظيم موجود داخلك، كلما الضجر موجود عندك ما قد انفتح باب الحياة داخلك.

ودواء هذا الظلام إنما يتولد من عمل الصلاة إذا ما جاهد الإنسان وثبت فيها، وعند ذلك يحس سريعاً وفي وقت قليل بالمعونة التي تكون من الصلاة إن لم يكن له سبب من خارج، أعني اهتمام بإنسان داخل منه.

وينبغي لنا أن نعرف أيضاً بحكم الضرورة أن هذه الطرق والإفرازات التي في هذا العمل الهادئ الطيب الذي هو: السكون ليس من حيث يبدأ في سيرة السكون يجـد هـذه الإفرازات لأن أول الطريق ومبدأ السيرة هو واحد لجميع الرهبان الذي هو معروف عند كل أحد، لأجل أن **عمله ظاهر ومفترد عن غيره وهو: خدمة المزامير - الصوم الظـاهر المنظور – وأن يكون للإنسان أيضاً قراءة في الكتب،** وهذا هو أيضاً في المبدأ ما يحـس بفهم ما يقرأه ولو أن يكون معلماً فطناً جداً حاذقاً بقراءة العادة ومنطق الكلام، لأن الفهـم الحقيقي الذي هو حسب غرض الروح يكون على قدر تربية الإنسان الـداخل فـي هـذه السيرة وتقدمه ونجاحه بالتدبير الخفي.

على هذا الحد يذوق بالقوة الإلهية التي تسوسه وتدبره في وسط هذا البحر المتـسع الذي هو: السكون ولهذا حسب ما قلت: إن المبدأ واحد والطريق واحدة لكل من يتدبر في سيرة السكون.

وبعد ذلك إذا نجحوا فيه تتفرع من الطرق والـسبل التـي ذكرناهـا وأفرزناهـا، لأنه يتفق أن واحد واحد من الناس أن بجزء واحد من الأعمال يربح فيه أكثر من غيـره بما يراه من النجاح والمساهلة والتقدم فيه، وبالأكثر بمداومة معاناته إياه يحظـى بنقـاوة الأفكار واستنارة العقل أكثر من بقية الأعمال ولهذا يداوم العمل به ويجعله مترجح علـى غيره.

وهذا ليس كيفما اتفق وبنوع الهمج بل بعد تجربة كثيرة ومذاقة إفرازاتـه يـدرك ربحه وأثمار المعرفة المكنوزة التي قد ادخرها في نفسه: **إما قراءة، أو خدمة مزاميـر، وإما صلاة، وإما هذيذ، وإما ضرب ميطانيات، وإما التلاوة القلبية التي بالخفى يـصلى بها، حسب ما قيل: إن الكاملين ليس موضوع عليهم ناموس، فإنهم ما ينظـرون فـي البشر ولا في أنواع وعوائد البشرية، وكل عمل يبدءوا فيه بتحقيـق وخـوف يعملـوه وليس بتهاون، لأجل هذا يعانون وينجحوا إلى قدام.**

خوف عظيم هو ومرعب جداً أن بوجه دالة أو بنوع حرية ندنوا برخاوة إلى الله، لئلا بغتة يصادفنا حكم مقضي في هذا الموضوع، أما تحس أيها الشقي قدام من أنت واقف؟! ولمن تذبح حركات عملك؟! ألعلك ما جربت الآن قساوة الله إذا ما أراد أن ينتقم من المستحقرين به وكم هو شديد في غضبه ومحتد ومملوء من الغيرة في وقت ما يثور، وليس يرجع ولو أنك تسأله كثيراً، لأنك بمثل هذه الخدمة وهذه الصلاة المرتخية والزي المتهاون بالجسد تريد أن تصلي.

لأن الذين ليس لأجل المكافأة والأجرة بل لأجل المحبة يعملون قدامه يؤهلهم لعزاء كثير، أما الذين لأجل المكافأة يعملون ويصبرون على الضوائق والمحزنات وبقية الضواغط من أجل سيدنا يفرحوا أولاً، وبعد ذلك إذا ما عملوا قليلاً ولم يتعزوا حسب

أملهم، رجع أمرهم إلى الملل والضجر وصغر النفس، وما يضعوا في قلوبهم أن الضيقة من أجل الله هى لهم عيد عظيم.

ولو إننا نبقى إلى انقضاء حياتنا بلا عزاء بغير انقطاع، والذي ليس بهذا القلب يقبل الضوائق ويتجلد من أجل الله، ولاحقاً أيضاً ولا سيدنا يقيمه ويجمعه إليه كمثل الخصيص به، ولا يجد داخله موضع للصبر، بالحق إن الذين يزرعون بالدموع بفكر غير محدود كالبنين بفرح يحصدون أكثر عن ما كانوا يتأملون بضميرهم.

إذا ما جاس الإنسان في السكون باحتراس وتحفظ وليس من يدخل إليه ويخرج، من بعد ضجر كثير بالسكون يتولد فيه قليل من اتساع القلب، ما يكون له سبب معروف.

طوبى لمن يصبر على الضجر الذي هو اختبار فضيلته الخفيـة وتربيـة الفكـر ونشوءه واحتمل على رجاء نعمة الله.

إن لم يضعف الجسد بأعمال إرادية ما تنير النفس، وتقوم في حسن طبعها، وإذا ما أشرقت في النفس معرفتها تطلب الجسد قرينها أن تفرغ فيه (تتغلغل فيه) وتمجد الخالق. وإن كان الجسد تخلف بالكلية هى أيضاً النفس تتعطل وتبطل من فعلها وتبقى كالصنعة في يد الصانع من غير آلة.

وبحسب رأي أشير على التائب الحقيقي: اتعب جسدك جزئياً حتى يتقوم، واجلس ليلاً ونهاراً على باب قلبك، واقتل وعذب بلا رحمة - مقابل العدو - حسب الكلمة السيدية إن من القلب تخرج الصالحات والرديات.

كما أن البناء الذي يبنى بالنهار ويهدم بالليل لا يصل إلى النهايـة، هكـذا سـيرة السكون التي تعمل بالأسابيع والسبوت في سبعين سنة لا ينجح ولا تخرج ثمار الروح التي كتب عنها معلمنا بولس، وعمل ونسك من يتعب ويشقي نفسه ويقتل نفسه بـاطلاً ثـلاث سنين في سكون دائم كلي بغير تشتت، ولا انتقال مع تكميل واجباته وهو في الحبس فـي قبر القلاية ومستتر من حركات هذا العالم المسجسة، حتى تنسى الحيل والأنواع والعادات،

وتنصرف كلية مفاوضات هذا العالم وينهض الإنسان الجديـد متـشبهاً بـصورة خالقـه وينفخ فيه روح العزاء الخفي، أفضل من سكون سبعين سنة بتشتت، يهدم ويبني، ويهـدم بلا قيام.

رأس النفس: هو الإيمان الحقاني مع المعرفة الحقيقية.

رأس السيرة المتقنة: هو الغرض المستقيم مع صلب الإرادة مقابل الآلام بوسـاطة عمل الوصايا.

بدء تدبير السيرة المتقنة: هو الميتوتة من كل مفاوضات الوجوه بشهوة الأمور الإلهية، لأن من هؤلاء يتولد داخل العقل حب وحرارة لتدبير السيرة الحقانية.

حرارة النفس تتولد من القراءة الدائمة في تدبير السكون المقرون بأعمال الصلاة المتواترة.

مبدأ الصلاة الحارة: والتي تكون من الحرارة الطبيعية، دهش الصلوات إذا ما امتزج بالقراءة الدائمة بإفراز يوصلونا إلى هذيذ العقل، ومن الهذيذ الروحاني الذي للعقل يتولد فينا انجماع الفكر، ومن جمع الفكر يتولد العتق من الطياشة، ومن اتفاق هؤلاء تتولد فينا الصلاة الخفية ومفاوضة العقل.

إذا ما كان بتغصب وانجذاب ينحفظون واجبات السكون ويتربوا بالنعمة، بإرشاد الأب الروحاني، في مدة من الزمان تنمحي من القلب الصور والرسوم والتذكارات الغريبة التي هى خارج عن سيرة السكون، وتصطبغ النفس بالفضائل الكبار الرئيسات الذين هم: السلام والاتضاع والهدوء والحب والطيبة والفرح والعزاء الروحاني.

وهذه الفضائل يرسموا في النفس الصلاة الروحانية ومن موافقة هـؤلاء يؤهـل بالرحمة إلى اتحاد العقل بالله والإحساس السري الذي للعقل، ومن هذا الموضع بوساطة إيمان النفس وكلية المعرفة بالرجاء يجود علينا إنعاماً بما هو فـوق الطبيعـة: عربـون حريتنا، دالة وثقة البنوة، بشهادة النية.

الميمر التاسع والثلاثـون :

****

علــى صــلاة الحــب الإلهــي

****

صلاة الحب الإلهي: هى سكون العقل الذي قد ارتسم بالله وينتبه ويلغلغ خفياً بلا فتور بإحساس العقل، **وإن كانت درجة الحب الإلهي أرفع من الصلاة،** ولكن من دون الصلاة والتضرع الدائم والدموع المحزن، واشتياق القلب مع السهر والأعمال والنسك ليس ينجح.

الراهب الذي في زمان الطاعة والخضوع، اختار لنفسه الراحة والحرية، في زمان الحرية الحقيقية: بالعدل يبكي ويجوع ويشقى بالندامة وينضني.

الراهب الذي في زمان الحصاد وشمول الفرح يملك عليه الندم والكآبة، هو شاهد على ذاته أنه في أوان الزرع والخضوع والعمل لم يغصب نفسه أن يحتمل ويصبر شدة البرد والجليد، ليشق بالمحراث خطوط عميقة في أرض قلبه، ويطمر فيها زرع خبز الحياة، وهو الآن يشقى بالجوع في الحصاد.

أعمال التوبة والصلوات والدموع، باتضاع وكـسر القلـب لـيس يقلعـون الآلام والخطايا فقط من النفس بل ومن الموت يقيموها.

حفظ الحواس يقطع الخطايا، حفظ القلب يقطع الآلام، الذين هـم آبـاء ومولـدين الخطايا.

الراهب الذي يحارب قبال الآلام بعمل الوصايا لكي يقلعهم من القلب ليس تهدأ النعمة من أن تساعده خفياً.

بالقراءة المفرزة اجمع عقلك من الكل، وقم إلى الصلاة.

وفي وقت الصلاة وجه نظرك إلى البشارة وانظر الصليب والمسامير والحربة واحزن وتنهد وابك واعجب من الجموع الصارخة: اصلبه، اصلبه، وأنصت لمخاص الكل كيف يصرخ بنوع الصلاة: يا أبتاه لا تحسب عليهم هذه الخطية، وتشبه به أكثر من قوتك وابدأ بالصلاة والدموع.

عقل المتوحد هو المسيح، وأمانته: رجاء المواعيد وعلامة الحب له هى حفظ وصاياه، وعمله الجهاد مقابل الآلام، وغلبته هى استئصال ذكر هذا العالم، وتمييزه: تمجيدات العالم الجديد، والفلك الذي به تدخل النفس وتحل هو نور عدم التألم، وتريدات قلبه: سذاجة معرفة الصيادين.

الاتكال على البشر يمنع كلية الاتكال على المسيح، والعزاء الظاهر يمنع العزاء الخفي، والاهتمام بالعالم يضيع الاهتمام بالله، وذكر العالم يضيع ذكر الله، وفرح العالم يخيب الإنسان من الفرح الإلهي.

وهكذا حسب كيفية ما يكون الراهب متفرد مستوحش من الناس يخدم من العناية الإلهية والملائكة القديسين.

اعتن لكي تحس بتغير الأوقات التي فيها يدنو إلينا في الصلاة الملائكة القديسين، أو الشياطين الأنجاس، وما المنفعة أو الخسارة منهم.

إن كنت تريد أن تحس بالمنازل التي هى داخل منك كن صغيراً مزدرى بعيني نفسك من الكل فيكون رجاؤك عظيم بالله.

محاسن الصلاة هى: الاغتصاب، الصبر، الاحتمال، طول الروح، والتجلد، وعدم قطع الرجاء منها.

الصلاة هى: صراخ العقل الذي يصرخ من غير الإرادة من حرقة القلب.

الميمر الأربعـون :

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

في حــدود تــدبيـر كــل ســيـرة الوحــدة

♦♦

يا ابني إن كنت تريد بإفراز أن تسير حسب قول السيد **في الطريق الذي كثيرين بدءوا وقليلين أكملوا،** من بعد أن تقوم بهؤلاء وتوفى واجبات المعرفة النفسانية جزئياً وعرفت أن تفرز الحق من تشبه الضلال .. ابدأ بطريق الصلب باغتصاب وتكبد واصبر على جميع ما يأتي عليك عام وخاص كمثل أنه لك، وكمثل من أشلاهم هو نفسه وحركهم على الجهاد.

يا ابني إن سلمت نفسك لله، أسلمت ذاتك لجميع التجارب .. وما تبقى، اصلب ضميرك وأفكارك مقابل الآلام بوساطة عمل الوصايا بتغصب وقسر.

بدء تدبير سيرة الصلب هى: الصبر بتغصب والانقطاع من كل محادثات الوجوه بالمحبة للصلب، وتكون بغير اهتمام وعدم ذكر كل جيد ورديء، وبغضة الكرامة، والصبر بشجاعة على الظلم والعار والهزء كمثل ذاك الذي هزءوا به بالصلب وهو يعطي الحياة للعالم.

المتوحد الذي بإرادته يحب عدم التألم وقطع في فكره بغضة لجميع الآلام والشهوات، ويبدأ بالجهاد مع الآلام والشر، فليعد نفسه ليحتمل بالإرادة الضوائق المختلفة والتجارب المتواترة، والعوز مع ربوة من الشرور، لئلا إذا ما أتوا عليه بالسياسة خارج عن إرادته يتسجس ويتذمر، ويتغصب بلا شكر يكابدهم، ويرجع ألم الطبع يصير مادة لألم الحزن، ويكون عمله فارغ من النقاوة.

لأن العالم المتألم ذي الميالة ليس يجلب لهم كرامة ونياح بل بما يضاد هؤلاء يشقيهم ويضايقهم ويشبعهم ازدراء وعار ومحقرة في سائر الأنواع حسب ما يسمح له.

مخامرة قد أقام على العالم المتألم الميال المملوء آلام، هو الراهب الذي يريد أن يكون غير متألم عند الآلام الذين هم إله هذا العالم، لأن عدم تألم القديسين هو فوق الطبيعة قبال الآلام والخطية، ومن دون إنعام ومراحم وعون سيدنا يسوع المسيح بالخفي والظاهر لم يتقدسوا بالروح.

يا من يريد أن ينصب سلم عقله لكي يصعد بسيرة الفكـر مـع يـسوع لـصليب الحياة، لا تضل نفسك، بل كمثل ما جربوا آباءنا وسلموا إلينا: مخافة الله تتقدم محبة الله، وصلب المعيرة والبصق والمرارة والحربة يتقدموا لصلب الحياة. ومرارة السيرة تتقـدم لفرح السيرة، والضجر والكآبة والملل وعجز القلاية يتقدموا سلام القلايـة، والحـروب والتجارب والضواغط وضيقة السيرة التي بها يتصفى الراهب ويختبر يتقـدموا لأثمـار القلاية.

وعبودية الآلام وعمل الوصايا تتقدم تدبير سيرة الحرية وترتيب الحواس، وحفظ القلب يتقدم لسيرة العقل.

المحبة التي تكون قبل المخافة هى زنا، لأنها بدغدغات بشهوة اللذة تخدع النفس وتسبيها بحب السيرة المرتفعة بغلوة حرارة حركات وتخيل العقل، لكي يصعد إلى صليب الحياة قبل طرد الآلام، وهذه هى التي سطرت من الآباء: إن الذي من قبل الوقت يريد أن يصعد على الصليب غضب الله يأتي عليه، لأن أمور الرب من تلقاء أنفسهم يأتوا إن كان بلد القلب طاهر غير دنس.

إن كان بالحقيقة تريد أن تصعد إلى صليب الحياة أيها الحبيب: أولاً عوم واسبح في الكتب بالكلية، واجعل قلبك فردوس الكتب وعقلك ينبوع الحب وغذِ نفسك بمذبحين الأول على سياسة الله وحكمته المملوءة إفرازات، والثاني: على تدبيره في جميع الأجيال.

وإن كنت تتضايق من حدة حركاتك ودقة فهمك، أوفِ دين معرفة اليونانيين جزئياً واعجب من عمل صبرهم وكيف كانوا عادمين من معرفة الحق، واشكر الله الذي اهلك للإيمان بالمسيح مجاناً، الذي كثيرين من الملوك والأنبياء اشتهوا أن ينظروا أو يسمعوا الشيء الذي نحن نظرناه وسمعناه ونستريح عليه ولم ينظروه، لأن بواسطة الإيمان بالمسيح استحققنا لمعرفة المجد والحق، وبإيمان الثالوث المقدس أخذنا ذخيرة البنين التي بها ندعو الله أبانا السماوي.

من الإيمان لبسنا سلاح الروح لكي نعمل فوق الطبيعة بتدبير سيرة الملائكة القديسين. من الإيمان بالمسيح استحقينا لهذه النعمة لنكون ورثة الله وبني ميراث يسوع المسيح، وإذ نحن في جسد متألم ميال، نحس بالعربون الموعود به للقديسين في النور.

بر المسيح عتقنا من بر العدالة، وبأمانة اسمه تخلصنا بالنعمة، وتبررنا مجاناً بالتوبة.

البس السلاح الغير مغلوب الذي هو الإيمان والرجاء والحب وابدأ العمل.

اقرأ لكي تعمل، وافهم لكي تؤمن، **وتصدق لمواعيد الروح، ضع كنزك في السماء لتثبت بالرجاء، أرسل خبزك بالسواء على وجه الماء بغير فرز، بالشفقة على الصالحين والطالحين لتكون نفسك مسكناً لله.**

وانصاب مقابل الآلام وأسرع في طلب سلامة قلبك واحرص بالتغصب أولاً لكي تُغير الشيء الذي هو خارج عن الطبع، إلى الشيء الطبيعي. وبدل أنواع العوائد والتدابير المتقدمة بالتقانة وتهدي وحشية الآلام بعمل الوصايا.

لا تثبت مع أي فكر كان ولو أنه حقير نزر لئلا تتأسس فيك عوائده، واضطرار العادة يجعلك عبد ذلك الألم.

المتوحد الذي يخدم الآلام هو تلميذ الآلام، واضطرار عادة معلمه تغصبه ليكون كمثل معلمه من غير إرادته حسب كلمة السيد كل ملك ولو أنه حقير فهو فاتك في بلده وقوي، وكل ألم ولو أنه صغير في بلده يظهر سلطانه.

العوائد تشجع الآلام، والأعمال تؤسس الفضيلة، سلاح الآلام والفضائل هو تغيير العوائد والخاصيات، العوايد هم مطالبين بما تقدم ورباطات النفس وبالسهولة تقنيهم، وبالصعوبة تنحل منهم.

الآلام والفضائل الذين ما تأسسوا بمدة من الزمان بالاعتياد هـم كمثـل الـشجاع العاري من السلاح، والأنواع والعوايد الذين قد عتقوا في الإنسان يكملـون لـه موضـع الطبع.

لا تترك عادة تتأصل فيك، وتُردد أفكار بغير قيام لئلا تتجدد فيك الآلام الـذين قـد اهتدوا قليلاً.

الهذيذ بأمور كثيرة هو غذاء النفس، إن كان صالحاً أو طالحاً أو مختلطـين مـن هؤلاء وأولئك.

الهذيذ بالواحد هو الانحلال مـن الكـل والانحـلال مـن الكـل هـو الارتبـاط بالواحد.

إن كنت مشتاقاً لسلامة القلب ونياح الضمير الذين هم ثمار شجرة الحياة، اقلع من قلبك شجرة معرفة الجيد من الرديء الذي أُمر مبدأ جنسنا أن لا يذوق منها لئلا يموت، لأنه إنما تولد سجس في النفس وتقلع السلام من القلب.

كل ما تفحص وتستقصي في خصوصيات الإخوة وتدابير سيرتهم، فبالضرورة وطبيعة الحال ستقع في خسارة وتعثر وإذا لم تشعر ستجد نفسك تلوم سايس ومدبر الكل بتشامخ، وتزكي نفسك كالمجنون.

إن كان لتدبير الصلب أعددت قلبك واستعدت نفسك وحملت عار الصليب وتجري في تبع يسوع بن الله، احذر من معرفة الأفعال ومن فخاخ المعرفة المخفية عن يمين سيرة الصليب وشماله.

وإذا ما استنار عقلك في السكون بأعمال النسك، احذر من معرفة أهل أثناس (أثينا) الكثيرة الأبواب التي تخدع وتجذب النفس إلى الهلاك بكثرة اهتماماتها.

متى استنارت معرفتك بإفهام الكتب وتفسير الأسرار المخفية فيهم، احذر من الظنون والعظمة والجدال وطلب المراددات مقابل كل البدع ومن فرز الدعوات وتغير الألفاظ وبقية هذه الأمور، واتبع ببساطة الإيمان كمثل من قد أعد نفسه للصلب كتعليم الصيادين المستقيم، وسر في أثرهم بهذيذ عقلك على الدوام.

فوق العقل هو الإحساس الإلهي الذي أنت تتشوق له، وإن كان جناحات معرفتك يطيروا يميناً أو شمالاً ليعوموا في سائر العلوم، ليس يرتفع عقلك إلى العلو ليحس بجو الحرية الذي قالت عنه الآباء.

الهذيذ الذي على الدوام يرعى في مزج العادة، وينتقل من ذكر إلى ذكر، ومن فكر إلى فكر، ومن فهم إلى فهم، إذا ما ارتبط بسكة هذيذ واحد إما صلاة أو تزمير، أو بصمت العقل، يتضيق وينضنك، واضطرار العادة يقطع حبل الصبر ويمضي يرعى بطياشة كعادته، هكذا والعقل الذي له مدة وقد اعتاد بهذيذ واحد، متى يرعى بالانتقال يتضيق واضطرار العادة تجذبه إلى حلاوة الواحد.

محبة العلم التي ليست مملحة بيسوع، وبإفهام كتب الروح القدس وبتغيير منازل العالم الجديد، وبتدبير سيرة النسك ليس تقطع الآلام بسيف الوصايا.

النفس المحبة للأشياء الجديدة ليست تشبع، وقلع قلبها مصلوب لكل ريح ليرجع على كل أمر يجذبه العقل.

الراهب الذي حدة حركات معرفته واستضاءة فهمه بالكتب تجعله حافظ تواريخ، ويردد الأفكار بغير قيام، ويخيبوه من مفاوضته الروح والاتحاد مع يسوع .. ليس هو مفروز من الغنى الذي غناه أفرزه من ملكوت السماء **(لو ١٢ : ١٦ - ٢١).**

على خمسة ثاؤريات مقدسة أمرنا الآباء ليطوف العقل الإلهي:

١ - إن لم يقبض العقل ذاته ويتحد بالواحد ويسكر بحبه ويبتلع بمحبته، يكون طائشاً طوافاً.

٢ - جمع الفكر والاتحاد مع يسوع، وصمت العقل فوق الطبيعة. تقيم الذهن في الدهش، ومن دون فعل الروح لا تكمل بطول الزمان.

٣ - اقلع من قلبك رسوم كل الصور وكل شكل وكل فكر وكل ذكر الهيولانيات، ليقبل عقلك رسم الحب الإلهي وحده.

٤ - ارسم يسوع في عقلك بغير انتقال كمثل المجدلية، فيعظم شأنك على كل من يسير معك، أواه من البطالة التي تشتهي لما لا يوجد وتبغض ما يوجد.

٥ - بالأكثر وفر عمل الصلاة والهذيذ والقراءة على العقل، لكي يهتم بما يخصه وليس بما هو خارج عنه.

المتوحد: هو الذي قد وجد داخل منه عزاء خفياً، أو وجع يؤلمه على الدوام، وليس فيه كفؤاً أن يفرز الأشرار من الصالحين، والصديقين من الخطاة، ولا يحس بالكرامة ولا المحقرة المستعارة من الخارج.

العقل الذي ذاق السر، واغتذى تذكاره مدة بالسر وارتسم في القلب مثل الطيب، بصمت العقل يفوح لذته بالنفس النقية.

ثاؤريا وإفهام من القراءة والهذيذ اللطيف العميق، غاصـوا وابتُلعـوا بالأسـرار الإلهية، ويدخلوا ويغوصوا العقل والذكر داخل من الأفكار بحلاوة ما، وهكذا أيضاً حتـى الذكر والحواس يطمحوا ويتسيبوا في الطياشة يلقون العقل والأفكار في الأباطيل.

بعد جهد تجد قليلين وأفراد يرذلون غنى العلم الذي اقتنوه وجمعوه، ويختاروا عليه تدبير سيرة الصلب، ويحبون بساطة الصيادين، وبسذاجة قلوبهم يكونوا أكاليل جواهر في تاج الملك.

إن كنت تحب سيرة السكون - الوحدة - الملائكية وتدبير الصليب وفرح العقل بالمسيح، أيها الأخ الحبيب، لا تلق ذاتك في أمور كثيرة، ولا يخرج فكرك خارج من فردوس الكتب أبداً.

إن كانت الطياشة بالجسد هى ردية، بمائة ضعف أردأ منها طياشة النفس، هذه هى مرضاة الله: أن نكون أنقياء كمثل ما خلقنا فنحن نحزنه إذا ما غيرنا الشيء الذي خلقنا هو عليه، النفس هى بصورة الله ونحن الذين غيرناها، فيها استطاعة لكي تنظر الله وليكون لها عنده دالة، ونحن الذين غيرناها وأضلناها أن لا تتعبد لله بل للآلام.

ما أردأ هذا الأمر الذي هو الخضوع للآلام، وحسب مقدار الآلام التي تتعبد لهم النفس، فكذلك تكون أسيادها ما دام الإنسان ثابت بالآلام فليس هو عبد الله بل عبد لآلامه.

التواضع: هو أن يحسب الإنسان نفسه أقل وأحقر من كل أحد، وهذا يكون من كل قلبه كتعليم سيدنا: **" تعلَّموا منِّي، لأني وديعٌ ومتواضع القلب "** (**مت ١١ : ٢٩**).

ينبغي على الإنسان أن يبتعد من جميع الأسباب التي تجلب له مجد بطال، ويشتهي الأشياء المتواضعة ويستعملهم على الدوام.

ولربنا وإلهنا المجد دائماً أبدياً. آمين.

الميمر الحـادي والأربعـون :

****

رســالة كتبهــا إلى أخ يحضــه فيهــا علــى محبــة الســكون

****

حب السكون يا أخي بحرص لأنه فيه تجد نفسك الحياة يكون نظرك إلـى ذاتـك ولا تتركه خارج عنك، **لأنك مادمت تنظر إلى غيرك ما تبصر نفـسك.** وإن أنـت رددت نظرك إليك استطعت أن تبصر نفسك.

هدئ حواسك الخارجية حتى يمكنك أن تسكت الداخلية.

لا تهتم بالأشياء الباطلة حتى تكنز لنفسك المغفرة. هدي نفسك من الاهتمام الباطل لتجد نفسك الفهم.

اجمع نظرك إليك حتى تفحص نفسك المعرفة.

حب سكوت الإفراز لأنه ينبوع المعرفة، لأن العقل بالسكوت ينقى والرأي بالصمت يستنقى.

لأن السكوت يكسب الحكمة، ويجمع الحواس للمعرفة.

يا أخي انتبه لذاتك دائماً لأنك فيها تجد العلم.

وإن أنت أحببت الخلطة فقد أبعدت عنك سترك.

لا تتنازل مع المتراخين وإلا صيرت نفسك في الدرجة السفلى بل تكون مناجاتك مع محبي الخير لتكون سكناك معهم في العلاء، وكذلك أيضاً في المواضع التي فيها المعرفة العليا، هناك يكون مقامك بشجاعة.

إلى بلادة الضوء تعالى، ولا تتنازل عند الخطاة لأن حياة الحكماء مضعفة، لحال أن مناجاتهم مع الفوقانيين بالروح، لأن الحكمة رجاء الروح تصنع للذي يقتنيها.

وكذلك أيضاً ملاكاً لابساً جسداً يصير الإنسان الذي يتدبر بالمعرفة بين الجهال، وكمثل الضوء في الظلمة يضيء بنوره بين المائتين، لأن الذي استضاء هو يضيء لقوم آخرين لأن ضوءه معه دائماً، والذي قد عرف ضوء الأنفس هو يدل قوماً آخرين، وإن كان قد عرف المعرفة الحقيقية فهو يصير عينا لقوم آخرين.

والذي بإفرازه قد وجد خلاص نفسه، هو قادر أن يرد الذين طغوا وهلكوا، **وما دام الإنسان ما قد وجد خلاص نفسه ما ينفع قوماً آخرين،** وما دام خيره مخفي عنه، ما يقدر أن ينيل خيراً لآخرين، وما دامت نفسه مخفاة عنه فهو أعمى في العالم وكذلك ما دام لا يبصر ذاته، ما ينظر في هذا العالم شيئاً.

لأنه ليس بنظر الجسد يبصر عالم الروح، لأن النظر الحقيقي إنمـا هـو للـنفس لا غير، لأن النفس تنظر كل شيء على حقيقته بمعرفة، لأن النفس تنظر بغيـر اخـتلاط بالجسد، والجسد إذا نظر بلا عقل فهو كشبه البهيمة والنفس بغير الجـسد تنظـر نظـراً روحانياً.

وكذلك أيضاً العقل والنفس هما أيضاً ليسا مرتبطين بشيء، لأن النفس وإن كانت ساكنة في الجسد ولكن معرفتها هى في الكل، وإن كانت مرتبطة في الجسد فأفكارها منحلة عنه، وكذلك إن كانت متكتفة مع هذا الجسد الثقيل ففرحتها مع الروحانيين، وإن كانت على هذه الأرض محوية في هذا الجسم فهي تزرع دائماً في السماء.

وإن كانت محبوسة في هذا الوطاء - أي الرباط - فمع الفوقانيين تحسب هى، وإن كانت داخل هذا الجسم فهي تطير بأجنحة خفيفة، وإن كانت مشتركة مع البرانيين الترابيين فهي مختلطة مع الروحانيين لأن لها أجنحة خفيفة مثل السيرافيم ومعهم دائماً تمجد الخالق وتسبحه إن هى اختارت.

فاجمع نفسك يا أخي واحرص أن يكون مسكنك عند سيدك، ارفـع أجنحتـك مـن الأرض واطلع إلى البلادة التي استعددت لها، لأن هناك يشاء الخـالق أن يكـون سـكناك دائماً.

لأنه هو إليك مشتاق وعطشان لرؤياك، فاطلع كلم خالقك لأنه يحب كلامك وحديثك أفضل من المراتب العالية، وهو مشتاق إلى صوتك أعظم من تسابيح الروحانيين، وهو يحب الترابي أفضل من مجمع النورانيين ويفرح بحسن هذه الأقوال عنه أفضل من بهاء السيرافيم، ويحب صورة الإنسان أفضل من شعاع السمائيين، وسماجة آدم الذي خلقه أحسن من كل الخليقة بين يديه وأفضل عند الخالق من الكل.

فلك يريد أفضل من الكل، وأنت أكرم عنده من الكل أعنيك الخـالق الـذي خلـق الكل.

لأنه لمحبته لك أتى ليطلبك، فأخرج أنت في طلبه لأنه تنازل عند حقارتك حتى تتعالى أنت إلى علوه، وأظهر نفسه للسفليين لكي يرفعك إلى بلادة الحقيقية، فالمحبة التي أتى بها إليك فبها أسلك أنت أيضاً وامض إليه.

في تلك الطريق الذي نزل بها بلادك، بها تعالى أنت إلى علوه لأنه سكت في الأحشاء وبعد ذلك خرج وخاطبك، فاختر أنت السكوت مثله حتى تختص أنت بمناجاته.

ولأن الرب سكت في الأحشاء وبعد ذلك في خروجه خاطب بني البشر، فاسكت أنت من اضطراب جسمك، وبعد ذلك تكون مخاطبتك مع الروحانين، فليكن سكوتك مثل الطفل في أحشاء أمه، ومنه تولد الكلمة، ومن السكوت تأتي للكلام مع خالقك.

من السكوت خرج وتنازل وأتى إلى عندك، فاسكت أنت من المناجاة وبعد ذلك تقدر تقرر أن تهدئ أفكارك لأنه ما دامت خلطتك كثيرة فأفكارك تائهة.

فقلل خلطتك من الكثيرين حتى تقتني فكرة جيدة، واقطع حديثك مع المائتين حتى تتعلم أن تتحدث مع الأحياء.

واجمع نظرك من كل منظر حتى تتفحص في خالقك وعظمته.

وإن أنت صرت ساكتاً مع نفسك فأنت تحس بالسكوت الإلهي، وإن أنت سكت وانقطعت من حديث الكثيرين تنظر بعد ذلك إلى تسبيح خالقك.

وإن صرت متوحداً في مسكنك تصير وحيداً في فرحك لأنك ما تقدر أن تفحص في منظر خالقك الفرح إن لم تبعد من الناس وتبعد نظرك وأفكارك منهم.

لأنك لا تجد أحلى من خلطتك مع الرب، ولا تجد ألذ وأنعم من حديثه ولا تجد كلمة خيراً من كلمته.

فأحبب كلامه حتى تتحكم، لأن كلمة الرب شهية للذي يقدر أن يسمعها، لأنه ليست كل أُذن تقدر أن تسمعها وتقبل هذا التعليم الروحاني.

لأنه ولا كل فرجة (أي التفريج من الفم) تساوي ذلك الوجه المملوء من كل فرح، لأن كل حسن في الدنيا ما يساوي حسنه ولا يستطيع البشر أن ينظره لأن الله هو محبوب عند الذي قد أحس به ومحبته عنده تثبت.

فإن الذي قد أحب الله وأحس به، هو وحده فقط يحب الله والبقية كل منهم على قدر رتبته ويخدمه بمخافة ومن السماع لله المرهوب.

فأما الذي قد جرب محبته فهو أحب من الكل.

إلى وقت التجربة خف، ليس الذي يحفظ وصاياه يخاف، فالتجربة أوصلت صاحبها إلى المحبة التي لا ينطق بها.

صورة الأنبا أرسانيوس

الميمر الثاني والأربعـون :

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

رســالة أرســلها لأحــد تلاميــذه في معنــى الســكـون

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

يا أخي اضطرني الواجب أن أرسل أعرفك عن الأشياء الضرورية بهذه الرسالة كمثل ما أوعدتك، كذلك أعرف محبتك بأني وجدتك تريد أن تسير بالوجب والتحقيق في هذه سيرة السكون والجلوس الفريدي وأنا أيضاً بما سمعته من العارفين على هذا العمل بأني أجمع رأيهم وكلامهم، مع ما باشرته أنا بالتجربة والفعل وأضعه لك بإيجاز من الكلام، لكي أنت أيضاً إذا قرأت تنفع ذاتك بكلام هذه الرسالة، لأجل كثرة حرصك والاجتهاد الموجود فيك، لأنك بتمييز وحكمة تدنو من قراءة رسالتنا هذه خارج من سياق العادة وكمثل تنوير تستعملها في باقي القراءة من أجل الإفهام المتواترة والقوة المخفية فيهم ..

ما هو الجلوس في الوحدة ..
وعمل السكون ..
وأي أسرار مكتومة في هذا العمل ..
ومن أجل ماذا يرذلون البر المصنوع بين الناس ..
ويختاروا الضوائق والجهاد في الجلوس الفريدي بالسكون ..

أن تريد أن تجد الحياة الغير فاسدة في أيامك هذه القصيرة .. **دخولك إلى السكون ينبغي أن يكون بإفراز** وفتش وافحص عن عمل السكون ما هو، ولا تجري بالاسم فقط

بل غوص وانقبض واهتم بلجاجة لتدرك مع القديسين ما هو ارتفاع هذا العمل وعمق هذه السيرة.

وكما أن الناس كل فعل يريدون يبدءون بعمله لهم فيه قصد وغرض هذا الأمل الذي ينتظرونه يحرك فكرهم أن يضعوا أساساً لذلك الشيء وغرضهم فيه هو الذي يشجع فكرهم على مقاسات الضواغط الموجودة في العمل والعز الذي ينتظرونه منه كمثل شيء ما ضابط يمسك العقل إلى أن يكمل الفعل هكذا أيضاً هو عمل السكون الجليل ميناء كل الأسرار العارفين لهم فيه قصد وغرض وإليه يشخص نظر الفكر في حين يبدأ بوضع الأساس إلى أن يكمل حد البنيان في كل أعماله المديدة وصعوباته.

كمثل عيني النوتي التي ترصد النجوم، هكذا يكون نظر المتوحد شاخصاً داخله في كل تدبير سيرته وجري طريقه حسب الغرض والقصد الذي وضع في فكره من اليوم الأول، الذي بذل نفسه للمسير في بحر السكون الحرج إلى أن يجد الجوهرة التي من أجلها ألقى نفسه في لجج هذا البحر الذي ليس له قرار، وانتظار أمله يخفف عليه ويهون ثقل العمل والضوائق الخطرة والمصاعب المصادفة له في هذه السيرة.

والذي من مبدأ دخوله للسكون ما يوضع لنفسه هذا القصد والغرض وإليه يصوب كل استعمال عمله، بل بالهمج أو كيفما اتفق يعمل، فهو كمثل من يرعى الريح ولم يتخلص أبداً من روح الضجر كل أيام حياته، **واحد من أمرين يعرض له: إما إنه ما يقدر يتجلـد لثقل صعوبة الحبس ويخرج من السكون بالكلية، أو إن تجلد وثبت فيه تكون قلايته لـه مثل سجن، وينقلي فيها،** لأنه ما يعرف أن ينتظر العزاء المتولد مـن الـسكون، ولا أن يطلب بوجع قلب ويبكي بحزن في الصلاة ويشتاق لشيء ما ليجده، الشيء الذي أشـاروا إليه آباءنا المملوئين رحمة ومحبة لأولادهم، وضعوا أشايره في كتبهم لاستعمال حياتنا.

وما هو: قال أنا هذه منفعتي من السكون: أنه إذا بعدت من المعسكر الذي أنا فيه جالس، يتفرغ عقلي من استعداد القتال ويرجع إلى عمله.

آخر قال: أنا أجري بسرعة السكون لكي تحلو في قلبي ألفاظ القـراءة والـصلاة، وبلذة إفهامهم يصمت لساني وكمثل في نعاس نوم أقع بانقباض حواسـي مـع حركـاتي وبمداومة السكون يهدأ قلبي من الملاقاة واضطراب التذكارات ويطلق على بغتـة علـى الدوام أمواج الفرح التي من معاني الحركات الداخلة التي من غير انتظار تفـيض بغتـة لتنعيم قلبي.

وهؤلاء إذا ما أحاطوا بسفينة نفسي يأتون بها من سجس هذا العالم ومن حياة هذا الجسد البائدة ويغرقوها في دهش السكون الحقيقي بالله.

وآخر قال: السكون يقطع الأسباب التي تجدد الأفكار وداخل حصنه يبيدهم وينسى التذكارات المتقدمة، وإذا ما بليت المواد القديمة وانتسوا، عند ذلك يرجع العقل للتقويم الطبيعي.

آخر قال: مقادير خفاياك افهمها من إفراز معاني حركاتك على الدوام وليس أقول بما يحصل عارض أو في وقت ما ويبطلون لأنه ليس لابس جسد ما يخطر له طارق في بيته من الغيارين الجيد والرديء، إن كان هو من النشطاء العمالين لأجل ضعف الطبيعة أو من العجز أو من الطبع نفسه أب الأولاد، وإن كان من المتهاونين بالأشياء العالية لأجل ضمير النعمة الذي ألقى في طبيعتنا من أجل أننا تجنسنا بجنس المملكة المرتفعة.

آخر قال: اختر لك العمل المنعم الذي هو سهر الليل على الدوام لأن به تعروا الآباء من الإنسان العتيق واستحقوا لبهجة العقل لأن في هذه الأوقات تحس النفس بتلك الحياة الغير مائته، وبإحساسها بها تتعرى من لباس الظلمة وتكون قابلة الروح.

آخر قال: ما يقدر الإنسان إذا عاين وجوه كثيرة وسمع أصوات مختلفة غريبة من هذيذه الروحاني، ويتحدث ويتفاوض مع مثل هؤلاء، أن يتفرغ عقله لينظر في ذاته بالخفى

ويتذكر خطاياه ويهدم أفكاره ويرصد ما يأتي عليه ويتفاوض بالصلاة خفياً وأن يقمع الإنسان حواسه تحت سلطة النفس من دون السكون والبعد من الناس لأنها اتحدت بهم النفس العاقلة واشتبكت بالأقنوم ومع حركات الجسد ينجذب، إن لم تكن متيقظة بالصلاة الخفية.

آخر قال: السهر أيضاً مع الصلاة والقراءة عندما يكون بانتباه ينعم ويفرح ويبهج وينقي النفس ويعرف هذا على وجه التحقيق الذين تدربوا بهذه السيرة مدة حياتهم بالنسك الحقيقي.

وأنت أيها الأخ محب السكون تمسك بهذه الأشاير التي من كلام الآباء، وضعها قدامك كمثل الأماج - الهدف - وإليهم صوب كل تدبير سيرتك. وقبل كل شيء تحكم - كن حكيماً - بالأشياء التي توافق غرض عماك التي من دونها ما يمكنك أن تثبت في معرفة الحق، واحرص بهم واظهر تجلدك.

السكون هو سر العالم الجديد، الكلام هو أرغن وآلة هذا العالم.

الإنسان الصائم بطبع الملائكة الروحانيين يجرب نفسه أن يتشبه بهم في سكوته وصومه الدائم.

يتميز الإنسان المداوم على العمل الإلهي في خفايا قلبه لأن بهذه الأسرار تكمل الخدمة المملوءة أسرار إلهية، وتقديس الأزلية سيدة العوالم جميعها. والناس الذين افرزوا في وقت ليدخلوا داخل الأسرار الإلهية بهذه الرسوم انطبعوا ومنهم من أؤتمن على تدبير شعب عظيم، وبعضهم أؤتمنوا على العناصر بالسلطة عليها، وبعجب سائر طبائع الخليقة انخضعت لأمرهم ومنهم للخفايا المستترة بصمت سيد الكل لتجديد العامة أؤتمن ليظهر.

لأنه ليس ينبغي لبطن متخم ملآن، وعقل طائش متشتت من الشره تتحرك هذه الأسرار وتخدم.

بل ولم يتجاسر الآباء القديسين للمفاوضة مع الله والارتفاع إلى خفايا أسراره، بل بضعف الأعضاء، ولون مصفر من ألم الجوع وعقل هادئ قد رجع إلى مذاقه بالتجرد من جميع الأفكار الأرضية.

إذا مكثت زمان داخل فلايتك وأنت متسير بأعمال تعبه، والحفظ الخفي والقمع لحواسك من كل ملاقاة ومصادفة حينئذ تحل عليك قوة السكون:

أولاً: تصادف ذلك الفرح والبهجة التي بغير سبب في وقـت وقـت تملـك فـي نفسك، وعند ذلك تنفتح عينيك وتنظر صنعة الله وحسن الخلائق حسب كيفيـة نقاوتـك، وإذا ما انجذب العقل بدهش هذه النظرة: الليل والنهار يكونوا عنده واحداً، بدهش تمجيـد الله.

ومن هذا الموضع تسترق حاسية الآلام من النفس بلذة هذه النظرة، وبها تدخل إلى درجتي الاستعلان المعقولة الموضوعة في الترتيب بعد هذا .. من الذكاوة وإلى فوق.

فاضي

فاضي

ثانياً : القسم الثاني

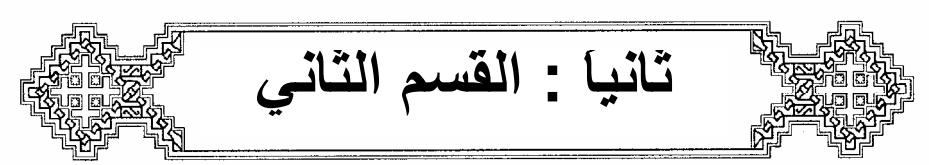

الجزء الثاني
من نسكيات
القديس باسيليوس
أسقف قيصرية الكبادوك

إصدار دير السريان ١٩٦٠ م

١ ـ هل تُعطِّل الصلاة العمل؟

✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦✦

- عبادة الله ليست محبة الكسل أو الهرب من التعب.
- بالعمل نقمع الجسد ويمكن بعملنا أيضاً أن نساعد المحتاجين وخاصة المرضى.
- الذي لا يعمل لا يأكل. خبز الكسل مذموم. الحيوان أفضل من الكسول.
- للعمل وقت، وللصلاة والتسبيح وقت. وأيضاً يمكن للإنسان أن يعمل بيديه بينما يتحرك قلبه ولسانه بالتسبيح والترتيل والشكر.
- الصلاة لا تمنع العمل. وأيضاً العمل لا يمنع الصلاة.
- ترك العمل في أوقات صلوات الساعات لاجتماع الإخوة فيها معاً.

سألوه قائلين:

هل ينبغي التواني عن عمل اليد من أجل الصلاة؟ وأي الأوقات التي تليق فيها؟ وهل العمل أوجب؟

فأجاب:

إن ربنا يسوع المسيح يقول إن: **" الفاعل مُستحقٌّ طعامهُ "** (مت ١٠ : ١٠) والرسول أيضاً يأمرنا أن نتعب ونعمل بأيدينا لكي نجد ما نعطيه للمحتاج (أع ٢٠ : ٣٥).

فيجب ألا نفكر أن عبادة الله صارت لنا حجة في الكسل، أو سبباً في أن نهرب من التعب. لكي يمكننا نحن أيضاً أن نقول مع الرسول: **" في تعبٍ وكدٍّ، في أسهار مراراً كثيرةً، في جوع وعطش ... "** (٢كو ١١ : ٢٧).

✣ ✣ ✣

هذا نافع لنا كثيراً. ليس من أنا **نقمع الجسد** ونصيره عبداً فحسب، بل ومن

إظهارنا المحبة نحو رفيقنا. إذ نهيئ للمرضى من إخوة المسيح ما يحتاجونه كقول الرسول في الإبركسيس: **" في كُلِّ شيءٍ أريتكُم أنَّهُ هكذا ينبغي أنَّكم تَتعبونَ وتُعضدُونَ الضعفاء، متذكرين كلمات الرَّبِّ يسوع أنَّهُ قالَ: مَغبوطٌ هو العطاءُ أكثرُ مِنَ الأخْذِ "** (أع ٢٠ : ٣٥).

وقال أيضاً: ليكون لكم ما تعطون المحتاج لكي تستحقوا أنتم أن تسمعوا هذا الصوت: **" تعالوا يا مُبارَكِي أبى... "** (متى ٢٥ : ٣٤).

✣ ✣ ✣

وقال الرسول أيضاً: **" إن كان أحدٌ لا يُريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً "** (٢تس ٣ : ١٠)، وبما أنه من الضروري أن يطعم الإنسان كل يوم، كذلك أيضاً يلزمه أن يعمل كل يوم لقوته. ولهذا مدح سليمان المرأة الباذلة التي **لا تأكل خبزها** بالكسل (أم ٣١ : ٢٧). وقال بولس الرسول أيضاً: **" ولا أكلنا خبزاً مجاناً من أحدٍ، بل كنَّا نشتغلُ بتعبٍ و كدٍّ ليلاً ونهاراً "** (٢تس ٣ : ٨) مع أنه كان له سلطان أن يعيش من البشرى (أي من الكرازة والتبشير).

✣ ✣ ✣

وربنا قد قرن الخبث بالكسل. إذ قال: العبد الخبيث الكسلان (مت ٢٥ : ٢٦). وسليمان الحكيم بينما مدح الذي يعمل كما تقدم ذكره، ذم الكسلان ووبخه بأن أكرم الحيوانات الصغيرة أكثر منه. لأنه قال: **" اذهب إلى النَّملة أيها الكسلانُ "** (أم ٦ : ٦).

وسيطالب الله كلاً منا يوم الحكم عن عمل أيدينا بمقدار القوة التي أعطانا إياها. لأن من استودع كثيراً يطالب بكثير كما كتب (لو ١٢ : ٤٨) وهذا ظاهر من الذي أؤتمن على الوزنة الذي سمي بالعبد الشرير الكسلان.

✣ ✣ ✣

والعمل له أوقات، والصلاة والأبصلمودية لها أوقات كما يقول الكنايسي (أي الجامعة) وقتاً كذا ووقتاً كذا (جا ٣ : ١)

✣ ✣ ✣

وينبغي للإنسان أن يحرك يديه في العمل ويحرك لسانه في الترتيل إن أمكنه. لأن عمل القراءة ينفعنا جداً، ولا سيما أنها توجب بنيان الأمانة (أي الإيمان).

وإذا لم يمكن أن نعمل هذا بلساننا فلنبارك الله بقلوبنا، بتسابيح روحانية كما كُتب **(أف ٥ : ١٩)**. وهكذا نصلي مع عمل اليد. ثم نشكر الله الذي قوانا لنعمل بأيدينا، وأعطانا حكمة في قلوبنا أن نعرف الصنائع، وفهماً في عقولنا أن نسبحه ونشكره، وأنعم علينا بالحاجات التي نأخذها من صنائعنا وبآلات العمل ومواده. وحينئذ تكون أعمال أيدينا مستقيمة كمرضاة الله.

✣ ✣ ✣

وإلا، إذا لم نصنع الصلاة والعمل معاً، كيف نقدر أن نكمل قول الرسول: " صلُّوا بلا انقطاع " (١تس ٥ : ١٧)، مع قوله نحن نعمل الليل والنهار (٢تس ٣ : ٨)، وقد أمرنا أيضاً أن نشكر في كل حال لأن هذا لازم لنا.

✣ ✣ ✣

وينبغي ألا يقول أحد: فإذا كان الأمر هكذا، يعني أن نصلي دائماً، فنحن نترك صلاة المجمع المرسومة في الساعات، لأنه ينبغي لنا أن نكمل ذاك وهذا. أما ذاك فهو ربح النسك واتصال الروح بالله. وأما أوقات الصلوات فوقت الغدوات لكي تكون حركات نفوسنا وأجسادنا مثل المحرمة.

✣ ✣ ✣

والبكور لله، كما كتب: إن عيني سبقتا أن تنظرا وقت الأسحار وأنا أتلوا في كلامك **(مز ١١٨)**. ولئلا ندع هماً يصعد على قلوبنا قبل أن نمجد الله ونتنعم بذكره كما قال المرتل: " ذكرت الله وفرحت ". ولكيلا نعمل بأيدينا وجسدنا شيئاً قبل أن نبسط أيدينا إلى الله ونسجد له.

✣ ✣ ✣

ووقت الساعة الثالثة نجتمع في الصلاة مع الإخوة. وإن كان بعضنا متفرقين في

خدم فليجتمعوا هم أيضاً متذكرين جميعاً موهبة الروح التي حلت على التلاميذ وقت الساعة الثالثة. ونسجد له جميعاً. ونسأله نحن أيضاً أن يحل روح قدسه فينا، ويعلمنا ما فيه منفعتنا. ومن بعد هذا نشتغل في أعمالنا.

وإن اتفق أن يكون إخوة بعيدين عن المجمع لأجل أعمال ضرورية فلا يقدرون على الاجتماع، فليكملوا هم أيضاً في المواضع التي هم فيها القوانين الموضوعة. ولا يكونوا ذوي قلبين. فإن الرب قال: **" لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم "** (مت ١٨ : ٢٠).

✣ ✣ ✣

ووقت الساعة السادسة يلزمنا الصلاة كالقديسين، وكقول المرتل: **" بالعشي وبالغداة ونصف النهار أحدث واخبر، فيستمع صوتي "** (مز ٥٤ : ١٥) لكي نخلص من العثرة ومن شيطان الظهيرة (مز ٩٠ : ٦). وينبغي أن يقال هذا المزمور في هذا الوقت. ونتذكر صلبوت الرب.

✣ ✣ ✣

ووقت الساعة التاسعة، فلنُصل كالرسل، لأنه قد كتب لنا في الإبركسيس أن بطرس ويوحنا صعدا إلى الهيكل وقت صلاة الساعة التاسعة (أع ٣ : ١). وهو أيضاً وقت تسليم الرب روحه للآب على الصليب.

وأخِر النهار فلنعترف[1] للرب ونشكره من أجل الخيرات التي صنعها لنا في النهار، ومن أجل الأعمال التي أقمناها. ولنسأل الله من أجل (السقطات) التي ضجعنا فيها (أي وقعنا فيها) ليغفرها لنا، التي بغير معرفة، والتي زللنا فيها بمعرفة إما بالقلب أو باللسان أو بالفكر أو بالعمل. لأنه جيد أن نذكر غلطاتنا كي لا نسقط فيها بعينها دفعة

---

[1] حاشية في الأصل: الاعتراف الذي ذكره أول النهار وآخره أظنه يشير به إلى الاعتراف له تعالى بالألوهية والربوبية.

أخرى. ومن أجل هذا قال داود النبي: الذي تهمون به في قلوبكم اندموا عليه وأنتم على مضاجعكم (مز ٤).

✣ ✣ ✣

وأول الليل يلزمنا أن نسأل الله أن يحفظنا فيه، وأن تكون راحة النوم لنا بغير عثرة، وأن نخلص من خيالات الشياطين.

ونصف الليل يلزمنا أن نصلي فيه كما كتب لتعليمنا عن بولس وسيلاس إنهما في: **" نصف اللَّيل كان بولس وسيلا يُصلّيان ويُسبِّحان اللَّه "** (أع ١٦ : ٢٥). والمرتل قال: **" في نصف الليل نهضت لأشكرك على أحكام برك "** (مز ١١٨).

وينبغي أن نبكر قبل النور ونقف للصلاة، لكي لا يلحقنا الشر عندما نغفل ونلقي ذواتنا على مراقدنا، بل نتبع الذي قال: سبقت عيناي أن يبلغا وقت الصباح وأنا أتلوا كلامك (مز ١١٨).

✣ ✣ ✣

وينبغي ألا نقول في كل دفعة من هذه الدفعات المذكورة الذي نقوله في دفعة أخرى. أعني لا نقول دائماً في سائر هذه الأوقات التي نجتمع فيها شيئاً واحداً. لأن النفس بهذا تمل وتقلق وتقف وهى مشتغلة ههنا وههنا. بل ينبغي أن نغير المزامير والقراءة في كل دفعة. ونقول في كل وقت ما يليق به. فإنه بهذا تكون شهوة النفس ثابتة، وتتيقظ وتتجدد وتسمع بتأمل ما يقال.

٢ ـ أي عمــل يــد يليــق بالرهبــان؟

- ما هى القوانين والصفات العامة لعمل اليد؟
- كيف نحل مشكلة الدوران والغربة في مسائل البيع والشراء؟
- الراهب الذي يخرج لبيع عمل يده: كيف يسير؟ وإلى أين يمضي؟ ومع مَن يتعامل؟ وكيف؟
- هل يختار الراهب عمل يده؟ وهل يعمل صنعته في العالم؟
- ماذا يقال في مَن يختار عمل يده بنفسه حسب شهوته؟
- على أي شيء يدل التنقل من صناعة إلى أخرى؟
- هل يملك الراهب آلات عمله أو أجرته؟

هذا ما يجيب عنه القديس ههنا:

سـألوه قائلين:

فعرفنا بسياقة ما هى الصنائع التي تليق بإسكيمنا وسيرتنا؟

فأجـاب:

أما تمييز الصنائع وتحديدها فعسر. لأن كل واحد يطلب من الصنائع ما يلائمه، وبحسب احتياجه ومكانه. وأما قانون الصنائع، فأن يختار الأعمال التي **تُعمل بغير قلق**، ونكون بها محفوظين **بالسلامة في سيرتنا** وألا **نهتم فيها بزيادة** عما نحتاج إليه، **ولا نحزن على نقص ثمن** أو أجرة، **وألا تكون سبباً لاجتماعنا بالنساء وبالرجال أيضاً** خارجاً عما ينبغي، وأن نقصد منها **ما كان اهتمامه أقل** ولو كان أنقص، **وألا نتعبد فيها لشهوات الناس** وإرادتهم الكائنة بجهالة ومضرة لنا.

✣ ✣ ✣

فإذا عملنا ثياباً فلتكن كالشيء الذي لابد منه في نوع اللباس، ليست غالية ولا مزوقة يمكن أن تكون فخاً للجهال المطرمدين. وكذلك صناعة الجلد والبناء والنجارة والحدادة وبقية الصنائع، **لا يعمل منها إلا ما لابد منه لنفع الناس في حوائجهم الضرورية**. وهذا هو اللائق باسكيمنا. إذ لا نخرج فيه إلى مدح الناس، فإن هذا مجد بطال.

✣ ✣ ✣

وإذا حدث في زمن ما قلق من هذه الصنائع، وعثرة توجب تفرق الإخوة وابتعادهم عن المجمع، لأجل من يسوقهم إلى هذه الأعمال اضطراراً فيجب ألا نعمل هذه الصنائع، وأن نختار صنائع تحفظ حياتنا بغير قلق، وتوجب القيام بالعمل للرب. فإنه ينبغي للمتوحد - ولو كان يعمل جميع الصنائع - **أن يترك كل شيء، ويداوم أعمال الرب** ويكمل خدمتها، أعني الصلاة والأبصلمودية وباقي الأشغال الموضوعة كالقانون.

✣ ✣ ✣

وأما إذا لم يكن لسيرتنا خسارة في الصناعات المتقدم ذكرها، فينبغي أن نختار أن نعمل ما نعمله منها بالأجرة للناس لنتخلص من الدوران في الغربة للشراء والبيع. وإذا لم تكن لنا خسارة لا من قِبل القريبين منا ولا من قِبل السكان معنا، **فينبغي أن نجتهد في ألا نمضي إلى بعيد لأجل عمل أيدينا** وألا نبقى في وسط الجموع لأجل حجة البيع، لأن

الثبوت في موضع واحد يليق جداً باسكيمنا. وجيد أن نختار الأقل ولا نمضي إلى الغربة خلاف الأكثر فنبتعد عن قلالينا.

✣ ✣ ✣

وإذا خرجنا لبيع عمل أيدينا، فينبغي أن نختار موضعاً يكون فيه أناس عابدوا الله، ليكون ربح لنا ولهم باجتماعنا بهم. ولنمش بعضنا مع بعض حتى نكمل الطريق بالمزامير والصلوات والبنيان. وإذا وصلنا إلى الموضع الذي نقصده، فلنقم أيضاً مجتمعين في موضع واحد، لكي نحفظ بعضنا بعضاً، وحتى لا تفوتنا الصلاة في أوقاتها الليلية والنهارية.

وأيضاً القوم الذين هم في بيعهم وشرائهم عسرون فليساومهم الإخوة بسهولة، لأن الظالمين لا يحبون أن يبصرهم أحد في ظلمهم أو يشهد عليهم لأنهم يستحون من التبكيت.

وأما أن يباع ويشترى في كنائس الشهداء فلم يؤذن بهذا، وهو غريب عن اسكيمنا. وينبغي ألا يمضي أحد من النصارى إلى كنائس الشهداء أو ما حولها من أجل شيء غير الصلاة فيها والتذكر للأتعاب التي قاساها الشهداء وهم صابرون إلى الموت في تجلد على الحق، لكي نكون نحن أيضاً في غيرة لله هكذا، وننجو من غضب الرب الذي أظهره على الذين يبيعون ويبتاعون حول الهيكل، إذ أنه كره التجارة في بيت الرب، وجلد الذين يبيعون ويشترون فيه، مع ما أظهره من الوداعة وطول الروح دائماً في كل شيء.

✣ ✣ ✣

وأما الصنائع التي نعمل فيها، فينبغي ألا يختار كل واحد منا الصناعة التي يريدها، أو العمل الذي نعمله وهو في العالم. بل الذي يليق بكل واحد ينبغي له أن يقيم فيه. لأن الذي قد رفض نفسه وترك أهويته من أجل الله **ليس يعمل إرادته بل إرادة المترأس عليه**، لأنه قد أسلم ذاته له ليدبره في كل شيء، ولهذا ما بقى له أن يفكر في ما هو النافع له، بل الآباء هم الذين يفكرون له ويرسمون لكل واحد ما يليق به.

والذي يختار لنفسه كشهوته، هو ملوم بأنه قد كمل إرادته، وبأنه يقصد مجد هذا العالم، أو ربح الفضة، أو من أجل الكسل والانحلال يختار له شغلاً خفيفاً سهلاً. ومن هو

هكذا فلم يتخلص بعد من الآلام الشريرة ولا رفض ذاته لأن الهروب من التعب هو علامة ذلك.

✣ ✣ ✣

وإذا كان واحد قد تعلم صناعة برانية ورأى المرسوم على الإخوة أنها ليست رديئة بل نافعة للمجمع، فلا يخرج عنها فإن هذا مضاد، إذ يجب ألا يرد ما يرسم له من الصناعات.

وإن كان واحد لم يتعلم صناعة فلا يباشر إلا ما يرسم له. لأن عمل الإنسان حسب أهوية قلبه يدل على أنه ليس له رجاء كما قال الرسول وقد مدح أيضاً القوم الذين أسلموا ذواتهم للرب. وينبغي لكل واحد منا أيضاً من أجل الرب أن يتأمل ذاته وصناعته، ويجتهد أن **يكمل عمله بغير ميل كأن الله ناظر إليه**، ليمكنه أن يقول في كل وقت **" كمثل عيون العبيد إلى يدي مواليهم، .. كذلك أعيننا إلى الرب إلهنا "** (مز ١٢٢).

✣ ✣ ✣

والأصلح أن نتعلم صناعة واحدة لنحكمها من أن نلقي ذواتنا في صنائع كثيرة فلا نقدر أن نكمل واحدة منها. **والتنقل من صناعة إلى أخرى يدل على خفة القلب**، إلا أن تدعو الضرورة واحداً يعرف أنه يمكنه مساعدة الآخرين، فإذا رسم له بذلك فليعمله.

ونحن أيضاً المهتمون بالإخوة ينبغي ألا نغير الإخوة من صناعاتهم بخفة وبغير إفراز إلا لضرورة إذا رأى المفكر - الذي هو بمنزلة المدبر - أن ذلك صواباً، كما أن أعضاء الجسد إذا تعب أحدها ساعده الآخر إن أمكنه.

✣ ✣ ✣

وينبغي للإخوة ألا يتحارنوا أو يتقاوموا على شيء من آلات الصنائع أو يقولوا في شيء منها أنه لهم، فلا يمكنوا الرأس أن يتصرف كما يريد في استعمال أو بيع أو إعارة أو تبديل آلة من واحد إلى آخر، أو إزادتها أو إنقاصها. لأن من قد دفع ذاته للطاعة ما بقى له سلطان ولا على يديه أن يستعملهما إلا بحسب اختيار مدبريه، فكيف بآلة أو شيء خارج عن ذاته بالجملة. فإن الرب قد أمرنا أن نهتم بغيرنا، ومنعنا من الاهتمام بذواتنا

بقوله الذي آخره: **" بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر، فبي فعلتم "** (**مت ٢٥ : ٤٠**) وبقوله: **" فلا تهتمُّوا قائلين: ماذا نأكل؟ أو ماذا نشرب؟ أو ماذا نلبس؟ فإن هذه كلها تطلبها الأمم "** (**مت ٦ : ٣١ ، ٣٢**).

✣ ✣ ✣

وينبغي ألا يعمل أحد من أجل حاجته فقط، بل ليعطي المحتاجين أيضاً فالمجتهد في عمل النهار والليل ليوجد ما يعطي للمحتاجين هو رجل كامل. والذي يقول إن عمل يديه يكفي حياته فعليه خطر القول: **" ملعونٌ الرجل الذي يتكل على الإنسان "** (إر ١٧ : ٥).

٣ ـ الـرئيـس وكيفيـة رعايتـه

✣✣

- ✣ الرئيس قدوة، فينبغي أن يكون كاملاً، حتى لا يعثر الإخوة.
- ✣ يكون أولاً متواضعاً، متشبهاً بالمسيح الذي خدم تلاميذه.
- ✣ صفاته الأخرى من حيث الوداعة وطول الروح والفهم والنسك.
- ✣ يختار للخدمة (وخاصة التي هى خارج الدير) من يصلح لها، حتى لا يسبب خسارة لأحد، ويراجع هؤلاء الراجعين من الخارج ليطمئن عليهم.
- ✣ لا يكون محباً للتجارات والربح الذي يأتي منها.
- ✣ اختيار ثان له يحل محله في غيابه ومرضه، حتى لا يحدث سجس بين الإخوة، وحتى لا يتكلم إلا المرسوم لهذه الخدمة.

سـألوه قائلين:

عرفنا من أجل الرؤساء القائمين على الإخوة: كيف ينبغي أن يكونوا وأن يرعوا؟

فأجـاب:

قد تكلمنا لأجل هذا دفعة أخرى وجيد إذ طلبتم إظهار ذلك بالأكثر وينبغي ألا نصمت عن هذا الأمر لما فيه من الفوائد العظيمة.

فإن جميع الإخوة الذين تحت يد رأس يتشبهون به، فلهذا ينبغي أن تكون سيرته كاملة في جميع وصايا الله، ذاكراً تعليم الرسول: **" كُن قدوة للمؤمنين "** (١تي ٤ : ١٢). لكي بهذا لا تبقى حجة للإخوة الذين تعلمهم أن يظنوا أنه غير ممكن أن تقام وصايا الله، أو أن يغفلوا عنها.

✣ ✣ ✣

فقبل كل شيء يقيم ذاته في **غاية التواضع** في محبة المسيح. حتى ولو كان ساكتاً: يكون شكله وعمله مقنعين للإخوة في التعليم أكثر من كلامه.

ويكون له الكمال بأن يتشبه بالمسيح كما تستطيع الطبيعة البشرية أن تحتمل فإن الذين أؤتمنوا أن يكونوا مرشدين لآخرين، ينبغي لهم أن يكونوا وسيطين بين الله والناس، فيعلموا هم أيضاً المتعلمين منهم أن يتشبهوا هم أيضاً بالمسيح. كما كتب الطوباوي بولس: **" كونوا متمثلين بي كما أنا أيضاً بالمسيح "** (١كو ١١ : ١).

وإذا كان الكمال بالتشبه بالمسيح حسب الإمكان، فينبغي أن يقيموا التواضع والوداعة بمقدار ما تسلمناه من المسيح. لأنه قال: **" تعلَّموا منِّي، لأني وديعٌ ومتواضع القلب "** (مت ١١ : ٢٩). ولم يأنف أن يخدم عبيده، بل بتسامح خدم الطين والتراب هذا الذي جبل منه الإنسان وجعل فيه صورته ومثاله وقال إني بينكم كالخادم.

ونحن إذا خدمنا أحداً فإنما نخدم مساوياً لنا في البشرية لا أنقص منا كنقصنا عن المسيح الكامل الذي خدمنا. إلا أننا إذا فعلنا هذا من أجله فقد تشبهنا به حسب إمكاننا.

✣ ✣ ✣

ومن بعد إقامة الرؤساء للتواضع ينبغي للرؤساء أن يكونوا مثالاً ثابتاً فاضلاً ... وينبغي للرئيس أيضاً أن يكون متحنناً، محتملاً، طويل الروح على الجاهل والعاقل.

ولا يسكت عن الذين يخطئون بمعرفة، ويحتمل بوداعة ولا ينتهر بقساوة.

✣ ✣ ✣

ويتيقظ في كل شيء. ويهتم بفهم ما ينبغي أن يعمله قبل أن يعمله. **ويكون مقتدراً على النسك** حتى ينشط الأقوياء ويحتمل الضعفاء. وكل ما يعمله ويقوله يكون لربح الإخوة.

ولا يكون قد أخذ الرئاسة لنفسه. لكن يختبر من كبار المجمع. لأن الرسول قال: وهؤلاء فليختبروا أولاً. وبعد ذلك يخدمون وليس عليهم خطية

✣ ✣ ✣

وينبغي للإخوة أن يقتنوا الأعمال التي يرسمها لكل واحد منهم كما يليق به. **والذين يرسلهم إلى الخدم البرانية فليخترهم إذا عرف أنهم يقدرون على هذا بحيث لا يخسرون أحداً ممن يجتمعون بهم.**

وإذا لم يجد من هو هكذا، فالأصلح أن يدخل تحت ضيق حاجة الجسد ولا يدخل تحت خسارة النفوس مع أن محبتنا للإخوة لا تدعنا نتركهم يعجزون لحاجة الجسد. فإذا لم يوجد في مجمع من يصلح لهذه الخدمة، فلعل الأديرة القريبة منه تكمل نقصه، بأن يرسلوا قوماً يصلحون لهذه الخدمة مع من يرسل منه، لكي يجد المرضى في نفوسهم أو في أجسادهم معونة الأقوياء.

والرأس فليهتم قبل الوقت كي لا يعجزوا في وقت الحاجة.

✣ ✣ ✣

وإذا عادوا فليفتشهم: ويعرف ما هى الأعمال والأقوال والأفكار التي كانت لهم وهم خارج الدير، وشكل القوم الذين اجتمعوا بهم وأتوا إليهم، وهل كملوا جميع الأيام والليالي بخوف الله أم زلوا في شيء، أم خرجوا على الحدود التي أمرهم بها وانحلوا في شيء. ويمدحهم على ما كملوه باستقامة ويمدهم إلى قدام، ويهتم بهم فيما زلوا فيه. ويعلمهم أن يكونوا حذرين ليكونوا متيقظين مهتمين بإعطاء الجواب على كل سعيهم. لأن هذه هى عادة القديسين. لأنه قد كتب لنا في الإبركسيس أن بطرس لم رجع إلى

يروشليم حدثهم بجميع ما صنع وعرّفهم برجوع الأمم إلى الإيمان (أع ١١ : ٤) وأيضاً أن بولس وبرنابا لما أتيا جمعا كل الجماعة وحدثاهم بكل ما صنع معهما، وأن كل الجماعة كانوا ساكتين وهم منصتون لبولس وبرنابا وهما يحدثانهم بكل ما أجرى الله على أيديهم
(أع ١٤ : ٢٧).

✣ ✣ ✣

وينبغي أن يعلم أن الربح الذي يكون من التجارات، يجب أن نهرب منه بكل نوع.

✣ ✣ ✣

ومن أجل أن الرأس قد يمضي إلى الغربة لحاجة ضرورية، أو قد يمرض جسده، ينبغي أن يكون **هو وكبار الدير قد اختاروا ثانياً له يستطيع أن يدبر الإخوة** إذا ما عرض للرأس عذر ضروري. ولا يكون الإخوة مخبطين لذلك منحلين من أدب التلميذ للرئيس.

وليكن الثاني كافياً في كل شيء حتى يعزي الإخوة والغرباء الطارئين. لأن الإخوة إذا تكلموا جميعاً في جواب المسائل صار بينهم سجس. فليس لكل أحد أن يتكلم، وليس الذين لا يعلمون فقط، بل والذين استحقوا نعمة التعليم لم يسمح لهم الرسول أن يتكلموا جميعاً معاً لأنه قال: " إذا ما كان إعلان لآخر وهو جالس فليسكت الأول " وأيضاً: **" فإن اجتمعت الكنيسة كلها في مكان واحدٍ، وكان الجميع يتكلَّمون بألسنةٍ، فدخل عامِّيُّون أو غير مؤمنين، أفلا يقولون أنكم تهذون؟ "** (١كو ١٤ : ٢٣).

فإذا ما تقدم غريب بقلة معرفة إلى أحد الإخوة غير المرسومين لخدمة الكلام وسأله عن شيء، **فالأخ الذي سئل - ولو كان عارفاً بالجواب بالكمال - فلأجل الترتيب يسكت، ويعرف السائل بالذي قد أؤتمن على تدبير الكلام** لكي تكون منفعة الكلام بحشمة ورتبة، مثلما صنع الرسل عندما كانوا مع الرب.

وإذا كنا في حالة مرض أجسامنا ليس لكل أحد أن يداويها ويكويها لكن الرجل المشهور بالمداواة الذي قد تعلم ذلك من معلمين أفاضل وجرب ذلك العمل مرات كثيرة، فكيف يكون لكل أحد أن يقفز إلى التعليم الروحاني من دون تزكية من عظماء وتجربة ودربة بالأمور المطلوبة. وإذا كان ليس لكل واحد منا أن يعطي خبزه واحدة لأحد من الناس بل الذي هو مرسوم لهذه الخدمة وحده، فكيف يجب أن نحفظ رتبة الكلام لصاحبها بالأكثر، هذا الذي أؤتمن لما اختير من الآباء الأفاضل، ووجد أميناً حكيماً يعطي الغذاء الروحاني في حينه، ويدبر كلامه بالحكم كما كتب.

وإذا ما سها هذا في كلامه وعرفه آخر، فلا يبكته في وسط الإخوة، بل يقول له بمعزل عن الإخوة ... لئلا يتقفز الصغار على الكبار.

٤ ـ أي الخطايـــا نظهرهـــا للـرئيــس

✥✥

- ما هو الضرر الذي يحدث نتيجة لعدم إظهار جميع الخطايا؟
- إذا احتقر أحد أوامر الرئيس فهل يظهر له ذلك؟ وكيف يظهره؟ وماذا يكون التصرف مع الذين يتذمرون خفية ويصيرون علة شك للآخرين؟
- هل يجوز للجميع أن يفحصوا عن تدبيرات الرئيس؟ ومَن الجائز لهم ذلك؟
- كيف ينبغي للرئيس أن يعالج أمراض الإخوة؟

سـئل:

هل ينبغي أن تظهر جميع الخطايا قدام الرئيس، سواء من جهة الذين فعلوها، أو من جهة الذين علموا بهم أنهم فعلوها، أم لا ينبغي هذا؟؟

فأجـاب:

كما أنه **ليس جيداً أن يستر الإنسان أمراضاً قاتلة في ذاته عن أن يظهرها للطبيب،** أو أن يعرفها آخر ولا يذكرها للطبيب لكي يعرف صفة مداواته، كذلك هو موت للإنسان الذي يخفي خطيته أو يخفيها آخر إذا ما عرف بها. لأنه قد قيل إن شوكة الموت هى الخطية، وأيضاً قيل: " تبكيت ظاهر أفضل من مصادقة مخفية ".

فمن أجل هذا لا يخفِ أحد خطية أخيه لئلا يكون قاتل أخ عوضاً عن أن يكون محباً للأخ. ولا يخفِ أيضاً شيئاً من خطيته. فإنه قد قيل أيضاً: " إن الذي لا يشفي ذاته بأعماله هو أخ للذي أهلك نفسه وحده ".

✥ ✥ ✥

ومَن احتقر أمر الرئيس في شيء فليتكلم معه فيما بينه وبينه، ويظهر له السبب. وإذا لم يتفقا فليكن بينهما وسيط. لكي إذا كان الذي أمر به (الرئيس) بخلاف الكتب فليتخلصوا منه جميعاً هما وباقي الإخوة. وإن لم يكن كما ظن فيكون قد خاص ذاتـه مـن الـشك.

لأن الرسول قد قال: إن الذي يشك: إن هو أكل فقد شجب نفسه لأنه صنع ذلك بغير أمانة (أي بغير إيمان) (رو ١٤ : ٢٣).

... **أما الذين يتذمرون خفية**، ويستمرون هكذا لا يظهرون أوجاعهم بل يصيرون علة شك للآخرين ومعلمين للخلاف وغلظ الرقبة، فليطردوا من المجمع لئلا ينزلق بسببهم الإخوة السائجون. لأنه قيل: " اخرجوا واحداً شريراً فيخرج الحـران معـه " وأيـضاً: **" فاعزلوا الخبيث من بينكم "** (١كو ٥ : ١٣) وأيـضاً: **" أن خميرةً صغيرةً تخمِّرُ العجـــــــــــــــــــين كلـــــــــــــــــــــــــهُ؟ "** **(١كو ٥ : ٦).**

✣ ✣ ✣

ولأجل هذا المعنى ينبغي ألا يجعل أحد باله لتدبيرات الرئيس. ولا يفحص عنهـا إلا القوم القريبون من الرئيس وحدهم لأجل رتبتهم وفهمهم، هؤلاء الذين يلزمه أن يجعلهم خصيصين بأموره، ويفتش معهم كل الأشياء ويتشاور معهم في الأمور اللائقة بـالمجمع كله مكملاً لقول القائل: " اصنعوا كل الأشياء بمشورة ". وليثبت كل واحد منا في الدعوة التي دعي إليها، ويدفع كليته لاهتمام الأمور المرسومة له. **ولا يفحص كـل واحـد عـن الأمور المنسوبة لآخرين**، تشبهاً بتلاميذ الرب إذ لم يخرجوا عن مقدار رتبـتهم. وخبـر المرأة السامرية يعرفنا هذا لأن حديثه معها كان بحسب ظنون الناس يشككهم. وقد شـهد الإنجيل أنه لم يقل له أحد لماذا تخاطبها؟ أو أي شيء تطلب؟.

✣ ✣ ✣

وإذا ما تسائل الإخوة وفحصوا عن أمر يعرفونه، ولم يتفق بعضهم مع البعض الآخر، فلا يدوموا في المضادة بحران، بل يرفعوا الأمر للذين لهم استطاعة أن يختبروه بتحقيق وأدب، لكي ينقطع السجس والشك وكثرة الكلام.

وإذا كانت الصنائع العملية إذا اختلف في شيء منها رجع الأمر في تحقيق ذلك إلى مشايخها العارفين بأمورها، فينبغي بالأكثر أن يفرد تدبير الكلام لقوم أقوياء يعرفون ما ينبغي من جهة الوقت والمكان أو نوع المسألة والمجاوبة من غير حران، قاصدين المنفعة والبنيان.

✣ ✣ ✣

والرئيس لا ينتهز بغضب الذين يخطئون لئلا يلقيهم في خطايا. وقد كتب: علم بوداعة (٢تي ٤ : ٢) وفي الوقت الذي يؤدب فيه ينبغي أن يطيل روحه بالأكثر لكي لا يظن فيه أنه ينتقم لذاته، ولكي يظهر أنه لم يبغض المخطئ لكنه يبغض الخطية.

وعندما يخطئ إنسان يجب للرئيس أن يظهر غيرته لله، لأن المخالف لوصية الله محتقر لله. ويجب أن تكون له محبة في خلاص أخيه المخطئ لأنه قد كتب أن النفس التي تخطئ تموت. **كما يجب أن يضع انتقاماً لائقاً بكل خطية كطبيب ماهر، فإن الطبيب لا يداوي بغضب بل بشفقة. وإذا دعت الحاجة أن يزيد واحداً ألماً، فإيلامه له بزيادة خير من تركه في الخطية.**

✣ ✣ ✣

والمداواة الملائمة للأمراض هى هكذا:

إن كان واحداً محباً للمجد البطال، فليأمر الرئيس أن يعمل الأعمال الدنيئة. وإن كان يقول كلاماً رديئاً، يأمره بالصمت. وإن كان ينام نوماً زائداً عما ينبغي ويكسل عن القيام في صلاة الليل، يضع عليه عملاً متعباً. وإن كان يأكل كثيراً بغير أدب، فليصم كثيراً. وإن كان يتقمقم ويتذمر، يفرز من الإخوة ولا يخلط شغلهم مع شغلهم إلى أن يعترف بالتوبة من غير حياء أنه قد انعتق من هذا الوجع، وحينئذ يقبل عمله الذي كان قد صنعه في وقت تقمقمه وتذمره، ولا يجعل في خدمة حوائج الإخوة بل يدبر في حوائج أخرى.

✣ ✣ ✣

وكما قلنا إنه ينبغي للرئيس أن يداوي المرضى من غير وجع، كذلك نقول إنه **يجب على الذين يداويهم أن يقبلوا تأديبه من غير أن يعادوه**. فكما أن الذين يحتاجون في مداواة أجسادهم إلى الكي بالنار أو البتر بالحديد أو الأدوية الحادة، لا يفكرون في القوم المؤتمنين على مداواتهم أنهم قصدوا إلا برئهم من عللهم وخلاصهم مما هو أعظم أضراراً وإيلاماً، فكذلك بالأكثر من ذلك جداً جداً يجب أن نفكر في مداواة المؤتمنين على نفوسنا. ولذلك

قال الرسول: **" لأنه إن كنت أحزنكم أنا، فمَن هو الذي يُفرِّحُني إلا الذي أحزنتُهُ؟ " (٢كو ٢ : ٢)** وأيضاً: إن الحزن في ذات الله قد عمل لكم اجتهاداً عظيماً **(٢كو ٧ : ١١)**. فمن أجل هذا ينبغي لنا أن ننظر إلى الربح الكائن لنا في الآخر لا إلى الألم إلا من حيـث هو موجب للربح الأعظم.

✣ ✣ ✣

وكل الصنائع التي يتعلمها الإخوة ويغلطون فيها، أمرها مفوض إلى الذين علموهم أن يؤدبوهم. وكذلك الأمر في تأديب من يزل في شيء إلى الرئيس. **والأدب وإن كان لائقاً لشفاء النفس المحتاجة إليه، إلا أنه ليس لكل أحد أن يؤدب**. كما أنه ليس لكل أحد أن يداوي الأمراض الجسدانية إلا القوم الذين اختيروا وأؤتمنوا على ذلك. ويجوز للرئيس أن يجعل واحداً خبيراً ينوب عنه في هذا.

✣ ✣ ✣

وينبغي لرؤساء المجامع أن يصنعوا محفلاً في أوقات محدودة، ويجتمعوا باتفاق، ويتحدثوا كل واحد بما جرى له من الأمور الصعبة، ويتشاوروا فيما يكون فيه منفعة الإخوة ومداواة العناه منهم، ويتخاطبوا فيما يدبرونه في كل أمر. لكي يظهر لجميعهم جميع ما ينبغي أن يعملوه. فإن اختيار الرؤساء الكثيرين صادق جداً. والذي يثبتونه يثبت بالأكثر لأنه بشهادة كثيرين.

٥ ـ هـل نسـتعمل الطـب والـدواء؟

- الطـب صـناعة نافعـة وهبهـا اللّـه لنـا لاحتياجنـا إليهـا كمـا وهـب لنـا الزراعـة والحياكـة والبنـاء وبـاقي الـصناعات. وبهـا نـداوي أمراضـنا الجـسمانية والنفسانية.
- لو بقينا في الفردوس هل كنا نحتاج للطب؟
- الحشائش المستعملة في الأدوية أنبتها اللّه بإرادته لنفعنا.
- لنا أن نستعمل الطب ولكن من الخطأ الاتكال عليه كسبب للشفاء.
- تنوع طرق اللّه في معاملة المرضى.
- طب النفس وطب الجسد.
- لا ترذل صناعة الطب بسبب أن البعض يسيء استعمالها.
- ما هى أسباب الأمراض عامة؟ وأيضاً الأمراض التي تصيب القديسين؟
- هل كل الأمراض تفيد فيها صناعة الطب؟
- كيف تساعدنا صناعة الطب على النسك؟

سـألوه قائلين:

هل يليق بصورة العبادة استعمال الطب إذا مرض بعض الإخوة؟

فأجـاب:

كل الصناعات وهبها الله لنا معونة لضعفنا: فأعطانا الفلاحة لأن النبـات الكـائن من غير فلاحة لا يكفينا لحاجة حياتنا. وأعطانا الحياكة لضرورة احتياجنا إلـى اللبـاس الشتوي والصيفي. وأعطانا البناء لاحتياجنا إلى بيوت نسكن فيها. وكذلك باقي الصناعات من أجل الحاجة.

وهكذا صناعة الطب وهبها الله لنا من أجل الأوجاع الجسدانية الكثيرة المختلفة التي نسقط فيها بالأكثر من جهة فضلات الأغذية أو رداءتها، وقد نسقط فيها على الأقل بسبب أمور برانية.

✣ ✣ ✣

وليس من أجل شفاء أمراضنا الجسدانية فقط أنعم الله علينا بصناعة الطب، بل أيضاً لشفاء بعض أمراضنا النفسانية. لكي نلقي عنها الأشياء الزائدة ونزيدها الأمور الناقصة. مثلاً إن كان في القوة الشهوانية أو القوة الغضبية زيادة نقصناها أو نقص تممناه، أعني من قِبل مزاج البدن لا من قبل الاعتياد والتعليم.

✣ ✣ ✣

وكما أننا لو كنا قد بقينا في الفردوس لما احتجنا إلى تعب وعرق في الفلاحة والزرع، كذلك لو بقينا بغير ألم كالنعمة التي كانت لنا في بدء جبلتنا قبل المخالفة لما احتجنا إلى مداواة الطب. وكما أننا من بعد ما نفينا إلى هذا الوطن وسمعنا أنه " بعرق جبينك تأكل خبزك "، حينئذ بتعب وشقاء أقمنا صناعة الفلاحة، وتعزينا في أوجاع اللعنة بما أنعم الله به علينا من معرفتها، كذلك أيضاً لما عدنا إلى الأرض التي أخذنا منها، وربطنا بجسد مملوء آلاماً وطرحنا إلى حكم الفساد من أجل الخطية، لحقتنا هذه الأمراض فأنعم الله علينا بعزاء صناعة الطب معونة للمرضى.

✣ ✣ ✣

والحشائش المستعملة في أدوية الأمراض لم تنبت إلا بإرادة الله لمنفعتنا. فجعل المنفعة لنا في طبيعة الحشائش في أصولها وفي قشورها وفي أوراقها وفي أثمارها. فلا لوم علينا في استعمال هذه كلها. أما أمور التنجيم والسحر التي يحتال الناس في تدبيرها، فيجب، علينا نحن المسيحيين أن نرفضها.

✣ ✣ ✣

وإذا استعملنا من الطب ما تدعو الحاجة إليه، **فلا نكن متكلين عليه، أي معتقدين أنه هو الذي يشفينا**، أو أن العقاقير هى سبب الشفاء. لكن ينبغي أن نعتقد أن الله هو

الشافي كيف يشاء، لئلا تصير نفوسنا مريضة لسوء الاعتقاد مع مرض أجسادنا.

وقد عرّفنا الرب بهذا في الإنجيل فإنه كتب لنا دفعة **" وتفْلَ على الأرض وصنع من التُّفل طيناً وطلى بالطّين عيني الأعمى. وقال له: اذهب اغتسل في بركة سِلوام "** (يو ٩ : ٦ ،٧) فاستعمل في إبرائه مثل مادة وشكل صناعة. ومرة أخرى شفى مرضاً بمشيئته فقط إذ قال للأبرص: **" فمدَّ يسوع يدهُ ولمسهُ قائلاً: أريدُ، فاطْهُرْ! "** (مت ٨ : ٣). وآخرون تركهم في الأمراض حتى يجاهدوا، ثم يصنع معهم ما هو أفضل في الصبر.

وهكذا صنع معنا: دفعات يلدعنا بأعماله المخيفة ويشفينا في الوقت الذي يعرف هو أن فيه منفعة لأنفسنا. ودفعات يتركنا نشفى بالأدوية الطبية، لكي يكون تذكار نعمته ثابتاً فينا ببطء شفاء المرض. ودفعات يهتم بشفاء نفوسنا.

✣ ✣ ✣

وكما أن شفاء الجسد في أن يلقي عنه الشيء المخالف لطبعه، ويقبل ما ينقصه مما يوافق طبعه، **كذلك ينبغي للنفس** أن تلقي عنها الغريب من طبعها الذي هو الخطية، وتقبل ما يليق بطباعها الذي هو الفضيلة. لأن الله خلق الإنسان مستقيماً، وجعلنا على الأعمال الصالحة لكي نمشي فيها كما هو مكتوب (**أف ٢ : ١٠**).

وكما نقبل في مداواة الجسد الكي والقطع والعقاقير المرة، كذلك ينبغي أن نقبل في مداواة النفس مصاعب أصناف الأدوية، لئلا تُبكت من النبي القائل: **" أليس بَلَسَانٌ في جلعاد، أم ليس هناك طبيبٌ؟ فلماذا لم تعصب بنت شعبي؟ "** (إر ٨ : ٢٢).

وإذا رأينا قوماً قد سقطوا في أمراض صعبة، واجتهدوا زماناً طويلاً في الأدوية وعسر برؤهم، وهم يطلبون العافية باجتهاد ويترجونها، فلنأخذ ذلك مثالاً لنا في أنه يجب أن نجتهد في طلب شفاء نفوسنا من خطاياها بالتوبة والحياة الشظفة، فإن هذا كاف لشفاء نفوسنا من الخطايا.

✣ ✣ ✣

ويجب علينا ألا نرذل صناعة الطب لكون بعض الناس يستعملونها رديأ، كما أنه

يجب علينا ألا نرذل صناعة الخبز والطعام والحياكة لكون أناس يستعملون هذه الأطعمة بغير إمساك، وكذلك اللباس الذي لا ضرورة له قاصدين به المباهاة والمفاخرة، فيخرجون بسبب اللذات والشهوات عن مقدار الحاجة الحقيقية. وإذا نحن استعملنا الصنائع بمقدار مستقيم، أظهرنا فساد خروجهم عن المقدار النافع.

✣ ✣ ✣

وكما أنه ليس من العدل أن نرذل صناعة الطب، **كذلك ينبغي ألا نجعل رجاء برئنا على الأطباء**. فإن هذه حال البهائم. أما حال الناس الكاملين فإن حزقيا لم يظن في قرص التين[1] **(٢مل ٢٠ : ٧)**، أنه وحده صار له سبب العافية، بل مجد الله وشكره لأنه خالق التين الجاعل فيه المنافع الخصيصة به. وكذلك عمل الله تعالى في غيره.

✣ ✣ ✣

فينبغي أن نقبل الأمراض والآلام، ونشكر الذي يدبر حياتنا بحكمته، ونشكر معرفة السبب الذي من أجله جلب علينا هذا، ثم نبتهل إليه في أن يمنحنا الصبر ويشفينا من الألم، ونشكر عند الشفاء أنه شفانا بفعله الخفي عنا لنحس بفضل نعمته علينا، وبالأدوية الظاهرة لنا. كالواقع بين اللصوص الذي شُفي بالزيت والخمر، أو بحبة التين مثل حزقيا.

✣ ✣ ✣

وقد نسقط في أمراض لأدب يؤدبنا الله به. فيكون زمان المرض بمقدار الضربة التي حكم الله بها علينا. وينبغي أن نعلم أن جميع المداواة سواء كانت بالقطع بالحديد، أو بالعقاقير الحادة الحارة والامتناع عن الأكل وعن الأشياء المؤذية، (كل هذه الأنواع) لم ترذل الكتب استعمال شيء منها مع انتظار الشفاء من قِبل الله.

✣ ✣ ✣

وخطر أن نظن أن كل الأمراض تحتاج إلى صناعة الطب. فإن الأمراض جميعها

---

[1] في الأصل: الحبة التين.

ليست طبيعية، ولا تجتمع من فضلات الأطعمة أو من رداءتها، أو من سوء تدبير، أو من سبب جسماني بالجملة، هذه التي قد تفيد فيها صناعة الطب.

بل قد يكون المرض ضربة لنا بسبب خطية لكي نتوب عنها. لأنه قال: **" من أجل هذا فيكم كثيرون ضُعفاءُ ومرضى "** (١كو ١١ : ٣٠)، فمثل هذا ينبغي أن نصبر فيه ونتوقع الشفاء بأن نقوّم سيرتنا ونعمل أعمالاً تليق بالتوبة، ذاكرين قول الرب: **" ها أنتَ قد برئت، فلا تُخطئ أيضاً، لئلاَّ يكون لك أشرُّ "** (يو ٥ : ١٤).

وقد تحل بنا الأوجاع بسؤال الشيطان، عندما يدعه الله يحارب رجلاً شجاعاً ليكسر باحتماله وثبوته وصبره إلى حد الموت افتخاره وكبرياءه كما صنع بأيوب الصديق، ومثل أليعازر الذي كان مملوء قروحاً ولم يكتب عنه أنه سأل شيئاً من الغنى ولا قلق من أجل الأشياء التي كانت عليه.

ونجد **سبباً آخر يحصل به المرض للقديسين،** وهو الذي ذكره بولس الرسول أنـه حصل له لكي لا يرتفع من كثرة الإعلانات (٢كو ١٢ : ٧)، وهو لكي لا يظن أنه غيـر بشري كما ظن فيه أهل ليكأونية أنه إله (أع ١٤ : ١١). ولهذا دام (المرض) في جسده وسأل فيه وفي يشفَ.

فهذه الأمراض لا ينتفع فيها بالطب. وأما المرضى بالأسباب الجسمانية كالأطعمة الردية وسوء التدبير فذلك نافع لهم. وينبغي أن يهتموا بشفاء أمراضهم.

✣ ✣ ✣

وكما أننا إذا صنعنا الفلاحة نطلب الثمرة من الله، وإذا ائتمننا رئيس سفينة على تدبيرها نسأل النجاة من الله، كذلك **إذا استعملنا الطب فيما ينفع ينبغي أن نسأل الله في الشفاء ونرجوه من عنده.**

وأنا أرى أن **صناعة الطب تساعدنا بالأكثر على النسك.** لأنها تنهي الإنسان عن الأطعمة الكثيرة المختلفة، وتعرّفنا أن العافية تكون مع القليل من الطعام والشراب.

وبالجملة فإن استعملنا قانون الطب في الأمراض التي جعل الطب لها، أو إن تركناه في الأمراض التي لم يجعل لها وهى التي تقدم القول أنه لا ينفع فيها، فلتكن صورة

مرضاة الله سالمة لنا، مكملين قول الرسول: **" فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً، فافعلوا كل شيءٍ لمجد اللّه "** (١كو ١٠ : ٣١).

مسـائـل أخـرى للقـديـس باسـيليـوس *

****

٦ ـ هـل نصـنع شـيئاً بغـير شـهادة مـن الكتـب؟

****

سئل:

هل يجب للإنسان أن يعمل شيئاً أو يقول كلمة من ذاته كما يظن أنه جيد، من تلقاء عقله بغير شهادة من الكتب؟

فأجـاب:

إن ربنا يسوع المسيح قال لتلاميذه عن الروح القدس إنه يهديكم إلى كل بر وليس يتكلم من ذاته بل الذي يسمعه يقوله (يو ١٦ : ١٣). وقال عن نفسه: **" الكلام الذي أكلّمُكم به هو روحٌ وحياةٌ "** (يو ٦ : ٦٣). وقال: **" لأني لم أتكلَّم من نفسي، لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصيَّةَ: ماذا أقول وبماذا أتكلَّمُ. وأنا أعلم أن وصيَّتهُ هي حياةٌ أبديَّةٌ. فما أتكلَّم أنا به، فكما قال لي الآب هكذا أتكلَّم "** (يو ١٢ : ٤٩ ـ ٥٠)، **" ولستُ أفعل شيئاً من نفسي، بل أتكلَّم بهذا كما علَّمني أبى "** (يو ٨ : ٢٨)، وأيضاً: **" لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً "** (يو ٥ : ١٩)، وأيضاً الذي يسمع منكم يسمع مني **" مَن يقبلُكم يقبلُني، ومَن يقبلني يقبل الذي**

---

* هذا جزء من نسكيات باسيليوس وجد فيها تحت هذا العنوان.

(مت ١٠ : ٤٠ ، لو ١٠ : ١٦).

فإذا كان هذا التعليم هكذا، فمن هو الإنسان المجنون الذي يتجرأ ليس فقط أن يعمل أو يقول كلاماً من ذاته وحده، بل وأن يصعد على قلبه فكراً خارجاً عن الكتب المقدسة. **لأن الإنسان محتاج للروح القدس أن يهديه إلى طريق الحق في أفكاره وأقواله وأعماله**. وهو أعمى أو ساكن في الظلمة إذا عمل شيئاً بغير شمس البر الذي هو ربنا يسوع المسيح، الذي يضيء نفوسنا بوصاياه المقدسة، كالشمس التي تنير علينا بشعاعها. ولهذا قال الرب على لسان النبي: وصية الرب تضيء الأبصار (مز ١٨).

✣ ✣ ✣

وينبغي أن نعلم أن أعمالنا وأقوالنا قد ميزتها (بعضها) الكتب المقدسة، وبعضها لم تظهره.

والذي رسمته (الكتب المقدسة) لم يجعل لأحد مخالفة في شيء منه: لا أن يترك ما أمر به، ولا أن يعمل ما قد نهى عنه. لأن الله قال في التوراة **" كل الكلام الذي أوصيكُم به احرصوا لتعملوه. لا تزد عليه ولا تُنقِّص منه " (تث ١٢ : ٣٢).**

والذي لم يميزه بالذكر له، بل تركه تحت سلطان الإنسان، قد حدد لنا بولس الرسول قانوناً له بقوله: **" كل الأشياء تحلُّ لي، لكن ليس كل الأشياء توافق. كل الأشياء تحلُّ لي، ولكن ليس كل الأشياء تبني " (١كو ١٠ : ٢٣).**

ولا يطلب الإنسان ما ينفعه فقط، بل والذي ينفع رفيقه. فيلزمنا أن نخضع لله كلنا، وأن يخضع بعضنا لبعض كما أمرنا.

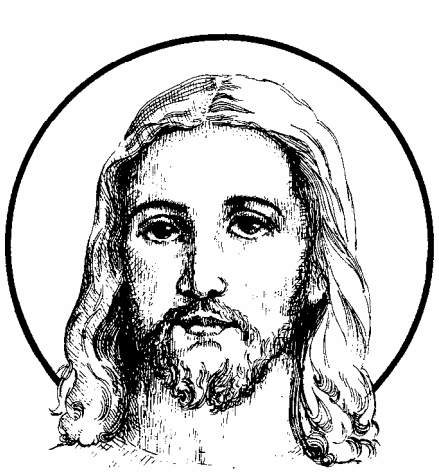

٧ ـ هل يجب أن نطيع الناس في جميع ما يأمروننا به؟

سئل:

إن ربنا قال: **" مَن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين " (مت ٥ : ٤١)** وبولس الرسول علّمنا أن نخضع بعضنا لبعض بخوف المسيح فهل يجب أن نطيع الناس في جميع ما يأمروننا به؟

فأجاب:

أما أوامر الناس - وإن كانت كثيرة ومختلفة - فليس لأحد أن يخالف أمراً فيه منفعة. وموسى لم يخالف صهره فيما أشار به عليه من الخير **(خر ١٨ : ٢٤)**.

✣ ✣ ✣

ولما كان من وصايا الناس ما يضاد وصايا الله، ومنها ما يفسدها إذ تخلط بأشياء رديئة، ومنها ما يوافق وصايا الله، ومنها ما يوافق في الظاهر، وإن كانت نافعة موجبة إقامة وصايا الله، فلذلك يجب أن نتذكر قول بولس الرسول: **" لا تُطفئوا الروح. لا تحتقروا النُّبوَّات. امتحنوا كل شيءٍ. تمسَّكوا بالحسن. امتنعوا عن كل شبه شرٍّ " (**

١تس ٥ : ١٩ ـ ٢٢)، وأيضاً: **" هادمين ظنوناً وكل عُلْو يرتفع ضد معرفة اللَّه، ومُسْتأسِرينَ كل فكر إلى طاعة المسيح "** (٢كو ١٠ : ٥)

✣ ✣ ✣

فإذاً إن أمرنا إنسان بشيء يضاد وصية الله أو يفسدها أو يجعل فيها عيباً، حينئذ نقول نحن أيضاً أنه: **" ينبغي أن يُطاع اللَّه أكثر من الناس "** (أع ٥ : ٢٩). وننتذكر قول ربنا إن الخراف لا تتبع الغريب: **" وأما الغريب فلا تتبعهُ بل تهرب منهُ، لأنها لا تعرف صوت الغُرباء "** (يو ١٠ : ٥). وننظر إلى الرسول الذي جسر من أجل بنياننا على أن جعل كلامه يبلغ إلى الملائكة إذ قال: **" ولكن إن بشرناكُم نحن أو ملاكٌ من السماء بغير ما بشرناكُم، فليكن أناثيما! "** (غل ١ : ٨).

وإن أمرنا إنسان بما يوافق وصية الله أو يعين على عملها فلنوافقه.

٨ ـ كيف نتعبد للـه؟

✣✣✣✣✣✣✣✣✣✣✣✣✣✣✣✣✣✣✣✣✣✣

سئل:

ما هى الصفة التي ينبغي أن نتعبد لله بها؟

فأجاب:

أنا أرى أن الصفة الحسنة هى شهوة مرضاة الله. فتكون هى قوت العابد ولا يشبع منها.

و(الصفة) الثانية تكون في النظر والفهم، والتلاوة الدائمة في تعظيم مجد الله، والفكر الصالح والمستقيم، والتذكر للخيرات التي صارت لنا من قِبل الله.

فبهذا يقدر الإنسان أن يكمل المكتوب: **" تُحبُّ الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك "** (مت ٢٢ : ٣٧). وأن يتشبه بالذي قال: **" كما يشتاق الأيَّلُ**

إلى جداول المياه، هكذا تشتاقُ نفسي إليكَ يا اللَّهُ " (مز ٤٢ : ١) فهكذا يجب أن نتعبد لله، وأن نكمل نحن أيضاً ما قاله الرسول: **" مَن سيفصلنا عن محبَّة المسيح؟ أشدَّةٌ أم ضيقٌ أم اضطهادٌ أم جوعٌ أم عُرْيٌ أم خطرٌ أم سيفٌ؟ .. "** (رو ٨ : ٣٥).

أسـئلة حـول :
٩ ـ كيـف يـأمر الـرئيـس الإخـوة، وكيـف يعامـل التـائبيـن؟

سـئل:

ما هو الفكر الذي ينبغي للرئيس أن يجعله في عقله عندما يكلم الإخوة ويأمرهم بالأعمال؟

فأجـاب:

أما أمام الله فكخادم لوصاياه ووكيل لسرائره. لئلا يقول كلمة أو يرسم عملاً بخلاف مشيئة الله المعروفة من كتبه، أو يترك شيئاً مما يرضي الله فيصير شاهد زور على الله ووكيلاً غير أمين وغير حكيم.

وأما قدام الإخوة فليكن مثل الوالد مع أولاده، والمربية مع الـذي تربيـه، ليكمـل

الوصية المسيحية القائلة: **" وصيَّةً جديدةً أنا أعطيكم: أن تحبُّوا بعضكم بعضاً. كما أحببتُكم أنا "** **(يو ١٣ : ٣٤)**. و **" ليس لأحدٍ حُبٌّ أعظم من هذا: أن يضع أحدٌ نفسه لأجل أحبَّائه " (يو ١٥ : ١٣)**.

✣ ✣ ✣

سئل:

بأي نوع (أي بأي أسلوب) يؤدب الذي يخطئ حتى يتوب؟

فأجاب:

كما أمرنا ربنا بقوله: **" إن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما ... وإن لم يسمع منهم فقُل للكنيسة. وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنيِّ والعشار "** **(مت ١٨ : ١٥ - ١٧)**. فبهذا يتوب ويكمل عليه قول الرسول: **" مثل هذا يَكفيه هذا القصاصُ الذي من الأكثرين "** **(٢كو ٢ : ٦)**. وقال في موضع آخر: **" وبخ انتهر عظ بكل أناة وتعليم "** **(٢تي ٢ : ٦)**. وأيضاً: **" وإن كان أحدٌ لا يُطيعُ كلامنا بالرِّسالة، فسِمُوا هذا ولا تُخالِطوه لكي يَخجل "** **(٢تس ٣ : ١٤)**.

✣ ✣ ✣

سئل:

إذا ضيق الرئيس على الإخوة، وكلفهم أن يتوبوا عن الخطايا الصغار أليس هذا منسوباً إلى قلة المحبة وقلة الرحمة؟

فأجاب:

قد قال ربنا إن: خطية واحدة لا تعبر من الناموس **(مت ٥ : ١٨)**. وقال أيضاً: **" إن كل كلمةٍ بطَّالةٍ يتكلَّمُ بها الناس سوف يُعْطون عنها حساباً يوم الدِّين "** **(مت ١٢ : ٣٦)** فإذاً ينبغي ألا نحتقر خطية لأنها صغيرة. وأية خطية نتجرأ فنقول إنها صغيرة؟! والرسول يقول إذا ما خالفت الناموس فأنت تشتم الله، ولما قال: **" شوكة الموت فهي**

الخطية " (١كو ١٥ : ٥٦)
لم يذكر صغيرة ولا كبيرة.

فقد تبين إذاً أن الذي لا يبكت المخطئ هو القليل المحبة. كما أن الذي ينظر إلـى إنسان وقد لسعته حية ولا يسبق فيعمل ما يمنع سمها أن يصل إلى قلبه، ولو كان ما يعمله بالقطع بالحديد أو بالأدوية المرة وبالجملـة المؤلمـة فـي البدايـة المحمـودة الغايـة، (فإن الذي لا يعمل هذا) لا يعد محباً بل هو مبغض لأنه قد كتب: **" مَن يَمنع عصاهُ يَمقُت ابنهُ، ومَن أحبَّهُ يطلب له التَّأديب "** (أم ١٣ : ٢٤).

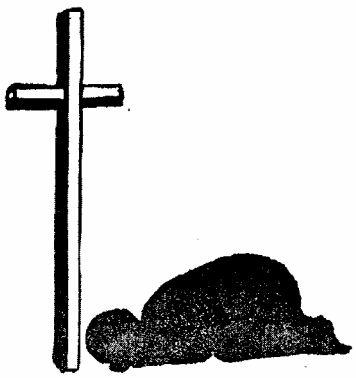

أسئلة حـول
١٠ ـ توبــة التــائبين واعترافــاتهم وطريقــة معــاملتهم

سـئل:

بأي نوع ينبغي للخاطئ أن يتوب؟

فأجـاب:

بأن يتشبه بالقائـل: **" أبغضت الشر ورذلتـه، وناموسك أحببتـه "** (مز ١١٨). وأيضاً: **" أحميّ في كل ليلة سريري، وبدموعي أبل فراشي "** (مز ٦). وبأن يصنع هـ ـ ـ ـ ـ ـ ـا شـ ـ ـ ـ ـ ـ ـهد بـ ـ ـ ـ ـ ـ ـه الرسـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـول عـ ـ ـ ـ ـ ـ ـن الذين يحزنون في ذات الله مع أن الذي أخطأ غيرهم وهـو قولـه: **" هوذا حُزنكم هذا عينـهُ بحسب مشيئة اللّـه، كم أنشأ فيكم: من الاجتهاد، بل من الاحتجاج، بل من الغيظ، بل من الخوف، بل من الشوق، بل من الغيرة، بل من الانتقام. في كل شيءٍ أظهرتُم أنفُسكم أنكم أبرياءُ في هذا الأمر "** (٢كو ٧ : ١١). وبأن تتضاعف زيادة بره عن خطاياه كما كُتب عن زكا العشار (لو ١٩ : ٨).

✣ ✣ ✣

سـئل:

ما هى الثمرة المستوجبة للتوبة؟

فأجـاب:

هى أعمال البر المضادة للخطية، لأنها تكمل المكتوب: " لكي يثمروا في كل عمل صالح بالمسيح يسوع ".

✣ ✣ ✣

سـئل:

الذي يعترف بفمه فقط أنه يتوب، ولا يشفي ذاته من الخطية، كيف يكون أمره؟

فأجـاب:

قد كتب " إذا ما سألك عدوك بصوت عظيم فلا تسمع منه، لأن سبعة شرور فـي قلبه ". وكما أن الكلب إذا عاد إلى قيئه تكرهونه كذلك الذي يعود إلى الخطيـة بعـد أن يتركها يكرهه الله.

✣ ✣ ✣

سـئل:

الذي يريد أن يعترف بخطاياه، هل يجب له أن يظهرها قدام كل أحد؟

فأجـاب:

مكتوب " إني لا أشاء موت الخاطئ مثل عودته ". ومعلوم أن عودته التي هى توبته ينبغي أن تكون بمقدار خطيته. والتوبة محتاجة إلى ثمرة تليق بها، لأنه قد كُتب: **" فاصنعوا أثماراً تليقُ بالتوبة "** (لو ٣ : ٨)، وأيضاً: **" فكل شجرةٍ لا تصنعُ ثمراً جيداً تقطع وتُلقى في النار "** (لو ٣ : ٩) فإذ الخطية هى مخالفة الله، والله يريد توبة الخاطئ. فينبغي للخاطئ **أن يعترف بها للذين أؤتمنوا على تدبير سرائر الله لأنه قد كُتب في الإنجيل أنهم كانوا معترفين بخطاياهم ليوحنا المعمد** (مر ١ : ٥) وقد كُتب أيضاً أن الذين كانوا يعتمدون من الرسل كانوا يعترفون لهم (أع ١٩ : ١٨).

✣ ✣ ✣

سـئل:

عن الذي يتوب عن الخطية ويسقط فيها دفعة أخرى؟

فأجـاب:

معلوم أن هذا لم ينزع أصل تلك الخطية منه. فهو مثل الذي يقطع أغصان الشجرة ويترك الأصل ثابتاً في الأرض فيعود ينبت ويفرع. وهكذا بعض الخطايا تتولد من خطايا أخرى غيرها كالحسد والمحارنة والمغالبة فإن هذه تتولد من محبة مجد الناس. فإن الذي يحب مجد الناس إذا رآهم يمجدون غيره أكثر منه يحسده ويقاومه. فإذا رأى إنسان أنه قد جاهد الحسد ولم ينقطع، فليعلم أن أصله ثابت. فإذا ما قطع الأصل بالتواضع الذي يثبت

بملازمة الأمور المحتقرة، لا تعود الفروع تنبت. وهكذا ينبغي أن نصنع في باقي الخطايا.

✣ ✣ ✣

سئل:

ما هو الفكر الذي ينبغي للرئيس أن يجعله في قلبه عندما ينتهر أخاً؟

فأجاب:

أما قدام الله فكقول داود رأيت الذين بلا فهم وحزنت لأنهم لم يحفظوا قولك **(مز ١١٨)**.

وأما مع الذين ينتهرهم فكحنو الآباء على بنيهم، ومثل طبيب يداوي ابنه.

✣ ✣ ✣

سئل:

والذي ينتهر بأي نوع يقبل الانتهار؟

فأجاب:

كما يليق بابن مريض مدنف شديد الشهوة للعافية، وأبوه طبيب جيد. فيجب أن يتداوى من أبيه. فإنه حينئذ لا يكره مداواته، بل يفوض أمره له ولو داواه بالأدوية المؤلمة الكريهة، لمعرفته لمحبته له وجودة طبه، ولتألمه من المرض وكراهيته فيه وشدة شهوته للعافية.

✣ ✣ ✣

سئل:

والذي يحزن على ما يؤدب به؟

فأجاب:

هذا لا يعرف الخطر الذي يصير للمخطئ، ولا سيما المخطئ لله. ولا يعرف الربح الصائر من التوبة. ولا يصدق القائل: إن من يحب ابنه يؤدبه **(أم ١٣ : ٢٤)**. وقد صير نفسه غريباً من الذي قال: إن البار يعلمني برحمه ويبكتني **(مز ١٤٠)** وهذا المرض يخسر الإخوة.

✣ ✣ ✣

سئل:

ما هى دينونة الذين يحامون للمخطئ ويخاصمون عنه؟

فأجاب:

أنا أظن أن دينونة هذا ثقيلة، أكثر من دينونة الذي يشكك المذكورة في الإنجيل* لأنه يمنع المخطئ من أن يتوب، ويجعله يثبت في خطيته، ويعلم غيره شره. فينبغي أن يخرج من الدير كقول الرب: **" فإن كانت عينُك اليُمنى تعثرُك فاقلعها وألقها عنكَ .. " (مت ٥ : ٢٩).**

✣ ✣ ✣

سئل:

فالذي يتوب جيداً، كيف ينبغي أن نقبله؟

فأجاب:

كما قال إنه يدعو أصدقاءه وجيرانه ويقول افرحوا معي فقد وجدت خروفي الضال **(لو ١٥ : ٦).**

✣ ✣ ✣

سئل:

والذي لا يتوب، فكيف نصنع معه؟

فأجاب:

---

* لعل القديس يقصد قول الرب: **" ومَن أعْثرَ أحد هؤلاء الصِّغار المؤمنين بي فخيرٌ له أن يُعلَّق في عُنقه حجر الرَّحَى ويُغرَق في لُجَّة البحر ... ويْلٌ لذلك الإنسان الذي به تأتي العثرة! " (مت ١٨ : ٦ ، ٧).**

نصنع كما قال الرب: **" وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندكَ كالوثنيِّ والعشار "**

(مت ١٨ : ١٧). وقد علمنا الرسول أيضاً قائلاً: **" أن تتجنَّبوا كل أخ يسلُكُ بلا ترتيبٍ، وليس حسب التَّعليم الذي أخذهُ منَّا " (٢تس ٣ : ٦)**.

أسئلة حول :
١١ ـ القنية، واشتراك الإخوة جميعاً في المقتنيات

سئل:

هل لأحد أن يترك له شيئاً (أي يحتفظ لنفسه بشيء) ويقول إنه له؟

فأجاب:

قد كُتب: **" وكان لجمهور الذين آمنوا قلبٌ واحدٌ ونفسٌ واحدةٌ، ولم يكن أحدٌ يقول أن شيئاً من أمواله له، بل كان عندهم كل شيءٍ مُشتركاً " (أع ٤ : ٣٢)**. فالذي يقول عن شيء إنه له وحده، قد صار غريباً من كنيسة الله، ومن محبة الله التي أظهرها بالقول والعمل، حتى أنه أسلم نفسه عن أحبائه. ولا سيما أشياء هذا العالم الفاسدة.

✣ ✣ ✣

سئل:

إذا قال واحد إني ما أخذ من الإخوة شيئاً، ولا أعطي شيئاً، والذي لي يكفيني، فماذا نصنع له؟

فأجاب:

إن كان لا يطيع تعاليم الرب القائل: **" أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم "** فنحن نسمع من الرسول القائل: **" فاعزلوا الخبيث من بينكم " (١كو ٥ : ١٣)**. لئلا

يكمل علينا المكتوب: **" أن خميرةً صغيرةً تخمِّرُ العجين كلهُ؟ "** (١كو ٥ : ٦).

١٢ ـ أقرباؤنا الجسدانيون :
ماذا نعمل بعطاياهم؟ وهل نقابلهم أو نمضي إليهم؟

سئل:

هل لأحد منا أن يأخذ من أهله بالجسد شيئاً مما يأتون به إليه؟

فأجاب:

جميع آلات الإخوة قد يكون أقاربهم بالجسد قد أعطوها لهم. ولكن ينبغي للإخوة الذين يأتي إليهم أقرباؤهم بشيء من الآلات والأطعمة، ألا يظهروها إلا للرئيس وحده، وألا يعلم باقي الإخوة بذلك، لئلا يصير هذا سبب كبرياء للذين أحضر لهم، وسبب حزن للإخوة المساكين والمنقطعين. فيتم عليهم قول الرسول لأهل قورنثية أنهم " يفضحون الذين ليس لهم شيء " ومن أجل هذا ينبغي للمؤتمن على الاهتمام بالإخوة أن يخدم كوكيل أمين حكيم كالمثال المكتوب في الإبركسيس إن كل ما كان لهم كانوا يبيعونه: **" ويضعونها عند أرجُل الرُّسُل، فكان يوزَّعُ على كل أحدٍ كما يكون له احتياجٌ "** (أع ٤ : ٣٤ ، ٣٥).

✣ ✣ ✣

سئل:

إذا طلبنا أقرباؤنا بالجسد أن نجتمع بهم فماذا نعمل؟

فأجـاب:

كما علمنا الرب في الوقت الذي قيل له فيه: هوذا أمك وإخوتـك قيامـاً خارجـاً يطلبون أن يروك، أجابهم بانتهار مَن هم أُمي وإخوتي. وأومأ إلى تلاميذه وقـال هـؤلاء إخوتي. وكل من يصنع إرادة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي.

(مر ٣ : ٣٢ ـ ٣٥)

✣ ✣ ✣

سـئل:

فإن سألونا أن نمضي معهم؟

فأجـاب:

إن كان من أجل بنيان الإيمان، أو أمر آخر لله: فمَن كان مجرباً لذاته، عارفاً أنه قادر أن يكمل هذا الشيء بلا خسران فليمضِ. وإن كان ليس من أجل ذلك، بل من أجل شيء من عوائد الناس، فلا. لأن الذي سأل الرب أن يأمره بأن يذهب ويودع أهل بيته، قال له ليس أحد يضع يده على سكة الفدان ويلتفت إلى الوراء يكون مستقيماً لملكوت الله **(لو ٩ : ٦٢)**. فإذا كان الذي أراد أن يودع أهل بيته فقط قيل له هذا، فكيف الذي يريد أن يعمل شيئاً يخص البشرية؟!

١٣ ـ السـهو ، والأفكـار الباطلـة الـتي تـأتي علـى الـنفس ، وخيـالات الليـل

سـئل:

من أين يأتي السهو والأفكار الباطلة على النفس؟

فأجـاب:

من كون العقل لا يهتم بالأمور الصالحة. بل يغفل عن تذكار وملاحظة أن الله يملأ السموات والأرض، وأنه قريب منه، وأنه يفحص القلوب والكلى، وأنه الناظر إلى القلوب. فلو آمن بذلك لكمل المكتوب: **" تقدمت فرأيت الرب أمامي في كل حين لأنه عن يميني كي لا أتزعزع " (مز ١٥)**.

والذي يثبت في ذلك، لا ينجذب (إلا) مع المناظر الفاضلة، ولا يفكر إلا فيما يرضي الله، من ربح بنيان الإيمان والأعمال الصالحة، ولا يفكر في أشياء قبل وقتها يشتغل بها عن الأفكار الحاضرة.

✣ ✣ ✣

سـئل:

من أين تأتي علينا الخيالات في الليل؟

فأجـاب:

من حركات النفس بالنهار فيها. فإذا تنقت منها، واشتغلت بأحكام الله، وصارت في تلاوة دائمة وأعمال مرضية لله، نظرت إلى مقامات صالحة.

١٤ ـ كيـف نخـدم الإخـوة ، ونحبهـم ، وكيـف نقبـل خدمتهـم لنـا ؟

سئل:

كيف ينبغي أن نخدم الإخوة؟

فأجاب:

كما نخدم الرب الذي قال: **" بما أنَّكم فعلتُموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر، فبي فعلتُم "**

(مت ٢٥ : ٤٠).

✣ ✣ ✣

سئل:

فالذي يخدم كيف ينبغي أن يقبل خدمة الخدام؟

فأجاب:

مثل عبد يخدمه سيده، خائفاً طائعاً كبطرس الذي خدمه الرب وغسل رجليه ولما منعه انتهره وتوعده.

✣ ✣ ✣

سئل:

بأي نوع يقيم الإنسان المحبة في صاحبه؟

فأجاب:

إن وصية الرب هى حياة دائمة. ومن لا يطع الابن لا يعاين الحياة، بل يحل عليه غضب الله كما هو مكتوب **(يو ٣ : ٣٦)**. والوصية الأولى العظيمة هى هذه: **" تُحبُّ الرب إلهكَ من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك "** والوصية الثانية هى هذه: **" تُحبُّ قريبكَ كنفْسِكَ " (مت ٢٢ : ٣٧ ـ ٣٩).**

وهذا إن كان قد صنع معنا خيراً، فيجب أن نوفي له دين المحبة ولو كنا في الأمم، فإن الخطاة يحبون أيضاً من يحبهم كما كُتب **(مت ٥ : ٤٦)**. وإن كان قد صنع بنا شروراً، فينبغي لنا أيضاً أن نحبه من أجل الوصية **(مت ٥ : ٤٤)**، ولأنه قد صار سبباً

في خير عظيم يحصل لنا، لأن الرب قال: **" طوبى لكم إذا عيَّروكُم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمةٍ شريرةٍ، من أجلي، كاذبين "** (**مت ٥ : ١١**).

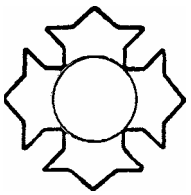

١٥ ـ مـا هـو الكـلام البطـال؟

****

سـئل:

ما هو الكلام البطال؟

فأجـاب:

هو الكلام الذي يقوله الإنسان وليس هو موجباً لعبادة الله ولا بنياناً للسامعين. فهو خطر ولو كان جيداً وليس فيه ربح للسامعين لبنيان الأمانة. فلهذا لا نتخلص من عقوبته ولو كان جيداً، إذ لم يدبر (الإنسان) كلامه كبنيان للسامعين وأحزن روح الله كما قال الرسول: **" لا تخرُج كلمةٌ رديَّةٌ من أفواهكم، بل كل ما كان صالحاً للبُنيان، حسب الحاجة، كي يُعطي نعمةً للسَّامعين "** ويعقب هذا قائلاً: **" لا تُحزنوا روح اللَّه القُدُّوس "** (**أف ٤ : ٢٩ ، ٣٠**).

✣ ✣ ✣

سـئل:

إذا تكلم واحد وجاوب بغير حشمة ويعلم. ويقول ما في قلبي رديء، هل يجب أن يصدقنا أو نصدقه.

فأجـاب:

ليس جميع أوجاع النفس ظاهرة لكل الناس. والذين يحصل لهم لا يظهر لهم أيضاً كأوجاع الجسد التي لا تظهر إلا لمن عرف علاماتها بل بهذه تخفي بالأكثر لأن المخطئ لا يحس بأوجاعه في ذاته. فلهذا يجب له هو أن يصدق وأما نحن فلا نصدقه. لأننا نصدق الرب القائل إن الرجل الشرير من كنزه الشرير يخرج الـشر **(لو ٦ : ٤٥)**. وهـذا لأن الرجل الشرير قد يتزي بالخير دفعات كثيرة بأقواله وأعماله. فأما الرجل الـصالح فـلا يتزي بشيء من الشرور لأنه قد كُتب: **" مُعْتنين بأمور حسنةٍ، ليس قدَّام الرب فقط، بل قدَّام الناس أيضاً "** **(٢كو ٨ : ٢١)**.

١٦ ـ مـا هـى اللعنـة ؟

سـئل:

ما هى اللعنة؟

فأجـاب:

هى ما يقوله الإنسان ويقصد بضمير قلبه أن يجعل في رفيقه عيباً أو أن يشجبه. فإنه قد كُتب في الإنجيل أنهم لعنوا الأعمى قائلين: **" أنت تلميذ ذاك "** **(يو ٩ : ٢٨)**. فقصدوا تنقيصه، وإن لم يذكروا لفظة اللعنة.

١٧ ـ مـا هـى النميمـة ؟
وهـل يجـوز أن نتكلـم بالـرديء علـى أحـد ؟

سئل:

ما هى النميمة؟

فأجاب:

أنا أظن أن هناك وقتين ينبغي للواحد منا أن يتكلم فيهما عن الآخر كلاماً ردياً:

أحدهما إذا تشاور المرسومون للاهتمام بالإخوة بعضهم مع البعض (الآخر) في أن يشفوا إنساناً من خطيته. فحينئذ ينبغي أن يتكلموا بما صنعه من الرديء وهم خائفون من الله.

والوقت الآخر عندما يسبق واحد فيعلم المرسومين المذكورين بشرور صنعها أخ ليصلحوه أو يعزلوه من الإخوة، لكي لا يختلطوا معه بقلة معرفة ويظنوا أنه مستقيم ويتشبهوا به. لأن الرسول قد علمنا ألا نخالط هؤلاء لأننا (بهذا) نأخذ مخنقة لأنفسنا. وقد كتب لتيموثاوس أيضاً أن **" إسكندر النَّحَّاسُ أظهر لِي شروراً كثيرةً ... فاحتفِظ منه أنت أيضاً، لأنه قاوم أقوالنا جداً "** (٢تي ٤ : ١٤ ، ١٥).

✣ ✣ ✣

فأما ما يكون سوى هذه الأمور الضرورية، فالذي يقول كلمة عن إنسان، أو يغمز عليه، أو يثلب اسمه، أو يستهزئ به، فهذه هى نميمة، ولو كان يقول فيها الحق.

والذي ينم على أخ هكذا، والذي يسمعه ويحتمله ولا سيما بشهوة، ينبغي أن يفرقا كلاهما. لأنه مكتوب أن من يتكلم على صاحبه في الخفاء كنت أطرده **(مز ١٠٠)**. وفي موضع آخر: " لا تسمع بقصدك الذي ينم لئلا تكون مطالباً بخطيته ".

والذي ينم على الرأس (أي الرئيس) هذا دينونته معروفة من جهة غضب الرب على مريم لما نمت على موسى، وانتقم منها (الرب) مع سؤال موسى فيهـا. **(عد ١٢ : ٩ - ١٤)**.

١٨ ـ الوداعــة وعــدم الغضــب

سئل:

بماذا يقتني الإنسان عدم الغضب؟

فأجاب:

إذا جعل الله أمامه دائماً، وأنه حاضر عنده وناظر إليه، كما أنه إذا كان قدام السلطان متطلعاً إليه، فإنه لا يتجرأ أن يعمل عملاً أو يقول قولاً بغضب.

وينبغي أيضاً ألا يجعل في قلبه أن يطيعه الناس في جميع الأمور، أو أنه أرفع منهم في شيء. بل أنه هو يطيع الناس في جميع الأمور، وأنهم أرفع منه في كل شيء. لأنه إن كان يريد أن يطيعوه فيما يخصه، فهذا خلاف تعليم الله لنا أن نخدم غيرنا. وإن كان يريد أن يطيعوه فيما يخص الله، ورأى واحداً يخالف وصية الله فما الحاجة إلى الغضب في الانتقام منه، بل يرده بالهدوء والتوجع معه والرحمة عليه كما قال الرسول: **" مَن يَضعُف وأنا لا أضعُفُ؟ مَن يَعثرُ وأنا لا ألتهبُ؟ " (٢كو ١١ : ٢٩).**

✣ ✣ ✣

سئل:

كيف يكون الإنسان وديعاً؟

فأجاب:

بأن لا يزوغ عما يرسم له أن يعمله من الأمور الصالحة. وإن شتموه وأهانوه أو عيروه يثبت في مرضاة الله باجتهاد.

١٩ ـ كيــف نقطــع منــا الشــهوة الرديئــة

سئل:

كيف يغلب الإنسان لذة الطعام؟

فأجاب:

بأن يختبر الأصلح ويختاره بعقله الذي هداه إلى الطيب من الطعام دون غيره.

✣ ✣ ✣

سئل:

كيف نقطع منا أوجاع الشهوة الردية؟

فأجاب:

بالشهوة القوية التي في مرضاة الله. هذه التي وجدها المرتل في نفسه، وأظهرها لنا بقوله أحكام الرب حق مبررة جميعها. وإرادات قلبه مختارة أفضل من الذهب والحجارة الكريمة، وأحلى من العسل والشهد (مز ١٨) فشهوة الأفضل تكلفه أن يرفض الأنقص.

٢٠ ـ الحزن المقدس ، والحزن العالمي

سئل:

ما هو الحزن في ذات الله، وما هو الحزن العالمي؟

فأجاب:

الحزن في ذات الله يكون إذا حزن الإنسان من أجل وصية الله. إما لأنه خالفها أو غفل عنها أو توانى فيها، وإما لأنه لا يرى غيره (سالكين) فيها، كذلك كما كتب امسكني وجع قلبي على الخطاة الذين تركوا عنهم ناموسك (مز ١١٨).

والحزن العالمي يكون فيما خرج عن ذلك. مثل أن يلحق الإنسان أو غيره شيء من أمور هذا العالم المحزنة فيحزن.

٢١ ـ الفـرح بالـرب ، ومتـى وكيـف يكـون ؟

سـئل:

ما هو الفرح بالرب؟

فأجـاب:

عندما نكمل وصايا الرب، أو إذا تألمنا من أجل اسمه، حينئذ ينبغي أن نفرح.

وهذا النوع أيضاً ينبغي فيه أن نفرح بعضنا مع البعض.

٢٢ ـ الاهتمـام العـالمي ومرضـاة النـاس

سـئل:

ما هو اهتمام العالم؟

فأجـاب:

كل اهتمام ليس هو لعبادة الله، هو اهتمام عالمي، ولو لم تكن فيه رذيلة.

✣ ✣ ✣

سـئل:

كيف يعرف الإنسان أنه يقصد بعمله مرضاة الناس؟

فأجـاب:

إذا كان يجتهد في الأعمال الصالحة قدام الذين يمجدونه عليها، ويتوانى فيها قدام الذين يحتقرونه بسببها أو حيث لا يكون من يمجده لأجلها. لأنه إن كان يقصد مرضاة الله فقط، فالله دائماً في كل مكان، وهو ينظر إلى عمله قدام الذين يكرمونه والذين يهينونه.

ولهذا قال الرسول: **" بسلاح البرِّ لليمين ولليسار. بمجدٍ وهوان، بصيتٍ رديءٍ وصيتٍ حسن. كمُضلّين ونحن صادقون "** (٢كو ٦ : ٧ ، ٨).

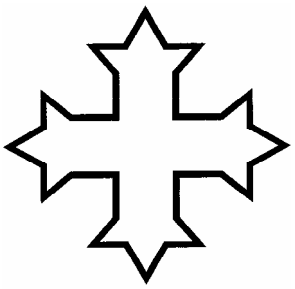

٢٣ ـ النــوم في غيـر وقتــه :
كيـف يـأتــي ؟ وكيـف نطــرده ؟

سـئل:

من أين يأتي علينا النوم في غير وقته؟ وكيف نطرده؟

فأجـاب:

هذا يحدث عندما تثقل النفس، وتنقطع من التصاقها بذكر الله، ومن الخوف من دينونته، ومن شدة الشهوة لتكميل إرادته كوصاياه.

فينبغي ألا ننقطع من هذه الأمور لنقول كداود: **" ولا أعطي لعينيَّ نوماً، ولا أجفاني نعاساً، أو راحة لصدغي، إلى أن أجد موضعاً للرب، ومسكناً لإله يعقوب "** **(مز ١٣١)**.

٢٤ ـ الكبريــاء ، وكيفيــة الشــفاء منهــا

سـئل:

كيف تظهر الكبرياء وبأي نوع يشفى هذا الداء؟

فأجـاب:

تظهر للإنسان بطلبه الأمور العالية. ويشفى منها إذا صدق حكم الذي قال: **" لأن اللَّه يُقاوم المستكبرين، وأما المتواضعون فيُعطيهم نعمة "** **(١بط ٥ : ٥)**.

وليس يبرأ من هذا الداء من لا يخاف من هذا الحكم ويبتعد من جميع أحوال

التعاظم. وكما أنه إذا أراد إنسان أن ينسى لغة أو صناعة: فإنه لا يقتدر إلا إن كان يبتعد منها بالكمال. ليس بألا يعمل فيها فقط أو يتكلم فيما يختص بها، بل أيضاً بألا يسمع من يتكلم بها، وألا يباشر عملها.

وهكذا ينبغي أن يعمل في جميع الآلام والشرور.

٢٥ ـ مـا هـو الاتضـاع، وكيـف تدركـه ؟

سـئل:

ما هو الاتضاع؟ وكيف نقدر أن ندركه؟

فأجـاب:

الاتضاع هو أن يفكر الإنسان في كل الخليقة أنها أرفع منه كما علمنا الرسل. وأول كل شيء ينبغي أن نتذكر وصية الرب القائلة: **" تعلَّموا منِّي، لأني وديعٌ ومتواضع القلب "** **(مت ١١ : ٢٩)**. وقد علمنا الرب التواضع بأقواله وأعماله، ووعدنا قائلاً: **" مَن يضع نفسه يرتفع " (لو ١٤ : ١١)**.

وبعد ذلك يدرس دائماً في أعمال التواضع. كما إنه إذا أراد الإنسان أن يتعلم صناعة علمية أو عملية، فإنه يدرس ويعمل فيها على الدوام. وليكن هذا قانوناً في إقامة جميع الفضائل.

✣ ✣ ✣

سئل:

هل ينبغي أن نعطى الكرامة للناس، أو أن نطلبها منهم؟

فأجاب:

قد تعلمنا من الكتب المقدسة أن نعطى الكرامة لصاحب الكرامة (رو ١٣ : ٧). فأما أن نطلبها فقد منعنا من هذا. لأن الرب قال: **" كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض، والمجدُ الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه؟ "** (يو ٥ : ٤٤). فإذاً من يطلب المجد من الناس هو غير مؤمن بالله، وهو أيضاً غريب عن عبادة الله. لأن الرسول قال: **" فلو كنت بعد أرضي الناس، لم أكن عبداً للمسيح "** (**غل ١ : ١٠**).

وإن كان الذين يقبلون من الناس الكرامة التي تأتيهم من غير طلب يدانون، فكيف الذين يطلبونها منهم؟!

٢٦ ـ الطاعة : كيف تكون ؟ وما هى حدودها ؟

سئل:

كيف ينبغي أن يطيع بعضنا بعضاً؟

فأجاب:

قد علمنا الرسول هذا إذ وضع لنا طاعة المسيح الذي صار طائعاً إلى الموت موت الصليب (**في ٢ : ٨**)، وقال: **" فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً "**

(في ٢ : ٥). وفي موضع آخر قال: " تعبدوا بعضكم لبعض بمحبة الروح ". وكما قـال ربنا: **" إذا أراد أحدٌ أن يكون أوَّلاً فيكون آخر الكل وخادماً للكل "** (مر ٩ : ٣٥). وقال عن نفسه: **" لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأت ليُخدَم بل ليَخدِم "** (مر ١٠ : ٤٥).

سـئل:

عن الذي يزيد في عمل الخير عما يؤمر به.

فأجـاب:

هذا إنما يرضي ذاته، ولا يطيع الرسول القائل: **" فليُرض كل واحدٍ منَّا قريبه للخير، لأجل البُنيان "** (رو ١٥ : ٢). وقال: **" لأن المسيح أيضاً لم يُرض نفسهُ "** (رو ١٥ : ٣). فالذي يرضي ذاته وحده غير خاضع.

✣ ✣ ✣

سـئل:

هل ينبغي للإنسان أن يطلب غير العمل الذي سلم له؟

فأجـاب:

قد قلنا إن حد الطاعة هو أن يطيع الإنسان إلى الموت. فمن رفض عملاً رسم لـه وطلب غيره فهو يحل الطاعة ويفسدها. وهو لم يرفض ذاته بعد، بل يطلب هواها. وهـو يصير سبباً لأن يتعلم منه غيره المضادة. وهو يعتاد مقاومة الوصايا. ولأن الإنـسان لا يعرف ما هو الأصلح له، فقد يختار هذا له الشيء الذي يضره وهو يظن إنه ينتفع به. كما أنه يجعل الإخوة يشكون فيه. وبالجملة فقلة الطاعة هى أصل شرور عظيمة. فـإن كـان يظن أن له عذراً قاطعاً فليذكره للرؤساء، ويتركهم يختبرون الأمر ويدبرونه كما يرون.

✣ ✣ ✣

سـئل:

إذا أُمر أخ بعمل وجاوب قائلاً (ما أعمله)، وعندما يمضي إلى قلايته يريد أن يعمله، فهل يعمله أم لا؟

فأجـاب:

إذا ما جاوب فقد علم آخرين أن يجاوبوا، وقد صار أيـضاً تحـت خطـر الـذين كُتب عنهم في الأمثال: **" الشرِّير إنما يطلب التمرُّد فيُطلق عليه رسولٌ قاس "** (أم ١٧ : ١١). وليعلم أنه قد جاوب الرب القائل: **" الذي يسمعُ منكم يسمع منِّي، والذي يُرذلكم يُرذلني "** (لو ١٠ : ١٦).

وإذا ما نغزه (أي نخسه) قلبه، وحزن على قلة الطاعـة و (علـى) المجاوبـة فليعمل ما رسم له.

✣ ✣ ✣

سـئل:

فإن أطاع واحد في عمل، وبعد ذلك يتقمقم؟

فأجـاب:

هذا غريب عن وحدانية الإخوة. وقد قال الرسول: **" افعلوا كل شيءٍ بلا دَمدَمةٍ ولا مُجادلةٍ "** (في ٢ : ١٤).

٢٧ ـ إذا أحـزن أخ أخـاه : مـاذا يفعـل ؟

سـئل:

إذا أحزن أخ أخاً، فبأي نوع يقيمه؟

فأجـاب:

إن كان قد أحزنه من أجل تكميل وصايا الرب فعلى المحزون أن يكرمه. وإن كـان قـد أحزنه في أمور لم تلزمها الوصية، بل هى تحت سلطان الإنسان فليتذكر قول الرسول: إن كـان من أجل طعام تحزن أخاك فلست تمشي بالمحبة. وإذا عرف خطيته أنها من هذا النوع، فليـذكر قول الـرب: **" فإن قدَّمت قربانك إلى المذبح، وهُناك تذكَّرت أن لأخيك شيئاً عليك، فاترُك هناك قربانك قُدَّام المذبح، واذهب أوَّلاً اصطلح مع أخيك، وحينئذٍ تعال وقدِّم قربانك ".** (مت ٥ : ٢٣ ، ٢٤).

✣ ✣ ✣

سـئل:

فإن لم يرض أن يعمل هكذا؟

فأجـاب:

إذا لم يرض، فإنه يكون كما قال الرب: **" كالوثنيِّ والعشار "** (مت ١٨ : ١٧).

✣ ✣ ✣

سـئل:

فإن رضى، ولم يرض المحزون أن يصفح عنه؟

فأجـاب:

إن لم يصفح عنه بعد استغفاره منه، يأتِ عليه خطر ذلك العبد الذي سلم للمعـذبين (مت ١٨ : ١٧).

٢٨ ـ هـل يـوقـظ أخ أخـاً للصـلاة أو القـداس ؟

سـئل:

عن الذي يوقظ أخاً للصلاة أو القداس.

فأجـاب:

إذا عرف الإنسان الخسارة التي تحصل (له) من النوم، وأن نفس الراقد لا تحس من ذاتها، وعرف الربح الذي صار له من التيقظ لا سيما في الوقت الذي يقف فيه قـدام الله للصلاة، فإنه يشكره كثيراً على ما صنعه معه من الخير في إقامته للصلاة وفي عمله للوصية.

✣ ✣ ✣

سـئل:

فإن عبس وغضب؟

فأجـاب:

يستحق أن يعرق ويذل بالجوع لعل قلبه ينغزه (أي ينخسه)، وينتبه للخير الـذي يحرم نفسه منه، ويعود كالقائل: " ذكرت الله ففرحت ".

فإذا دام لا يحس، فليقطع كالعضو الذي فسد في الجسد. لأنه مكتوب: **" لأنـهُ خيرٌ لك أن يهلك أحدُ أعضائِك ولا يُلقى جسدُك كلُّه في جهنَّم "** (مت ٥ : ٣٠).

٢٩ ـ الـذي يـذهـب إلى مكـان بـدون استشـارة الـرئيس

سـئل:

هل ينبغي* أن يمضي واحد إلى موضع ولا يشاور الرئيس **الأول** (ربما يقصد **أولاً**)؟

فأجـاب:

إن كان ربنا قد قال: **" لأني لم آتِ من نفسي، بل ذاكَ أرسلني " (يو ٨ : ٤٢)**، فكيف ينبغي* أن يعمل أحد شيئاً بسلطانه وحده؟! فهذا مستكبر، وهو مرذول قدام الله.

٣٠ ـ حـول عمـل اليـد :
هـل يجـوز طلـب عمـل معـين ورفـض آخـر ؟

****

سـئل:

من يتعلم النساخة ويجعل باله من القراءة: هل ينبغي أن يسمح له بهذا أم لا؟

فأجـاب:

الرسول يقول: " لكي الأشياء التي تريدونها هذه لا تفعلوها ". فينبغي ألا يسمح لأحد أن يعمل شيئاً من ذاته، بل الذي يختاره له الرؤساء ينبغي له أن يقبله ولو كان لا يريده.

وهذا (أي الذي يفعل ما يريده) ملوم بقلة أمانته. لأن الرب يقول: **" فكونـوا أنـتم إذاً مُستعدِّين، لأنـه فـي سـاعةٍ لا تظنُّـون يـأتي ابـن الإنـسان " (لـو ١٢ : ٤٠)** وهـذا طيب القلب أن يعيش زماناً كبيراً.

✣ ✣ ✣

سـئل:

عن الذي يرفض الأعمال الثقيلة العسرة العمل.

فأجـاب:

الذي له محبة في الله وهو ثابت في الرجاء به، ليس يقنعه أن يعمـل فـي الغـد

---

* في بعض المواضع في هذا الكتاب تُستعمل كلمة (ينبغي) بمعنى (يجوز).

كالأمس، بل أنه يزيد في عمله في الأوقات الآتية على الأوقات الماضية ولو كـان فـي العمل مشقة، وزيادة عن قوته. ومع ذلك يبقى في هم لكونه عاجزاً عن العمل الذي يجب له، متذكراً قول الرب: **" متى فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا: إنَّنا عبيدٌ بطَّالون، لأننا إنَّما عملنا ما كان يجب علينا "** (لو ١٧ : ١٠). وينظر إلى الرسول الذي مـع كونـه مصاب العالم له، ومصاب للعالم (غل ٦ : ١٤)، قـال: **" أيها الإخوة، أنا لست أحسب نفسي أني قد أدركتُ. ولكني أفعل شيئاً واحداً: إذ أنا أنسى ما هو وراءُ وأمتدُّ إلى ما هو قدَّام، أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة اللَّه العُليا في المسيح يسوع "** (في ٣ : ١٣ ، ١٤). وأيضاً مع كونه له سلطان أن يعيش من التبشير الذي بشر به، قـال: **" بتعبٍ وكدٍّ ليلاً ونهاراً، لكي لا نُثقِّل على أحدٍ منكم. ليس أن لا سلطان لنا، بل لكي نُعطيكم أنفُسنا قُدوةً حتى تتمثلوا بنا "** (٢تس ٣ : ٨ ، ٩).

٣١ ـ التشـبه بالمسـيح

سـئل:

النفس التي تصير في عمل الله بمن تتشبه؟

فأجـاب:

بنفس الذي قال: **" مَن أنا يا سيدي الرب وما هو بيتي حتى أوصلتني إلى ههنا "**

(٢صم ٧ : ١٨). مكمـلاً للمكتـوب: **" شاكرين الآب الذي أهَّلنا لشركة ميراث القدِّيسين في النُّور، الذي أنقذنا من سلطان الظلمة، ونقلنا إلى ملكوت ابن محبَّته " (كو ١ : ١٢ ، ١٣).**

٣٢ ـ كيـف يقبـل الغـروس الجُـدد ؟

سـئل:

كيف ينبغي للذين عتقوا في عمل الله أن يقبلوا الغروس الجدد؟

فأجـاب:

إن كانوا أقوياء في أجسادهم، فليظهروا الاجتهاد في الأعمال الجسدانية وفي النسك وفي الصلاة وفي عمل اليد، ويجعلوا ذاتهم مثالاً للغروس الجدد في كل فضيلة.

وإن كانت أجسادهم ضعيفة، فليظهروا استقامة نفوسهم حتى يكون شكلهم وفعلهـم، أعني وجوههم وحركاتهم بخفر وحشمة كأن الله ناظر إليهم دائماً، ويظهروا أثمار الروح التي بينهـا الرسـول إذ قـال: **" المحبـة تتـأنى وترفُق. المحبـة لا تحسد. المحبـة لا تتفـاخر، ولا تنـتفخ، ولا تقبِّح، ولا تطلـب مـا لنفسها، ولا تحتـدُّ، ولا تظنُّ السُّوء، ولا تفـرح بالإثم بل تفرح بـالحق، وتحتمل كل شـيءٍ، وتصدِّقُ كل شـيءٍ، وترجو كل شـيءٍ، وتـصبر علـى كـل شـيءٍ. المحبـة لا تسقُط أبداً "** (١كو ١٣ : ٤ ـ ٨). وهذه جميعها يقدر المريض بجسده أن يقوّمها.

٣٣ ـ هـل يتنسـك الإنسـان بمـا يفـوق قدرتـه ؟

سئل:

إذا أراد إنسان أن يتنسك خارجاً عن قوته حتى لا يقدر أن يكمل القانون الموضوع، فهل ينبغي أن يسمح له بذلك؟

فأجاب:

النسك ليس هو الابتعاد عن المطاعم فقط، هذا الذي تكون فيه قلة شفقة على الجسد. وهذه قد شكاها الرسول. لكن النسك هو أن يبتعد الإنسان عن جميع أهويته. ومن الخطر أن يسقط من وصية الرب من أجل أهويته. ولهذا قال الرسول: **" الذين نحن أيضاً جميعاً تصرَّفنا قبلاً بينهم في شهوات جسدنا، عاملين مشيئات الجسد والأفكار، وكنَّا بالطَّبيعة أبناء الغضب "** (**أف ٢ : ٣**).

٣٤ ـ الذي يتقمقم من أجل طلباته ؟

سئل:

عن الذي يقول " إن هذا يضرني "، وإذا لم يعطَ ما يريده يحزن قلبه

فأجاب:

هذا لم يترك لنفسه رجاء أليعازر المسكين، ولا يوقن بمحبة الذي أؤتمن على الاهتمام بالإخوة. وبالجملة ينبغي ألا يختار الإنسان لنفسه شيئاً من ذاته ويقول إن هذا ينفعه وهذا يضره. بل ينبغي أن يترك الأمر للمرسوم على خدمة الجماعة الذي يختبر ما يحتاجه كل واحد لربح الإخوة ويشترك معهم.

وإذا تقمقم أحد فله دينونة المتقمقمين في البرية الذين قال عنهم الرسول: **" ولا**

تتذمَّروا كما تذمَّر أيضاً أناسٌ منهم، فأهلكهُم المُهلك " (١كو ١٠ : ١٠).

٣٥ ـ هـل يطلـب المـريض أو المتعـب طعامـاً زائـداً ؟

سـئل:

هل ينبغي للمريض أو المتعب أن يطلب شيئاً من البقول خارجاً عن العادة الموضوعة؟

فأجـاب:

إن كان هو يحتمل التعب من أجل المجازاة التي يعطيها الله له، فلا يجب له فـي موضع الغربة أن يطلب عزاء لأتعابه. بل يجب أن يكون مستعداً أن ينال ذلك من الـرب في الدهر الآتي، فكما يعرف أنه مستحق أن ينال من الله أجرة تعبه، كذلك فليعرف أنـه مستحق أيضاً أن ينال منه العزاء على ضيقته التي احتملها من أجل طاعته.

أما المؤتمن على الشركة، فينبغي له أن يكمل المكتوب: **" فكان يوزَّعُ على كل أحدٍ كما يكون لـه احتيـاجٌ "** (أع ٤ : ٣٥). ويجب عليه أن يجتهد في أن يعـرف كـل واحد من التعبين والمرضى ويعزيهم كما ينبغي. وينبغي للإنسان أن يذكر قول الرب: **" لأن الفاعل مُستحقٌّ أجرتهُ "** (لو ١٠ : ٧) ويميز تخصيصه الأجير، ثم يفحص ذاته إن كان قد عمل عملاً كاستحقاق أوامر الرب، أو كاستحقاق عظم مواعيده.

والكلام في الثياب والأحذية كذلك.

٣٦ ـ الـذي يتـأخر عـن ميعـاد الطعـام ؟

سئل:

عما إذا أتى واحد من الإخوة بعد فراغهم من الأكل على المائدة.

فأجاب:

إن كان تأخر لضرورة، فالرئيس يشير بالمصلحة. وإن كان لم يجتهد في الحضور إلى الاجتماع بل تواني بالقصد، فلا يأكل إلى الغد وقت الأكل.

٣٧ ـ الصدقة: لِمَن تُعطى ؟ ومَن يعطيها ؟

سئل:

عن الذين يردون (يأتون) لطلب الصدقة: من هو الذي يعطيهم؟

فأجاب:

لقد قال ربنا: **" ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويُطرح للكلاب "** (مت ١٥ : ٢٦). والمرأة التي قال لها هذا مدحها لما قالت: **" نعم، يا سيِّدُ! والكلابُ أيضاً تأكل من الفُتات الذي يَسقُط من مائدة أربابها! "**. فينبغي الذي قد أؤتمن ورسم على إعطاء الصدقة أن يصنع كذلك ومن يعطي شيئاً بغير رأي الوكيل المذكور، ينبغي أن يؤدب حتى يحفظ رتبته. لأن الرسول قال: " كل واحد يا إخوتي فليقم في الذي دعي إليه قدام الله ".

فالأخذ والعطاء والصدقة ولو بالثوب والحذاء العتيق لا تكون إلا للمـؤتمن علـى الخدمة، الذي يصنع ذلك في حينه لكل أحد كما ينبغي. وكذلك ينبغي ألا يدعو أحد الغرباء للدخول إلى معاملنا، ولا أحد من الإخوة يمضي إلى معامل الغرباء بغيـر رأي الموكـل (بهذا الأمر).

وكذلك ليس لأحد أن يعطي صاحبه إناء ولا أن يأخذ منه. والأمر في هذا راجـع إلى الرأس (أي الرئيس).

والذي يأخذ عمل صانع ويهتم به من غير رأي الوكيـل، فإنـه يـستوجب حكـم السارق. وإذا استعمل واحد بعض الآلات استعمالاً رديئاً فأتلفها، أو توانى فيها فـضيعها، يكون مديناً كسارق الهيكل، لأنه صار سبباً لذلك فإن جميع آلات الشركة (أي المجمـع) قد قيل عليها اسم الرب، وصارت مقدسة محرمة له.

٣٨ ـ القـائمـون علــى خدمــة المجمــع وقــانـون صــلاتهم

سـئل:

الإنسان الموكل على الأواني، أو القائم على مؤونة الإخوة، أو على الطبخ، أو على خدمة من خدمات المجمع: إذا لم يستطع* هؤلاء أن يأتوا للاجتماع مع الإخوة في قانون الصلاة والأبصلمودية، فهل يخسرون شيئاً من ربح نفوسهم؟

فأجاب:

---

* في الأصل " يلحقوا ".

يجب أن يحفظ كل أحد قانونه في العمل الذي أؤتمن عليه، مثل أعضاء الجسد. فإن الذي يتوانى عن عمل قد رسم له يخسر، لأنه يضر الموضع كله. فليكمل كل واحد عمله، ويجعل في قلبه الكلام المكتوب: **" مُرتلين في قلوبكم للربِّ "** (**أف ٥ : ١٩**). وإذا لـم يستطع* أن يجيء ويجتمع بجميع الإخوة فلا يشك في شيء، إذ هو يكمل المكتوب: " كل واحد منكم فليثبت فيما دعي إليه ".

وينبغي أن يحترز ويجتهد في أن يتمكن من إكمال العمل المرسوم له ويقدر مع هذا أن يجتمع مع الإخوة في الأوقات المحدودة، لكي يكون مثالاً للباقين المجاهدين. ولا يكسل ويحتج بأنه ما يتفرغ من الأشغال، لئلا يصير عثرة لغيره، ويـسقط أيـضاً فـي حكـم المتوانين.

٣٩ ـ مقاومــة طياشــة الأفكــار أثنــاء الصــلاة

سـئل:

كيف يستطيع الإنسان وقت الصلاة ألا تطيش أفكاره؟

فأجـاب:

إذا تيقن أن الله في كل مكان دائماً، وأنه أمام عينيه. كما أنه إذا كان واقفاً قدام ملك أرضي وناظراً إليه، فإنه لا يجرؤ أن يميل نظره إلى أحد ليسمع كلامه أو ليكلمه، بل يبقى ناظراً إلى جهة ذلك الرئيس وحده، منصتاً لما يقوله أو يقال له. ولأن الله فاحص القلوب وناظراً إليها، فينبغي للواقف قدامه ألا يميل بفكر قلبه عنه إلى شيء آخر ليكمل المكتوب:

---

* في الأصل " يلحق ".

" فأريدُ أن يُصلِّي الرِّجالُ في كل مكان، رافعين أيادي طاهرةً، بدون غضبٍ ولا جدال " (١تي ٢ : ٨).

٤٠ ـ المؤتمنون على خدمة الإخوة

سئل:

كيف ينبغي أن يكون فكر قلوب المؤتمنين على الخدمات: خدمة الطعام وغير ذلك، عندما يكملون أعمال خدمتهم؟

فأجاب:

أما بالتشبه، فإن الرؤساء الذين أوتمنوا على الخدمة ينبغي أن يذكروا قول الـرب: **" لستُ أفعل شيئاً من نفسي، بل أتكلَّم بهذا كما علَّمني أبي " (يو ٨ : ٢٨)**، وأمـا بالنظر إلى الإخوة فينبغي أن يخدموهم ذاكرين المكتوب إنهم كانوا يعطون كل أحد كقـدر حاجته (أع ٤ : ٣٥).

وإن كسل وكيل ولم يعطِ لكل أحد ما هو في حاجة إليه، فعليه خطر قول الـرب: **" اذهبوا عنِّي يا ملاعين إلى النَّار الأبديَّة المُعدَّة لإبليس وملائكته، لأني جُعْتُ فلم تطعموني ... "**

(مت ٢٥ : ٤١ ـ ٤٤).

وإن حابى أو حارن فهو غريب من كنيسة الله إلى أن يبتعد عن هذه الـشرور لأن الرسول يقول: " لا تعملوا شيئاً بالمحابـاة " وأيـضاً: **" إن كان أحدٌ يُظهر أنه يُحبُّ الخصام، فليس لنا نحن عادَةٌ مثل هذه، ولا لكنائس اللَّه " (١كو ١١ : ١٦).**

٤١ ـ هـل ننظـر بالتسـاوي
إلى الفاضـلين والناقصـين مـن الإخـوة ؟

سـئل:

هل ينبغي أن ننظر إلى جميع الإخوة بالتساوي: الذين يقيمون الفضيلة والناقـصين منها؟

فأجـاب:

قد حكم الرب بأن الذين يحبونه بالأكثر يكرمون بالأكثر، بقوله عن المـرأة أن: **" قد غُفرت خطاياها الكثيرة، لأنها أحبَّت كثيراً. والذي يُغفر له قليلٌ يُحبُّ قليلاً "** (لو ٧ : ٤٧). والرسول أيضاً قـد أظهـر هـذا بقولـه: **" أمَّا الشيوخ المُدبِّرون حسناً فليُحسبوا أهلاً لكرامةٍ مُضاعفةٍ، ولا سيَّما الذين يتعبون في الكلمة والتعليم "** (١تي ٥ : ١٧).

وإذا حزن الناقص في الفضيلة إذا رأى الأكمل منه فيها يكرم أكثر منه، فهو يسمع: **" عَينُكَ شرِّيرةٌ لأني أنا صالحٌ؟ "** (مت ٢٠ : ١٥) إذ يأتي عليه المثل المكتـوب فـي الإنجيل عن الذين تقمقموا على رب الكرم لما أكرم غيرهم.

٤٢ ـ كيـف تكـون التـوبــة ؟

****

سـئل:

النفس التي في الخطايا: بأي نوع (أي بأية وسيلة) تبتعد منها؟ وأي فكر ينبغي أن ترجوه إذا ما تقدمت إلى الرب؟

فأجـاب:

أولاً: يجب عليها أن تبغض سيرتها القديمة المرذولـة بغـضاً كـاملاً حتـى إن (مجرد) ذكرها تمقته، كما كتب: إني أبغضت الشر ورذلته، وناموسك أحببته **(مز ١١٨)**.

وبعد هذا تخاف وتجعل لها الإنطراح إلى الحكم الأبدي معلماً تنظر إليه كل حين. وتعرف وقت البكاء كما علمنا داود في المزمور السادس. وتصدق أنها تطهر من خطاياها بدم يسوع المسيح وكثرة رحمة الله وتحننه، لأنـه قـال: **" إن كانـت خطايـاكم كـالقِرمز تبيضُّ كالثلج. إن كانت حمراء كالدُّوديِّ تصيرُ كالصُّوف "** (إش ١ : ١٨).

وعندما تنال قوة لمرضاة الله تقول: **" بالعشاء يحلُّ البكـاء، وبالغداة السرور "** (مز ٢٩). وأيضاً: شققت مسحي، وألبستني خلاصاً، ليرتل لك مجـدي **(مز ٢٩)**. وإذا تقدمت بهذه الصفة إلى الفضيلة فهي ترتل لله قائلة: أرفعك يارب لأنك قبلتني، ولم تـدع عدوي يفرح بي **(مز ٢٩)**.

✣ ✣ ✣

سـئل:

مكتوب أن خلاص نفس الإنسان هو من غناه، فالذي لم يكن له هذا ماذا يصنع؟

فأجـاب:

يصنع اجتهاده ويعطيه عن نفسه. فإذا لم يقدر فليذكر قول الرب: **" كل مَن ترك بيوتـاً ... "** (مت ١٩ : ٢٩). وإذا لم يكن قد كان منه شيء مـن هـذا فليتعـز بقـول

" لأني لستُ أطلبُ ما هو لكم بل إيَّاكُم " (٢كو ١٢ : ١٤).

٤٣ ـ هـل نعـرف أقـل ، لنطالـب بالأقـل ؟

++

سئل:

إذا سمع واحد قول الرب: **" وأما ذلك العبد الذي يعلم إرادة سيِّده ولا يستعدُّ ولا يفعل بحسب إرادته، فيُضرب كثيراً. ولكنَّ الذي لا يعلم، ويفعل ما يستحقُّ ضرباتٍ، يُضْرَبُ قليلاً "** **(لو ١٢ : ٤٧ ، ٤٨)** فيتوانى في أن يعرف إرادة الله: فهل (مثل هذا) يجد راحة؟

فأجـاب:

هذا حصل على قلة المعرفة بإرادته. وهو مدان بقول الرب: **" لو لم أكن قد جئتُ وكلَّمْتهُم، لم تكن لهم خطيَّة، وأما الآن فليس لهم عُذرٌ في خطيَّتهم " (يو ١٥ : ٢٢).**

الكتب تكرر تعليمها لنا إرادة الله، فنحن نعرفها ولو لم نرد. ومثل هذا (الشخص) لا يدان مع الذين بغير معرفة، الذين هم كذلك بغير إرادتهم بل هو يدان مع الذين قد كُتب عنهم أنهم مثل الحية الصماء التي تسد أُذنيها ولا تسمع صوت الراقي ...

والذي هو مؤتمن على تدبير الكلام إذا توانى ولم يكلم هؤلاء بأحكام الله، فإنه سيدان كقاتل نفس كما هو مكتوب.

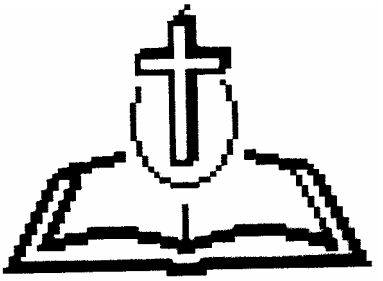

٤٤ ـ الـذي يتسـامح لغـيره حتـى يخطـئ ؟

سـئل:

إذا ما تسامح واحد لآخر حتى يخطئ: هل هو أيضاً مطالب بالخطية؟

فأجـاب:

حكم هذا ظاهر من قول الرب لبيلاطس: **" الذي أسلَمني إليكَ له خطيَّةٌ أعظم "** (يو ١٩ : ١١). فقوله (أعظم) يلزم منه أن يكون هو (أي بيلاطس) قد أخطأ ولكن خطـأ أقل. وخطيته هى أنه تسامح لأولئك (الذين طلبوا قتل يسوع).

وأيضاً لما تسامح آدم لحواء، وحواء للتنين، لم يترك أحداً منهم بغير نقمة. لكنـه ميز في عقوبته لهم ما بين قدر خطأ كل واحد. فالخطأ مشترك والعقاب مشترك. ولكن في ذلك تمييزاً.

٤٥ ـ هـل نسـكت عـن الـذين يخطـئـون ؟

سئل:

هل ينبغي أن نسكت عن الذين يخطئون؟

فأجاب:

لا ينبغي ذلك. لأن الرب يقول في الوصية العتيقة: " بكت صاحبك تبكيتاً، ولا تنل من أجله خطية ". وفي الإنجيل يقـول: **" وإن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينـــهُ " (مت ١٨ : ١٥)**.

وعندما سرق أخاز [١] اللسان الذهب والقميص من محارم الرب، أتى الرب بغضبه على جميع الشعب مع أنهم لم يعرفوا من أخطأ ولا ما هى الخطية إلـى الوقـت الـذي اعترف فيه أخاز. فهذا لم يسامحوه بل أحلوا به الهلاك.

وعالي الكاهن مع أنه كان ينهي أولاده عن ... [٢] بالقول دفعات. ولكنه لأنـه لـم يظهر الغيرة اللائقة بالله، بل كان تأديبه بلطف، لذلك أثار غضب الله إلى الغاية حتى أن شعب الله هلك بهلاك بنيه، وعالي هو أيضاً مات بموت مر.

فإذا كان من لم يعرف المخطئ، ومن لم يخطئ ونهى عن الخطأ، حل بهم الغضب، فكيف بالذين يعرفون المخطئين ويسكتون عنهم؟! فليعلم هؤلاء أنه يجب أن يظهر فـيهم كلام الرسل لأهل قرنتيه (أي كورنثوس) " لماذا لم تنوحوا حتى ينزع من بينكم الـذي فعل هذا الفعل؟ ".

وبقية الكلام الذي شهد لهم في الرسالة الثانية لما قـال: **" فإنـه هوذا حُزنكم هذا**

---

[١] يقصد عخان (بن كرمي). وقصته في الأصحاح السابع من سفر يشوع.

[٢] في الأصل (نظرهم). وفي نسخة أُخرى نطرهم وربما يقصد بطرهم. وخطية أبناء عـالي معروفة **(١صم ٢ : ١٢ - ٢٥)**.

عينه بحسب مشيئة اللّه، كم أنشأ فيكم: من الاجتهاد، بل من الاحتجاج، بل من الغيظ، بل من الخوف، بل من الشوق، بل من الغيرة، بل من الانتقام. في كل شيءٍ أظهرتم أنفسكُم أنكم أبرياء في هذا الأمر " (٢كو ٧ : ١١).

فإذا لم يصنع أهل هذا الزمان هكذا، فإنهم سيعذبون أكثر من أولئك لأنه إن جسر واحد على أن يخطئ خطية، ويكون قد رأى أن غيره قد سقط فيها قبله وانتقم منه عنها، ولم يتأدب هو بنقمة ذاك، فإنه يكون مستحقاً لعقاب مضاعف. فقايين لما أخطئ أُنتقم منه سبعة أضعاف. فلما أخطأ لامك بعده مثل خطيته أعني أنه قتل، كُتب عنه أن بقايين تحل سبع نقمات وبلامك سبع في سبعين (تك ٤ : ٢٤).

٤٦ ـ ما يصيب النفس من نخسات ومن فتور

****

سئل:

لماذا تكون النفس في نغز دفعات، وليس أنها اقتنته من تعب واجتهاد بل صار لها من ذاته وحده، ودفعات أُخرى لا تكون فيها حاسية البتة حتى تجتهد أن يجتذبها غصباً ولا تستطيع أن تكون في نغز؟

فأجاب:

هذا النغز يهبه الله لنا. وأظن أن النغز يشار به إلى الفكر الصالح في عبادة الله لكي نطلب الله بشوق عظيم. وبالنغز تذوق النفس الحلاوة الكائنة بالله وتجتهد أن تتمسك به لأجلها.

وأيضاً يظهر لنا أنه يمكن بالاهتمام والاجتهاد الكثير أن تكون النفس كل حين في نغز. لكي لا يجد المتوانون الذين يلقون هذا النغز خارجاً عنهم حجة يقولونها في يوم الحكم.

وإذا ما اجتذبنا قلوبنا غصباً ولم نقدر أن نقتني النغز، فهذا علامة على أننا كنا متوانين في الزمان الماضي، فلا يمكن بغير تدرب دائم أن يقام أمر بغتة. أو

(ربما يكون السبب) إن في النفس أوجاعاً لا تتركها تصنع ما تريده كقول الرسـول: **" فإن كنت ما لستُ أريدهُ إيَّاهُ أفعل، فلستُ بعد أفعلهُ أنا، بل الخطيَّة الساكنة فيَّ "** (رو ٧ : ٢٠).

وقد يتسامح الله في أن يصير لنا هذا إذا كان هو الأصلح لنا. فلعل بالشرور التـي صنعتها النفس بغير هواها كما قال الرسول، ويتعب لم تقدر أن تتخلص منها، (لعله بهذا) يكون تيقظها وتحرزها ألا تسقط في الآلام بهواها، وتعرف الأمور التـي كانـت سـبباً للسقوط فتحذرها.

٤٧ ـ بماذا يستحق الإنسان الروح القدس

سئل:

بماذا يستحق الإنسان الروح القدس؟

فأجاب:

إن ربنا يسوع المسيح يعلمنـا هـذا إذ يقـول: **" إن كنتم تحبُّونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الآب فيُعطيكم مُعزِّياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله "** (يو ١٤ : ١٥ ـ ١٧). فمن لا يحفظ وصايا الله حتى يكون بحفظها ممن يصدق عليهم الشهادة القائلة أنكم لستم من العالم (يو ١٥ : ١٨) فـلا يستحق روح القدس.

٤٨ ـ في آداب الكلام والأكل والصلاة

♦♦

سئل:

عن مقدار الصوت في الكلام؟

فأجاب:

ينبغي أن يكون صوت المتكلم بمقدار ما يسمع المخاطب. والذي يجعل صوته ناقصاً عن مقدار الحاجة ويغمغم كلامه، يستحق دينونة. وكذلك الذي يرفع صوته أكثر من حاجة الذي يخاطبه، ماخلا الأمور التي تدعو الضرورة أن تصرخ فيها من أجل إنسان رخو أو بطيء في شغله فتصير مثل من يوقظه من النوم لأنه قد كتب في الإنجيل إن ربنا صنع هكذا مع اليهود أعني الموضع المكتوب فيه أن يسوع صرخ قائلاً من يؤمن بي فليس يؤمن بي فقط بل وبالذي أرسلني (يو ١٢ : ٤٤).

سئل:

إذا أُدب واحد بأن لا يقرب، وعند المائدة يقول إذا لم أتقرب ما آكل، هل ينبغي أن يحتمل؟

فأجاب:

إذا كان الأمر الذي أُدب لكونه زل فيه يمنع من أن يأكل أيضاً، فالذي أدبه يختبر الأمر وإذا تحقق ذلك يمنعه. وإن كان المنع إنما يستحقه من القربان وحده دون الأكل فليسمح له بالأكل. وإن لم يرض فليحسب كمخالف ويعرف أنه لم يرد أن يشفى إذ صنع هذا، بل زاد خطية على خطية.

✣ ✣ ✣

سئل:

عن الكلام وقت الترتيل؟

فأجاب:

ينبغي للإخوة ألا يتكلموا وقت الأبصلمودية. وأما الذين لهم الاهتمام بترتيب الإخوة، فلهم أن يتكلموا بتحفظ إذا دعت حاجة ضرورية.

✣ ✣ ✣

سئل:

ما هو الحزن الذي نحزنه حتى نستحق الطوبى الإنجيلية **(مت ٥ : ٤)** ؟

فأجاب:

هو الحزن في ذات الله وقد تقدم شرحه: وهو إذا ما حزنا على خطايا صنعناها، أو على الذين يهينون الله بخطاياهم لأنه مكتوب: " إنك بمخالفتك تهين الله "، أو مـن أجـل الذين يريدون أن يموتوا بخطاياهم لأنه يقول: " النفس التي تخطئ هى تمـوت " وهكـذا نتشبه بالقائل إني أنوح على الذين أخطأوا من القديم. وإذا صـنعنا هكـذا اقتنينـا هـذه الطوبى.

سئل:

هل يجب على الإنسان ألا يضحك البتة؟

فأجاب:

إذ قال ربنا على ما شهد به الإنجيل: **" ويل لكم أيها الضَّاحكون الآن "** **(لو ٦ : ٢٥)**، فينبغي للمؤمنين في هذا الزمان ألا يضحكوا، لا سيما إن كانت لهم أسباب الحزن التي تقدم ذكرها (في الإجابة عن السؤال السابق).

٤٩ ـ كيـف نعمـل كـل شـيء لتمجيـد اللـه

سئل:

بأي نوع يعمل الإنسان كل شيء لمجد الله كما أمر الرسول **(١كو ١٠ : ٣١)**؟

فأجاب:

إذا عمل كل شيء كوصايا الله ولم ينظر إلى مجد الناس. وكان يذكر دائماً قـول الرب: **" فليُضئ نوركم هكذا قُدَّام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويُمجِّدوا أباكم الذي في السموات "** (**مت ٥ : ١٦**).

✣ ✣ ✣

سئل:

فكيف يأكل الإنسان ويشرب من أجل مجد الله كما يقول الرسول (**١كو ١٠ : ٣١**)؟

فأجاب:

بأن يذكر الله صانع الخيرات ويشكره عليها من قلبه. وأن يأكل ويشرب بخوف من الله، كأنه ناظر إليه لا كالمتعبدين لبطونهم بل مثل فاعل لله. فيأكل حاجته لتقوية الجـسد على الأعمال المرسومة كوصية المسيح.

سئل:

كيف يقدر الإنسان أن يهرب من مرضاة الناس ولا ينظر إلى كرامتهم؟

فأجاب:

إذا ما طاب قلبه أن الله دائماً ناظر إليه، واهتم بما يرضيه، وآثر كرامته. لأنه ليس يقف أحد قدام سيده ويراه ناظراً إليه، فيدع مرضاته ويلتفت إلى رفيقـه فـي العبوديـة ليرضيه ويغفل عن سيده.

٥٠ ـ إدانــة الآخــرين : متــى تحــرم ومتــى تبــاح ؟

سئل:

عن معنى قوله: **" لا تدينوا لكي لا تدانوا "** (**مت ٧ : ١**)؟

فأجـاب:

وقد قال ربنا في موضع آخر: لا تدينوا بالأخذ بالوجوه، بل دينـوا بـدين الحـق (**تث ١٦ : ١٩ ، ٢٠**). فلم يأمرنا ألا ندين بالجملة. بل عرّفنا أن ندين بالحق، في الوقت الذي ينبغي، وعن عمل دون عمل.

وقد أشار الرسول إلى هذا: فالأشياء التي لم يحد الكتاب فيها حداً، بـل وضـعها لسلطان الإنسان مثل الأكل والشرب وغير ذلك قال الرسول فيها هكذا: **" فلماذا تدين أخاك "** (رو ١٤ : ١٠) وأيضاً: **" فلا نحاكم أيضاً بعضنا بعضاً "** (رو ١٤ : ١٣).

أما الأمور التي لا ترضي الله، فقد لام الذين لا يدينون عليها إذ قال: **" فإني أنا كأني غائبٌ بالجسد، ولكن حاضرٌ بالروح، قد حكمت كأني حاضرٌ في الذي فعل هذا، هكذا: باسم ربِّنا يسوع المسيح ـ إذ أنتم وروحي مجتمعون مع قوَّة ربِّنا يسوع المسيح ـ أن يُسلَّم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد، لكي تخلُص الروح في يوم الرب يسوع "** (١كو ٥ : ٣ ـ ٥).

فإن كان (الموضوع المحكوم فيه) أمراً تحت سلطاننا (أي تحت سلطان الفاعل) كما تقدم القول، أو كان أمراً غير ظاهر لنا: ففي هذه الأمور ينبغي لنا ألا ندين أخاً. فإن الرسول عن هذه الأمور المخفية عنا قد قـال: **" إذاً لا تحكموا في شيءٍ قبل الوقت، حتى يأتي الرب الذي سيُنيرُ خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب "** (١كو ٤ : ٥).

وأما أحكام الله الظاهرة في كتبه المقدسة على من يخالفها، فيجب أن ينـتقم عنهـا لئلا يحل غضب الله على المخطئين وعلى الذين يسكتون لهم جميعاً إلا أن يكـون الـذي يدين أخاه على خطية مستوجباً هو أيضاً الدين عليها لا سيما على ما هو أعظم منها. فإن مثل هذا لا ادلال له إذ يسمع الرب يقول: **" يا مُرائي، أخرج أوَّلاً الخشبة من عينكَ، وحينئذٍ تبصرُ جيداً أن تخرج القذى من عين أخيكَ! "** (مت ٧ : ٥).

✣ ✣ ✣

سئل:

كيف يقدر إنسان أن يعرف ذاته إذا هو دان أخاه على خطية: إن كان (ذلك) بغيرة الله أم بغضب فعل؟

فأجاب:

إذا ما رأى نفسه يصنع المكتوب مع كل أحد إذ يقول: غيرة بيتك جعلتني انحل لأن أعداءك نسوا وصاياك **(مز ١١٨)** فهذه غيرة الله. وفي هذا القسم أيضاً تحتاج إلى تدبير بعقل رفيع أن يحرس قلبه بمقدار واجب لأنه إذا لم يسبق هذا الفكر ويثبت في النفس ويحركها أن تدين الذين يخالفون الكتب، فالحركة التي تدين بها لا تصير موافقة لإرادة الكتب، ولا تحفظ صورة عبادة الله.

٥١ ـ الزائر الذي يقيم فترة في الدير لمنفعته

سئل:

إذا قال واحد إني أُريد أن أُقيم عندكم زماناً قليلاً حتى أربح منكم، فهل نقبله؟

فأجاب:

الرب يقول في الإنجيل: **" مَن يُقبل إليَّ لا أخرجه خارجاً " (يو ٦ : ٣٧)** فيجب أن نقبله، ولا سيما ونحن لا نعرف ماذا يكون أخيراً. لأن دفعات كثيرة ربح الذين يقيمون عندنا زماناً قليلاً، وأحبوا السيرة المقدسة. (يقصد أنه حدث مرات كثيرة أن أحب أُناس السيرة الرهبانية عن طريق إقامتهم في الأديرة ولو لمدة قليلة). ولكي يظهر له أيضاً تحقيق قوانين سيرتنا. فإذا آثرها (أي فضلها)، فإنه يكون قد آثر ما قد عرفه. وأيضاً لا يتشكك من مشكك يخالف قوله سيرتنا. فنربح نحن ويربح هو.

٥٢ ـ كيـف يُعلـم الصـغير الشـغل لمـن هـو أكـبر منـه

سـئل:

إذا رسم لصبي أن يعلم من هو أكبر منه في السن شغلاً: فكيف ينبغي أن يكون معه؟

فأجـاب:

كمن يكمل وصية الرب بخوف بغير توان غير مستكبرين لئلا يسقط في مـصيدة وحكم إبليس ❖.

٥٣ ـ مـا معنـى " الترتيـل بفهـم "

سـئل:

ما معنى قوله: " رتلوا بفهم " ؟

فأجـاب:

كما نعرف بالذوق نوع كل طعام، كذلك يعرف بالفهم نوع كلام الكتب. كما قال إن حنجرتي تذوق الطعام وقلبي يفحص الكلام.

فمن صار قادراً على أن يميز بفهمه قوة كلام الكتب كما يميز بذوقه أنواع الأطعمة فهو يرتل بفهم.

❖ حاشية في الأصل: أي في الحكم الذي حكم به على إبليس لأجل تكبره.

٥٤ ـ الـذي يصـنع هـوى غـيره

سـئل:

هل الذي يصنع هوى غيره يكون شريكاً له؟

فأجـاب:

إذا صدقنا قول الرب: **" كل مَن يعملُ الخطيَّة هو عبدٌ للخطيَّة "** (يو ٨ : ٣٤)، وقوله لليهود المعاندين: **" أنتم من أبٍ هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا "** (يو ٨ : ٤٤)، عرّفنا أنه ليس مشتركاً معه فقط، بل وقد صيرّه له سيداً وأباً. وبهـذا شهد الرسول أيضاً قائلاً: **" ألستم تعلمون أن الذي تقدِّمون ذواتكم لـه عبيداً للطَّاعة، أنـتم عبيـدٌ للـذي تطيعونـه: إما للخطيَّة للموت أو للطَّاعة للبرِّ؟ "** (رو ٦ : ١٦).

٥٥ ـ المسـاكين بالـروح

سـئل:

من هم المساكين بالروح (**مت ٥ : ٣**)؟

فأجـاب:

هم الذي جعلوا نفوسهم مساكين من أجل الرب وحـده، اختيـاراً لا اضـطراراً، طائعين تعليمه القائل: **" فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء "** (**مت ١٩ : ٢١**).

وإذا جاءت على واحد مسكنة بنوع من الأنواع، واحتملها ودبرها كإرادة الله شاكراً مثل أليعازر، فهذا الآخر لا يكون غريباً عن هذه الطوبى.

٥٦ ـ عـدم الاهتمـام بالمأكـل والمشـرب والملـبس

سـئل:

إن الرب علمنا ألا نهتم بما نأكل ولا بما نشرب ولا بما نلبس **(مت ٦ : ٣١)**: فهذه الوصية تبلغ إلى أي وقت؟ وكيف نبلغ إليها؟

فأجـاب:

هذه وسائر الوصايا مقدارها أن نحفظها إلى الموت كما علمنا المكتـوب أن ربنـا صار طائعاً إلى الموت **(في ٢ : ٨)**. ونبلغ إليها إذا جعلنا اهتمامنا كله بالله. لأن ربنا لما منعنا من ذلك الاهتمام قال لوقته: **" لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه " (مت ٦ : ٨ ، ٣٢)**، وكما علمنا الرسول أيضاً أننا جعلنا الموت قدامنا لئلا نتكـل علـى أنفسنا بل على الله الذي يقيم الأموات، لأنه كان قد هيأ نفسه للموت كل يـوم **(٢كو ٤ : ١١ ، رو ٨ : ٣٦)** ومعونة الله كانت تحفظه. ولهذا قال: **" كمائتين وها نحن نحيا " (٢كو ٦ : ٩)**.

ونحن أيضاً إذا جاهدنا دائماً بحرارة وشهوة لكي نحفظ وصايا الله، فهـذا الجهـاد يساعدنا على أن نحفظ ذلك. فمن يتمسك بهذا الشوق في الله، فهـو لا يتفـرغ للاهتمـام بحوائج الجسد.

الفهـــرس

أولاً : ميامر مار إسحق السرياني (الجـزء الثاني)

❖ **مقدمة**	.....	٧
الميمـــــــــر الأول :	في تدبير الرهبنة والابتعاد عن العالم	١١
الميمـــــر الثـــــاني :	.....	١٧
الميمـــــر الثالـــــث :	عن شكر الذي يأخذ	٢٣
الميمـــــر الرابـــــع :	.....	٢٥
الميمـــــر الخـــــامس :	في الأشياء الطبيعية والغير طبيعية	٢٨
الميمـــــر الـــــسادس :	.....	٣٧
الميمـــــر الـــــسابع :	في طبيعة النفس والجسد	٤٧
الميمـــــر الثـــــامن :	.....	٤٩
الميمـــــر التاســـــع :	ما هي زكاوات الضمير	٥٢
الميمـــــر العاشـــــر :	.....	٥٦
الميمـر الحـادي عشر :	عن التفرس في الأشياء الروحانية	٥٩
الميمـر الثـاني عـشر :	.....	٦٥
الميمـر الثالـث عـشر :	في الأسباب التي من أجلها يترك اللـه التجارب على	٦٧
الميمـر الرابـع عـشر :	محبيه	٧٧
الميمر الخامس عشر :	عن ظهور العجائب والمعجزات	٨٢
	.....	٨٨
	عن الغيرة الروحية	٩٠
	.....	٩١
الميمـــــر الـــــسادس	في الغيارات التي تحصل في العقل	٩٥

عشـــر :	.....	١٠
الميمر الســابع عشر :	على العمل في الوحدة ـ وعلى سهر الليالي	١
الميمـر الثـامن عـشر :	.....	١٠
الميمـر التاسـع عـشر :	على إفرازات قوات العقل مع مناظر الروح	٨
الميمـــر العـــشرون :	.....	١١
الميمـــــر الحـــــادي	على السكون وطبيعة الصلاة	٠
والعـــــــــشرون :	.....	١١
الميمـــــر الثـــــاني	عن الأفكار المتجسمة التي تكون من تذكار الأمور	٥
والعـــــــــشرون :	.....	١٢
الميمـــــر الثالـــــث	على ثلاثة رتب المعرفة	٠
والعـــــــــشرون :	.....	١٢
الميمـــــر الرابـــــع	١ ـ الرتبة الأولى من المعرفة	٥
والعـــــــــشرون :	.....	١٢
الميمـــــر الخـــــامس	٢ ـ الكلام عن الصنف الثاني من المعرفة	٧
والعـــــــــشرون :	.....	١٣
الميمـــــر الـــــسادس	٣ ـ الكلام عن الصنف الثالث من المعرفة	٥
والعـــــــــشرون :	.....	١٤
الميمـــــر الـــــسابع	على أنواع الصلاة	٣
والعـــــــــشرون :	.....	١٤
الميمـــــر الثـــــامن	وأيضاً مما سمع ونظر من الشيوخ	٥
والعـــــــــشرون :	.....	١٤
الميمـــــر التاســـــع	تدبير المتوحدين	٩
والعـــــــــشرون :	.....	١٥
الميمـــــر الثلاثـــــون :	على ثاؤرية السبت والأحد	٤

الميمـــــر الحـــــادي والثلاثـــــــــون :	..... من أجل اللـه أهرب	١٥ ٨
الميمر الثاني والثلاثون :	..... عن حفظ اليقظة، وأسباب الكسل والفتور	١٥ ٩
الميمر الثالث والثلاثون :	..... في الغيارات الكثيرة التي تتبع الضمير	١٦ ٢
الميمر الرابع والثلاثون :	..... على إفراز الفضائل	١٦ ٦
الميمـــــر الخـــــامس والثلاثـــــــــون :	..... عن الإيمان والبساطة	١٧ ٢
الميمـــــر الـــــسادس والثلاثـــــــــون :	..... عن منفعة الهروب من العالم	١٧ ٦
الميمـــــر الـــــسابع والثلاثـــــــــون :	..... في أنه كيف يقتنى غيار الحركات الخفية	١٨ ٠
الميمر الثامن والثلاثون :	..... على إفراز المعقول وأي استعمال لها	١٨ ٢
الميمـــــر التاســـــع والثلاثـــــــــون :	..... مشورات مفيدة ، وتحذيرات جيدة	١٩ ٠
الميمـــــــــــــر الأربعـــــــون :	..... في أنه من أين يولد في النفس الإحساس الروحاني	١٩ ٥
الميمـــــر الحـــــادي والأربعون :	..... معرفة الجلوس في السكون	٢٠ ٥
	..... عن درجة المعرفة	٢٠ ٧

..... ٢١
في المعرفة الحقانية ٤
.....
عن التوبة
.....
على وجع الزنا الرديء
.....
على روح التوبة وكيف تحل في الأنفس
.....
على إفراز المنازل
.....
في عظم مقدار التواضع وارتفاع درجته عند اللـه
.....
في ترتيب السكون
.....
على صلاة الحب الإلهي
.....
في حدود تدبير كل سيرة الوحدة
.....
رسالة في معنى السكون
.....

ثانياً : نسكيات القديس باسيليوس (الجزء الثاني)

١ -	هل	تعطل	الصلاة	العمل	٢٢
٢ -	.....				٦
٣ -	أي	عمل	يد	يليق	بالرهبان ٢٣
٤ -	.....				١
٥ -	الرئيس		وكيفية		رعايته ٢٣
٦ -	.....				٥
٧ -	أي	الخطايا	نظهرها		للرئيس ٢٣
٨ -	.....				٩
٩ -	هل نستعمل الطب والدواء				٢٤
١٠	.....				٣
-	هل نصنع شيئاً بغير شهادة من الكتب				٢٤
١١	.....				٨
-	هل يجب أن نطيع الناس في كل شيء				٢٥
١٢	.....				٠
-	كيف نتعبد للـه				٢٥
١٣	.....				١
-	كيف يأمر الرئيس الإخوة				٢٥
١٤	.....				٢
-	عن توبة التائبين وطرق معاملتهم				٢٥
١٥	.....				٤
-	حول القنية واشتراك الإخوة فيها				٢٥
١٦	.....				٨

- عن الأقرباء بالجسد ٢٥
١٧ ..... ٩
- السهو والأفكار البطالة التي تأتي على النفس ٢٦
١٨ ..... ٠
- كيف نخدم الإخوة ٢٦
١٩ ..... ١
- ما هو الكلام البطال ٢٦
٢٠ ..... ٣
- ما هي اللعنة ٢٦
٢١ ..... ٤
- ما هي النميمة ٢٦
٢٢ ..... ٤
- الوداعة وعدم الغضب ٢٦
٢٣ ..... ٥
- كيف نقطع منا الشهوة الرديئة ٢٦
٢٤ ..... ٦
- عن الحزن المقدس، والحزن العالمي ٢٦
٢٥ ..... ٧
- الفرح بالرب ٢٦
٢٦ ..... ٧
- الاهتمام العالمي ومُرضاة الناس ٢٦
٢٧ ..... ٨
- النوم في غير وقته ٢٦
٢٨ ..... ٩

- الكبرياء ، وكيفية الشفاء منها ٢٦
٢٩ ..... ٩
- ما هو الاتضاع ؟ وكيف تدركه ٢٧
٣٠ ..... ٠
- الطاعة كيف تكون ٢٧
٣١ ..... ١
- إذا أحزن أخ أخاه .. ماذا يفعل ٢٧
٣٢ ..... ٣
- هل يوقظ أخ أخاً للصلاة ٢٧
٣٣ ..... ٤
- الذي يذهب إلى مكان بدون استشارة الرئيس ٢٧
٣٤ ..... ٥
- حول عمل اليد ٢٧
٣٥ ..... ٦
- التشبه بالمسيح ٢٧
٣٦ ..... ٧
- كيف يُقبل الغروس الجُدد ٢٧
٣٧ ..... ٧
- هل يتنسك الإنسان بما يفوق قدرته ٢٧
٣٨ ..... ٨
- الذي يتقمقم من أجل طلباته ٢٧
٣٩ ..... ٩
- هل يطلب المريض طعاماً زائداً ؟ ٢٧
٤٠ ..... ٩

- عن الذي يتأخر عن ميعاد الطعام ٢٨
٤١ ..... ٠
- الصدقة لمن تعطى ٢٨
٤٢ ..... ١
- القائمون على خدمة المجمع ٢٨
٤٣ ..... ٢
- مقاومة طياشة الأفكار ٢٨
٤٤ ..... ٣
- المؤتمنون على خدمة الإخوة ٢٨
٤٥ ..... ٣
- هل ننظر بالتساوي لجميع الإخوة ٢٨
٤٦ ..... ٤
- كيف تكون التوبة ٢٨
٤٧ ..... ٥
- هل نعرف أقل لنطالب بالأقل ٢٨
٤٨ ..... ٦
- الذي يتسامح لغيره حتى يخطئ ٢٨
٤٩ ..... ٧
- هل نسكت عن الذين يخطئون ٢٨
٥٠ ..... ٧
- ما يصيب النفس من نخسات ومن فتور ٢٨
٥١ ..... ٩
- بماذا يستحق الإنسان الروح القدس ٢٩
٥٢ ..... ٠

- في آداب الكلام والأكل والصلاة ٢٩
٥٣ ..... ٠
- كيف نعمل كل شيء لتمجيد اللـه ٢٩
٥٤ ..... ٢
- عن إدانة الآخرين ٢٩
٥٥ ..... ٣
- الزائر الذي يقيم فترة في الدير ٢٩
٥٦ ..... ٥
- كيف يعلم الصغير الشغل لمن هو أكبر منه ٢٩
..... ٥
ما معنى الترتيل بفهم ٢٩
..... ٦
الذي يصنع هوى غيره ٢٩
..... ٦
عن المساكين بالروح ٢٩
..... ٧
عن عدم الاهتمام بالمأكل والمشرب ٢٩
..... ٧